

المصباح المصابيح ، ٢١

أحمد بن قاسم الحجري
(ت. بعد ١٦٤٠ م)

كتاب
ناصر الدين
على القوم الكافرين



تحقيق وتقديم وترجمة

شورد فان كونزفيلد قاسم السامرائي
هيرارد فيخرز



المجلس الأعلى للبحوث العلمية
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي



کتاب
ناصر الدین
علی القومر الکافین

24 315 RR 7155
FMR
08/04 02-013-01 GBC



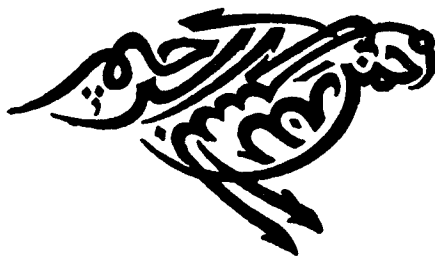
المصنف: أحمد بن قاسم

أحمد بن قاسم الحجري

(ت. بعد ١٦٤٠ م)

كتاب

ناصر الدين على القوم الكافرين



تحقيق وتقديم وترجمة

سُورِدُ فَا ن كُونُكَزْ فُلْدُ قَاسِمُ السَّامِرَائِي
غِيَارْدُ فَيُخْرَزُ

المجلس الأعلى للأبحاث العلمية
الوكالة اللبنانية للتعاون الدولي

Grad

BP

172

.I25

1997

محتوى الكتاب

- المقدمة: ٩
- الباب الأول: في ذكر ما وقع لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير
في شأن الرق الذي وجد في الصومعة القديمة ١٦
- الباب الثاني: في قدومنا الى بلاد المسلمين، وما اتفق لنا عند
خروجنا من بين النصاري سالمين ٣٥
- الباب الثالث: في بلوغنا الى مدينة مراكش، وما كان السبب الى ان
مشيت الى بلاد الفرنج بعد ان جلست ببلاد المسلمين اثنتي عشرة
سنة ٤٤
- الباب الرابع: في ركوننا البحر المحيط وبلوغنا الى فرنجه الى
مدينة مرس البركة؛ وتسمى عندهم ب: هيرذغريسي؛ ثم الى مدينة
روان وما اتفق لنا فيها ٤٦
- الباب الخامس: في قدومنا الى مدينة بريش، وما اتفق لنا مع
بعض النصاري من المناظرات ٥٠
- الباب السادس: في قدومنا بكتب السلطان الى قاضي الاندلس
وقاضي القضاة بمدينة برضيوش ٥٩
- الباب السابع: في رجوعنا الى بريش وما اتفق لنا من المناظرات
مع علماء النصاري في شأن الدين ٦٩
- الباب الثامن: في قدومنا الى ألونة وما اتفق لنا فيها ٧٩
- الباب التاسع: في قدومنا الى مدينة برضيوش وما وقع لنا فيها من
المناظرات مع النصاري القسيسين والرهبان والقضاة ٩١

- البَابُ العَاشِرُ: فِي مُنَاطَرَاتِ الْيَهُودِ بِفِرْنَجَةِ وَفَلَنْضِيسَ ١٠٧
- البَابُ الْحَادِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ قُدُومِنَا إِلَى فَلَنْضِيسَ ١٣٩
- البَابُ الثَّانِي عَشَرَ: فِيْمَا اتَّفَقَ لَنَا فِي مِصْرَ مَعَ رَاهِبِ عَالِمٍ كَانَ
بَالِغًا فِي فُنُونِ الْعِلْمِ مِنْ عُلُومِهِمْ ١٥٦
- البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِهِ
فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا ١٧٢
- كِتَابُ مَوَاهِبِ الثَّوَابِ: ١٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ آلِهِ وَاصْحَابِهِ وَعَنِ التَّابِعِينَ لَهُ فِي دِينِهِ
وَبَعْدُ:

فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ الرَّاجِي عَفْوَهُ وَغُفْرَانِهِ
وَرَحْمَتِهِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ الْمَذْكُورِ فِي كُتُبِهِ وَأَفْضَلِهَا كَلَامُهُ الْعَزِيزُ
فِي قُرْآنِهِ؛ أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ الْفَقِيهِ قَاسِمِ بْنِ الشَّيْخِ
الْحَجَرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ:

مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ أَنْ جَعَلَنِي مُسْلِمًا فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ مِنْذُ
أَعْرِفُ نَفْسِي بِبِرْكَةِ الْوَالِدَيْنِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - [و] إِرْشَادِهِمَا
وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي قَلْبِي مَحَبَّةً لِلْخُرُوجِ [مِنْ بِلَادِ] الْأَنْدَلُسِ مُهَاجِرًا
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَالْقُدُومِ [إِلَى] بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَضَى اللَّهُ
تَعَالَى الْغَرَضَ وَالْمُرَادَ وَبَلَّغَنَا إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكُشَ بِالْمَغْرِبِ. وَبَعْدَ
ذَلِكَ بِإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ
كَانُوا فِيهَا تَحْتَ قَهْرِ النَّصَارَى [وَرَى وَظَلَمَ] هُمْ فَأَمَرَ (١٢) عَلَيْهِمْ سُلْطَانُ
الْبِلَادِ الْمُسَمَّى بِبَلْبِ الثَّلَاثِ مَنْ اسْمُهُ بِالْخُرُوجِ جَمِيعًا مِنْ بِلَادِهِ .

وَاتَّفَقَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَنْ نَهَبَهُمْ فِي
الْبَحْرِ النَّصَارَى وَأَكْثَرَهُمُ الْفَرَنْجُ الْبَحْرِيَّةُ الَّذِينَ أَكْثَرَوْهُمْ وَدَفَعُوا لَهُمْ

١ اما بين المعقوفتين ضائع لتمزق الورقة أو لطمس النص وقد أكملناه هنا وبعده حسب ما اقتضاه السياق اللفظي أو المعنوي.

أَجَزْتَهُمْ عَلَى أَنْ يَبْلُغُوهُمْ فِي عَافِيَةٍ وَأَمَانٍ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛
وَحَانُوهُمْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّيَّاسِ فِي سَفِينَتِهِ؛ وَبَعْدَ اخْتِذَا كُلِّمَا كَانَ لَهُمْ
أَخْرَجُوهُمْ فِي بَعْضِ الْجُزُرِ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَارْبَعَةً مِنْ تِلْكَ
السُّفُنِ الْمَنْهُوبَةِ خَرَجَتْ بِالْمَغْرِبِ الْإِقْصَى فَأَحْسَنَ الْمُسْلِمُونَ الْبَرَبِرَ
بِالْأَنْدَلُسِ وَجَاءُوا إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكُشٍ - وَهِيَ دَارُ سَلَاطِينَ الْمَغْرِبِ
- وَطَلَبُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَوْلَايَ زَيْدَانَ بْنِ السُّلْطَانِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ ابْنَ
السُّلْطَانِ مَوْلَايَ مُحَمَّدَ الشَّيْخِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ أَنْ يُأْذِنَ لَهُمْ فِي
إِرْسَالِ بَعْضٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مَعَ رَجُلٍ [مِنْ] ^١ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ كَانُوا
قَبْلَهُمْ بِتِلْكَ الْمَدِينَةِ وَاتَّفَقَ نَظَرُهُمْ أَنْ نَمْشِيَ بِأَصْحَابِهِمْ؛ وَأَعْطَانَا
السُّلْطَانُ كِتَابَهُ وَذَهَبَنَا إِلَى أَسْفٍ - هِيَ مَدِينَةٌ عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ -
وَفِيهَا رَكَبْنَا وَبَلَّغْنَا إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ، وَوَقَعَ لِي كَلَامٌ (ب) كَثِيرٌ
مَعَ عُلَمَائِهِمْ مِنَ الْقَسِيسِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ وَالْقُضَاةِ فِي شَأْنِ الْأَذْيَانِ
وَاحْتَجَجْتُ أَقْرَأَ الْإِنْجِيلِ الَّذِي بَأْيَدِيهِمْ الْآنَ وَمِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِهِمْ
وَجَدْتُ مَا نَرَدُّ عَلَيْهِمْ وَنُبْطُلُ حُجَجَهُمْ وَنَصَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ
مِرَاراً عَدِيدَةً.

وَذَكَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ وَلَّيْتُ إِلَى مَرَاكُشٍ شَيْئاً مِّنَ الْحِكَايَاتِ
وَالْمُنَاطَرَاتِ وَالْأَجُوبَةِ مِنِّي إِلَيْهِمْ لِبَعْضِ الْأَخْوَانِ وَطَلَبَ مِنِّي غَيْرُ
وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ أَعْمَلَ تَأْلِيفاً بِذَلِكَ. وَلَمْ يَتَّفِقِ الْعَمَلُ إِلَيَّ
أَنْ أَمْرَنِي شَيْخُنَا وَبِرَكَّتْنَا بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ بِاللَّهِ وَهُوَ الْعَلَمَةُ
الشَّهِيرُ عِلْمُهُ وَتَشَاوُهُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْبُلْدَانِ: الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْمَدْعُو زَيْنُ ابْنِ الْعَلَمَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَجْهُورِيِّ الْمَالِكِيِّ

^١ الكلمة ساقطة بفعل تمزق الورقة.

فَاجْتَبَهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا طَلَبَهُ، وَجَعَلْتُ التَّأْلِيفَ رَحَلَتْ سَمِيَّتُهَا ب: رَحَلْتُ
الشَّهَابَ إِلَى لِقَاءِ الْأَخْبَابِ،

وذكرت [فيها] ١ أولاً: بِلَاذِ الْأَتَدْلَسِ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ هِيَ مِنْ
مَعْمُورِ الدُّنْيَا وَالْأَقْطَارِ الْمُجَاوِرَةِ إِلَيْهَا وَالْعَرْضِ وَالطُّولِ فِي صَفْعِهَا
وَعَرْضِ إِرْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشِّمَالِيِّ عَلَيْهَا وَدَرَجِ طُولِهَا (١٣) مِنَ الدُّنْيَا
الَّذِي هُوَ أَبْتِدَاؤُهُ مِنَ الْجُزْرِ الْخَالِدَاتِ الْمُسَمَّاتِ الْآنَ ب: قَنَارِيَّةً؛ ثُمَّ
ذَكَرْتُ مَنْ سَكَنَهَا مِنَ الْأَجَنَاسِ الْقَدِيمَةِ قَبْلَ دُخُولِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا
وَفِي أَيِّ سَنَةٍ كَانَ إِفْتِتَاحُهَا وَمَا اتَّفَقَ فِي أَخْذِهَا؛ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْضَ
الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَأَيْضاً بَعْضَ رَسَائِلِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ
الْخَطِيبِ؛ ثُمَّ ذَكَرْتُ الزَّمَنَ الَّذِي كَانَتْ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ
اِحْتَوَتْ النُّصَارَى عَلَى جَمِيعِهَا. ثُمَّ ذَكَرْتُ كَيْفَ كَانَ حَالُ الْمُسْلِمِينَ
بَيْنَ النُّصَارَى بَعْدَ أَنْ أَدْخَلُوهُمْ جَمِيعاً كُرْهاً مِنْهُمْ فِي دِينِهِمْ؛ وَكَانُوا
يَعْبُدُونَ دِينَيْنِ: دِينَ النُّصَارَى جَهْراً وَدِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي خَفَاءٍ مِنَ
النَّاسِ؛ وَأَذَا ظَهَرَ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ يَحْكُمُونَ فِيهِمْ
الْكُفْرَ الْحَكْمَ الْقَوِي [و] يَحْرِقُونَ بَعْضَهُمْ؛ كَمَا شَاهَدْتُ حَالَهُمْ أَكْثَرَ
مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا.

وأيضاً ذَكَرْتُ مَا اتَّفَقَ لِي بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ مَعَ الْقَسِيسِ الْكَبِيرِ فِي
قِرَاءَةِ الرُّقِّ الْمَكْتُوبِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْعَجَمِيَّةِ فِيمَا ذَكَرَ يُوْحَنَّا الَّذِي كَتَبَ
رُبْعَ الْإِنْجِيلِ فِيمَا يَكُونُ (٣ ب) وَيَخْذُثُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تُفْنَى؛
وأيضاً شَيْئاً مِمَّا كَانَ مَكْتُوباً فِي الْكُتُبِ الَّتِي وَجَدْتُ تَحْتَ الْأَرْضِ
فِي تَارِيخِ أَلْفٍ وَثَلَاثَ سِنِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ أَوْ قَرِيباً مِنْهَا مَكْتُوبَةً فِي

١ الكلمة مطموسة في التصوير.

وَرَقِ الْآنَكَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ عَهْدِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - أَوْ قَرِيباً مِنْهُ؛

وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِي الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ النَّصَارَى وَكَيْفَ لَطَفَ اللَّهُ بِنَا وَفَكَّنَا مِنْهُمْ سَالِمِينَ بِفَضْلِهِ . وَذَكَرْنَا أَيْضاً الْأَسْبَابَ الَّتِي قَالَ سُلْطَانُ النَّصَارَى أَنَّهَا حَمَلَتْهُ عَلَى إِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلَادِهِ؛ وَأَيْضاً مَا رَأَيْتُ فِي أَسْفَارِي وَرِحْلَتِي الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيَّةِ وَالْجَوْقِيَّةِ مِنْ [...] ١ وَمَا وَقَعَ لِي مِنَ الْكَلَامِ وَالْمُنَاطَرَاتِ مَعَ النَّصَارَى [...] وَالْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانَ وَآكَابَرِهِمْ فِي أُمُورِ [الدين بـ] بِلَادِهِمُ الْفَرَنْجَةِ وَبِلَادِ قَلْنُضِسْ؛ وَأَيْضاً مَعَ الْيَهُودِ .

[وقراً] ٢ ت ٢ الرِّحْلَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الشَّيْخِ الْفَاضِلِ الْمَذْكُورِ [الذي أمـ] لَرِنِي بِمِصْرَ بِعَمَلِ الْكِتَابِ، وَلَمَّا رَأَيْتُ عَازِماً عَلَى الرُّجُوعِ [لبلا] دِ الْمَغْرِبِ الَّتِي جِئْنَا مِنْهَا لِإِدَاءِ الْفَرَضِ وَزِيَارَةِ [قبرأفـ] ضَلِ مَنْ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَالْوَقْتُ ضَائِقٌ، [أردت] أَكْتُبُ لَهُ مِنْهَا نَسْخَةً - كَمَا كَانَ فِي غَرَضِي - أَمْرَنِي (١٤) أَنْ أَخْتَصِرَ مِنْهَا نُبْذَةً لَطِيفَةً وَتَذَكُّراً مَا وَقَعَ لِي مِنَ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ مَعَ النَّصَارَى . وَهَذَا أَنَا أَشْرَعُ بِعَوْنِ اللَّهِ أَكْتُبُ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ مَا وَقَعَ لِي مِنَ الْمُنَاطَرَاتِ، وَكُلَّ مَسْئَلَةٍ أَلْهَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَوَابِ عَلَيْهَا فِي الْبَحْنِ عَلَى الْبِدِيهَةِ؛ وَأَذَكُرُ نُصُوصَهَا مِنَ الْكُتُبِ بِبُرْهَانِهَا؛ وَإِنْ كَانَ لِي وَقْتُ قَبْلَ الرَّحِيلِ مِنْ مِصْرَ نَكْتُبُ مِنَ الرِّحْلَةِ أَيْضاً مَا وَقَعَ لِي مَعَ عُلَمَاءِ

١ اما بين المعقوفتين من أمثال هذا الموضع لم نستطع إكماله اما لتمزق الورقة أو لطمس النص وبخاصة في الورقة الأولى والأخيرة.

٢ يظهر في الأصل: "ت اقرا" ، وشطب الحجري على "اقرا".

الْيَهُودَ بِالْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَبِسَبَبِهِمْ قَرَأَتْ التَّوْرِيَّةُ الَّتِي هِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ كِتَابًا: الْخَمْسَةُ الْأَوَّلُ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَالْبَاقِي مِنَ الْكُتُبِ فِي التَّوَارِيخِ؛ وَجَدْتُهَا مُتَرَجِّمَةً مِنَ الْعِبْرَانِي إِلَى الْعَجَمِي الَّذِي نَعْرِفُهُ، وَزَادَنِي اللَّهُ تَعَالَى يَقِينًا وَمَحَبَّةً فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ. نَسْتَلُّهُ سُبْحَانَهُ بِجَآءِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُلْطَفَ بِي فِي الدَّارَيْنِ وَأَنْ يُخْتَمَ لِي بِالسَّعَادَةِ وَلِمَنْ يَقْرَأَ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ يَسْمِعُهُ وَأَنْ يَخْصَّ مِنْ فَضْلِهِ مَنْ أَمَرَنِي بِكُتُبِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ فَضْلِهِ وَخَيْرِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَنْ يُنْصِرَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى (٤ب) الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

وَقَدْ سَمَّيْتُ الْكِتَابَ بِ: نَاصِرِ الدِّينِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَهُوَ: السِّيْفُ الْأَشْنَهَرُ عَلَى كُلِّ مَنْ كَفَرَ وَجَعَلْتُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَابًا:

البَابُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ مَا وَقَعَ لِي بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ مَعَ الْقَسِيسِ الْكَبِيرِ فِي شَأْنِ الرِّقِّ الَّذِي وَجَدَ فِي الصُّومَعَةِ الْقَدِيمَةِ وَشَيْءٌ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي وَجَدْتُ فِي خَنْدَقِ الْجَنَّةِ بِقُرْبِ مَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ مَكْتُوبَةً بِالْعَرَبِيَّةِ فِي وَرَقٍ مِنْ رِصَاصٍ مِنَ الزَّمَنِ الْقَرِيبِ بَعْدَ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

البَابُ الثَّانِي: فِي قُدُومِنَا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا اتَّفَقَ لَنَا عِنْدَ خُرُوجِنَا مِنْ بَيْنِ النَّصَارَى سَالِمِينَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ كُنَّا فِي أَيْدِيهِمْ مُتَعَرِّضِينَ لِلْهَلَاكِ بِلُطْفٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

البَابُ الثَّالِثُ: فِي بُلُوغِنَا إِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشْ، وَمَا كَانَ السَّبَبُ إِلَى أَنْ مَشَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ بَعْدَ أَنْ جَلَسْتُ بِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.

البَابُ الرَّابِعُ: فِي رُكُوبِنَا الْبَحْرَ الْمُحِيطَ وَبَلُوغِنَا إِلَى فَرَنْجِهِ إِلَى مَدِينَةِ مَرَسِ الْبَرَكَةِ؛ وَتُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِ: هَبْرِدْغَرَسِي؛ ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ رُؤَانَ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِيهَا.

البَابُ الْخَامِسُ: (٥أ) فِي قُدُومِنَا إِلَى مَدِينَةِ بَرِيَشْ؛ وَهِيَ دَارُ سَلْطَنَةِ الْفَرَنْجِ؛ وَذَكَرُ حَالِهَا وَعَظَمِهَا وَمَا اتَّفَقَ لَنَا مَعَ بَعْضِ النَّصَارَى مِنَ الْمُنَظَرَاتِ.

البَابُ السَّادِسُ: فِي قُدُومِنَا بِكُتُبِ السُّلْطَانِ إِلَى قَاضِيِ الْإِنْدَلَسِ وَقَاضِيِ الْقَضَاةِ بِمَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ، وَذَكَرُ مَا زَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَابِ فِي دِينِ النَّصَارَى؛ وَذَكَرَ الْبَابُ جِوَانَ الَّذِي كَانَ إِمْرَاءَةً فَفَضَحَهُ اللَّهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ.

البَابُ السَّابِعُ: فِي رُجُوعِنَا إِلَى بَرِيَشْ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا مِنْ الْمُنَظَرَاتِ مَعَ عُلَمَاءِ النَّصَارَى فِي شَأْنِ الدِّينِ.

البَابُ الثَّامِنُ: فِي قُدُومِنَا إِلَى أُلُونَةِ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِيهَا.

البَابُ التَّاسِعُ: فِي قُدُومِنَا إِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ وَمَا وَقَعَ لَنَا فِيهَا مِنَ الْمُنَظَرَاتِ مَعَ النَّصَارَى الْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانَ وَالْقَضَاةَ وَقَضَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْغَرَضِ الَّذِي مَشَيْتُ بِسَبَبِهِ.

البَابُ الْعَاشِرُ: فِي مُنَظَرَاتِ الْيَهُودِ بِفَرَنْجَةِ وَفَلَنْضِسْ.

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ قُدُومِنَا إِلَى فَلَنْضِسْ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِيهَا.

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ: فِيمَا اتَّفَقَ لَنَا فِي مِصْرَ مَعَ رَاهِبٍ عَالِمٍ كَانَ بِالْغَا (٥ ب) فِي فُنُونِ الْعِلْمِ مِنْ عُلُومِهِمْ.

البَابُ الثَّلَاثُ عَشَرُ: فِي ذِكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ مِنْ
فَضْلِهِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا.

الباب الأول

فِي حِطْرٍ مَا وَفَّعَ لِي بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ مَعَ الْقَسِيسِ الْكَبِيرِ فِي شَأْنِ
قِرَاءَةِ الرِّقِّ الَّذِي وَجَدَ فِي الصُّومَةِ؛ وَإِخْصَاءَ بَعْضِ مَا سَمِعَ مِنْهُ مِنْ
الْكِتَابِ الْمَكْتُوبَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي وَرَقِ الرَّحَاسِ.
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ هُوَ فِي الرِّخْلَةِ فِي الْبَابِ الثَّانِي تَقَرَّرُ مِنْهَا

إِعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ فِي عَامِ سِتٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعَ مِائَةٍ مِنَ
الهِجْرَةِ؛ وَمِنْ حِسَابِ النَّصَارَى عَامِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ
وَأَلْفٍ؛ أَمَرَ الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ بِهَذِهِ صُومَةُ قَدِيمَةٍ
كَانَتْ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ وَكَانَتْ تُسَمَّى مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ثَرْبَانَةَ قَبْلَ
الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَنَوْا صُومَةَ قَرِيبَةً مِنْهَا عَالِيَةً جَدًّا. وَلَمَّا أَنْ
هَدَمُوا الْقَدِيمَةَ وَجَدُوا فِي حِيطِهَا صَنْدُوقًا مِنْ حَجَرٍ وَفِي دَاخِلِهِ
صَنْدُوقًا مِنْ رَصَاصٍ وَفِيهِ وَجَدُوا رَقًّا كَثِيرًا مَكْتُوبًا بِالْعَرَبِيَّةِ (١٦)
وَالْعَجَمِيَّةِ الْمُتَصَرِّفَةِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَنِصْفُ خِمَارِ الصَّالِحَةِ مَرْيَمَ
- عَلَيْهَا السَّلَامُ - أُمُّ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَظْمًا مِنْ
جَسَدِ إِسْطِبَّانِ الصَّالِحِ - عِنْدَهُمْ - .

فَأَمَّا مَا كَانَ فِي الرِّقِّ بِالْأَعْجَمِيَّةِ فَقَرَأَ ؛ وَمَا كَانَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَنَادَا
الْأَكِيحْلَ الْأَنْدَلُسِيَّ - كَانَ تُرْجَمَانًا بِالْإِجَازَةِ - وَالشَّيْخَ الصَّالِحُ الْجَبَّسَ
وَعَزَّزُهُمَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْكِبَارِ السَّنَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْقِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةَ؛
وَأَمَرَهُمُ الْقَسِيسُ بِتَرْجُمَةٍ مَا فِي الرِّقِّ مِنَ الْعَرَبِيِّ: كُلُّ وَاحِدٍ وَخَذَهُ؛
وَتَارَةً يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ؛ وَلَمْ يُحِيطُوا بِفَهْمِهِ حَقِيقَةً؛ وَالْقَسِيسُ الْكَبِيرُ تَعَلَّمَ
يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ .

وَبَعْدَ أَنْ وَجَدُوا الرِّقَّ بِسَبْعِ سِنِينَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مَدِينَةِ جَبَانَ
 بِبَعْضِ كُتُبِ بَعْثِهَا لَهُ بَعْضُ الْأَسَارَى مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِيهَا ذِكْرُ
 كُنُوزٍ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ . فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِقُرْبِ غَرَتَاطَةَ عَلَى
 بُعْدِ مِيلٍ مِنْهَا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَكَانَ الْمَوْضِعُ يُسَمَّى : بِخَنْدَقِ الْجَنَّةِ ؛
 فَحَرَكَ حَجَرًا وَوَجَدَ تَحْتَهُ غَارًا وَفِي رُكْنِ الْغَارِ رَمَادًا وَرَصَاصًا
 مَكْتُوبًا بِاللُّطِينِ يَقُولُ فِيهِ : هَذَا الْمَوْضِعُ أُحْرِقَ فِيهِ الْقَيْسِيُّ سِسْلِيُّوهُ .
 وَهَذَا (٦٦) سِسْلِيُّوهُ كَانَ الَّذِي كَتَبَ الرِّقَّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى كَانَ
 عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ خَبَرٌ بِمَوْتِ سِسْلِيُّوهُ وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ تَلْمِيزِ سَيِّدِنَا
 عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنَّهُ قُتِلَ عَلَى دِينِهِ وَأَنَّهُ مِنْ الشُّهَدَاءِ
 عِنْدَهُمْ وَلَا عِلْمُوا مَوْضِعَهُ .

وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُقْتَلُ عَلَى دِينِهِ مِنَ الْقَيْسِيِّينَ يُثْبِتُونَ
 اسْمَهُ مَعَ الصَّالِحِينَ وَيَذْكُرُونَ مَوْضِعَهُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ لَتَرُورَهُ النَّاسُ .
 فَأَمَرَ الْقَيْسِيُّ الْكَبِيرُ بِالْدُخُولِ فِي الْغَارِ ؛ وَيَنْظُرُونَ فِيهِ وَيَقْتَسِمُونَ
 لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ كُتُبَهُ الْمَذْكُورَةَ فِي رُومَةٍ فِي دَارِ دِينِهِمْ وَمَوْضِعِ الْبَابِ
 الَّذِي هُوَ كَبِيرُ الْقَيْسِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ وَإِمَامُ جَمِيعِهِمْ .

وَالْخَبَرُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ : أَنَّ سِسْلِيُّوهُ الْقَيْسِيُّ الْكَبِيرُ :
 أَعْتِيَ مِنَ الْإِسْكُفَةِ - كَانَ عِنْدَهُ أَسْرَارٌ وَأُمُورٌ رَبَّانِيَّةٌ مِنْ زَمَانِ
 سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ ؛ وَأَنَّهُ أَوْدَعَهَا مَكْتُوبَةً
 فِي جَبَلٍ يُسَمَّى ب : إِبْلِطَانْ ؛ وَبَحَثَ وَاحِدٌ مِنَ الْبَابَا عَنْ هَذَا الْجَبَلِ
 وَقِيلَ لَهُ أَنَّهُ بِإِطَالِيَّةٍ ؛ فَأَمَرَ أَنْ يُحْقَرَ كُلُّهُ وَيُغْرَبَلَ تُرَابُهُ فِي طَلَبِ
 الْكُتُبِ وَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا . وَسَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ فِي مَدِينَةِ غَرَتَاطَةَ مِنْ

النَّاسِ وَلَا تَحَقَّقْتُ حَتَّى (١٧) سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ الْقَسِيسِ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُهُ ؛ وَذَكَرَ لِي الْحِكَايَةَ كَمَا سَمِعْتُهَا مِنْ غَيْرِهِ .

وَلَمَّا فَتَشَوْا فِي الْغَارِ وَجَدُوا بَعْضَ الْحَجَارِ مَعْقُودَةً فَكَسَرُوهَا وَوَجَدُوا فِي قَلْبِ كُلِّ حَجَرٍ كِتَابًا وَوَرَقَةً رَصَاصًا ؛ وَكُلُّ وَرَقَةٍ قَدْرُ كَفِّ الْيَدِ أَوْ أَقَلِّ قَلِيلًا ؛ وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَرَبِيَّةِ ؛ فَأَمَرَ الْقَسِيسُ الْأَنْدَلُسِ الْمَذْكُورِينَ وَهُمْ الْأَكِيحَلُ وَالْفَقِيهَ الْجَبْسُ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - وَغَيْرَهُمَا بِتَرْجَمَةِ الْكُتُبِ . فَوَجَدُوا فِي أَحَدِهَا ذِكْرُ الرِّقِّ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِيهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ الْعَهْدِ يَنْحَوِ السَّبْعَ سِنِينَ ؛ فَأَشْتَدَّ حِرْصُهُمْ عَلَى فَهْمِ مَا فِي الرِّقِّ ؛

وَوَاحِدٌ مِنَ الْقَسِيسِينَ الْمُقَرَّبِينَ لِلْقَسِيسِ الْكَبِيرِ كَانَ يَتَعَلَّمُ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ كَانَ يُلْزَمُ الْحَكِيمُ مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي الْعَاصِي - حَقِيدُ الشَّيْخِ الصَّالِحِ الْجَبْسُ الْمَذْكُورِ ؛ أَنَّهُ كَانَ يُتَرْجِمُ الْكُتُبَ ؛ وَمِنْ أَجْلِ جَدِّهِ كَانَ يَقْرَأُ بِحَضْرَةِ النَّصَارَى بِالْعَرَبِيَّةِ - وَالْكِتَابُ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ لِلْقَسِيسِ يُسَمَّى بِنَزْهَةِ الْمُشْتَقَاتِ فِي إِخْتِرَاعِ الْأَفَاقِ وَكَنْتُ أَخْضَرُ مَعَهُمَا ؛ وَلَمْ نَظْهَرْ لِلنَّصْرَانِي أَنَّنِي نَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ لِمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ (٧ ب) فِيمَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ . وَبَيْنَمَا كَانَ يَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ كَانَا يَتَوَقَّفَانِ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ وَفَهُم مَعْنَاهَا فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُمَا : لَعَلَّهُ كَذَا ! فَيَجِدَاهُ كَذَلِكَ . وَنَظَرَنِي الْقَسِيسُ وَقَالَ : أَنْتَ تَعْرِفُ تَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا تَخَفْ لِأَنَّ الْقَسِيسَ الْأَعْظَمَ يَطْلُبُ عَلَيَّ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ الْقِرَاءَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ لَعَلَّهُ يُبَيِّنُ شَيْئًا مِمَّا ظَهَرَ مَكْتُوبًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ .

وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِهِ ؛ وَكَانَ عِنْدَهُ كُتُبٌ فِي كُلِّ فَنٍّ وَلِسَانٍ ؛ وَأَخْرَجَ لِي كُتُبًا بِالْعَرَبِيَّةِ ؛ فَقَرَأْتُ وَتَرْجَمْتُ لَهُ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَوَقَّفُ فِيهَا . ثُمَّ لَقَانِي يَوْمًا آخَرَ وَقَالَ لِي : الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ أَمَرَ أَنْ

تَمْشِي مَعِيَ إِلَى حَضْرَتِهِ؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي: كَيْفَ الْخَلَاصُ وَالنَّصَارَى
تَقْتُلُ وَتَحْرِقُ كُلَّ مَنْ يَجِدُونَ عِنْدَهُ كِتَاباً عَرَبِيّاً أَوْ يَغْرِفُونَ أَنَّهُ يَقْرَأُ
بِالْعَرَبِيَّةِ؟ وَأَمَّا مَا ذَكَّرْنَا مِنَ الْمُتَرْجِمِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فَكَانُوا شَيْوِخاً
وَيَسْتَغْذِرُونَ بِأَنَّهُمْ تَعَلَّمُوا الْقِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي صُغَرِهِمْ بِقُرْبِ عَهْدِ
الْإِسْلَامِ؛ وَأَمَّا الْحَكِيمُ أَبُو الْعَاصِي كَانَ يَقْرَأُ لِأَجْلِ جَدِّهِ لِأَنَّهُ مُتَرْجِمٌ
- كَمَا قُلْنَا -؛ وَمَاذَا أَقُولُ أَنَا إِذَا سَأَلَنِي عَنْ مَنْ (٨ أ) عَلَّمَنِي؟
وَفِي الطَّرِيقِ كَانَ يَقُولُ لِي الْقَسِيسُ: قُلْ لِلسَّيِّدِ الْعَظِيمِ إِنَّ الْمُتَرْجِمِينَ
مَا عَرَفُوا شَيْئاً؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي: عَكْسُ هَذَا أَقُولُ؛ لِأَنِّ أَصْحَابَ
الدَّعَاوِي يَفْتَضِحُونَ.

وَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا إِلَى حَضْرَتِهِ، فَاقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ لِي: ذَكَرَ لِي
الْقَسِيسُ مَلْضُنْضُ أَنَّكَ تَحْسِنُ الْقِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةَ ! قُلْتُ: لَيْسَ أَنَا مِنَ
الْبَالِغِينَ فِيهَا. قَالَ: أَيْنَ تَعَلَّمْتَ؟ قُلْتُ: أَعَلَّمَ أَبُوهُ السَّيِّدُ إِنَّنِي أَنْدَلُسِي
مِنَ الْحَجَرِ الْأَحْمَرِ وَكَلَامُنَا فِيهِ فَهُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ ثُمَّ تَعَلَّمْتُ نَقْرًا
بِالْعَجَمِيَّةِ ثُمَّ مَشَيْتُ إِلَى مَذْرِيلٍ - بَلَدِ السُّلْطَانِ - فَوَجَدْتُ فِيهَا رَجُلًا
طَبِيبًا أَنْدَلُسِيًّا مِنْ بِلَادِ بِلَنْسِيَّةِ اسْمُهُ فَلَانَ وَعَلَّمَنِي نَقْرًا بِالْعَرَبِيَّةِ
وَجَأَنِي سَهْلًا لِكُونِي عَرَبِيًّا فِي الْأَصْلِ. ثُمَّ قَالَ لِي: وَأَيْنَ مُعَلِّمُكَ
الطَّبِيبُ؟ قُلْتُ: مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَبْلَ هَذَا الْعَهْدِ بِنَحْوِ السَّنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ
- وَكَلَّمَا قُلْتُ لَهُ فِيمَا سَأَلَنِي عَنِ الطَّبِيبِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ بِلَادِ بِلَنْسِيَّةِ
كَذِبٌ؛ وَلَكِنْ كَانَتْ الْقِرَاءَةُ بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ بِلَنْسِيَّةِ مُبَاحَةً فِي غَيْرِ
دِينِ الْإِسْلَامِ وَمَمْتَوَعَةً لِسَائِرِ أَهْلِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَتَسْتَرْتُ
بِالْكَذِبِ مِنْ شَرِّهِمْ؛ وَقَدْ ذَكَرَ الْغَزَالِيُّ (٨ ب) نَفْعَ اللَّهِ بِهِ - فِي
كِتَابِ الْأَحْيَاءِ: إِنَّ جَارَ عَلَيْكَ إِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ ثُمَّ جَاءَ فِي طَلَبِهِ

رَجُلٌ ظَلَمَ سَائِلًا عَنْهُ لِيَضُرَّهُ فَقُلَّ لَهُ: مَشَى مِنْ تِلْكَ النَّحْيَةِ بِعَكْسِ مَا مَشَى مِنْهَا لِيَنْجُو الْمَطْلُوبُ مِنْ ظُلْمِ طَالِبِهِ؛ وَإِنَّ الْكَذِبَ فِي مِثْلِ هَذَا جَائِزٌ بَلْ مَذْدُوبٌ إِلَيْهِ؛ مَعَ أَنْ الْإِرْشَادَ وَاجِبٌ. وَظَهَرَ لِي أَنَّ الَّذِي مِنْ عَادَتِهِ الصَّدَقُ فِي كَلَامِهِ إِذَا كَذَبَ فِيمَا يَجُوزُ لَهُ الْكَذِبُ مُضْطَرًّا إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَقْبَلُ مِنْهُ قَوْلُهُ وَيَصَدِّقُ فِيمَا يَقُولُهُ.

ثُمَّ أَمَرَ الْقَسِيسُ بِإِحْضَرِ الرَّقِّ - وَكَانَ فِي الطُّورَةِ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَّةِ بِحُرُوفٍ غَيْرِ مَنْقُوطَةٍ: يَا طَالِبُ اللَّغْزِ أَقْرِنْ وَإِنْ لَمْ تَقْرِنْ لَمْ تُحِطْ بِفَهْمِ الْجَفْرِ؛ فَسَأَلَنِي عَنِ الْمَعْنَى بِالْعَجَمِيَّةِ فَذَكَرْتُهُ لَهُ قَالَ لِي: اتَّأَعَدَّا، قُلْتُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلَمَّا أَنْ جِئْتُ أَعْطَانِي الرَّقِّ وَقَالَ لِقَسِيسِ عَالِمٍ شَهِيرٍ مَحْمُودٍ عِنْدَهُمْ أَسْمُهُ رَايَةً: أَقْعُدْ مَعَهُ وَاكْتُبْ مَا يَقُولُهُ لَكَ. وَكَانَ فِي أَغْلَاةِ مَكْتُوبٍ: جَفَرُ الْمُنْجِيلِ يُوحِنَا فِي خَرَبِ الْوُجُودِ؛ ثُمَّ فِي صَدْرِ الْمَكْتُوبِ: بِسْمِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الْمُلْتَبِيَّةِ. فَاحْتَجْتُ كِتَابًا (١٩) فِي اللُّغَةِ إِلَى فَهْمِ مَعْنَى الْمُلْتَبِيَّةِ؛ وَأَعْطَانِي الْقَسِيسُ كِتَابَ الْجَوْهَرِيِّ فِي سِفْرَيْنِ؛ وَفَهِمْتُ مِنَ الْمُلْتَبِيَّةِ أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ لُبِّ الشَّيْءِ مَعْنَاهُ: الذَّاتُ السَّادِجَةُ الْخَالِصَةُ؛ لَا مُرَكَّبَةٌ وَلَا مَمْزُوجَةٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ سَيِّدَنَا عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ الْقَسِيسُ سِبْطِيُّوهُ كَاتِبُهُ^١ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ مَشَى فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى مَدِينَةِ أَطِينَاشٍ بِيِلَادِ الْيُونَانِ حَيْثُ يُقْرَأُ الْعِلْمُ بِكُلِّ لِسَانٍ^٢؛ وَأَنَّ بَعْدَ زَمَنِ مَشَى إِلَى زِيَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَنَّ فِي الطَّرِيقِ بَفْسَادٍ

^١ استدرك الحجري هذه اللفظة في الحاشية مع الرمز: "صح".

^٢ هنا يظهر النص: "ومن جملته بالعربي" وقد شطبه الحجري.

الْأَزْمَنَةَ وَالرِّيَّاحَ أَصَابَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ زِيَارَتِهِ بِدَاءِ مَرَضِ الْعَيْنَيْنِ حَتَّى غَشِيَ الْبَصَرَ بِالْبَيَاضِ، وَأَنَّ الْمُوَكَّلَ بِنَيْتِ الْمَقْدَسِ أَخْرَجَ إِلَيْهِ جَفْرَ الْحَوْرِيِّ يُوْحِنَّا الَّذِي كَتَبَ رَبُّعُ الْأَنْجِيلِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ فِيهِ سِرًّا عَظِيمًا، وَيَنْصَفُ خِمَارَ الصَّالِحَةِ^١؛ وَأَسْتَشْفَى بِهِ وَأَرْتَدَّ عَلَيْهِ بَصَرُهُ. ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ نُسْخَةً بِالْيُونَانِي وَتَرْجَمَهُ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ^٢ الْمُتَصَرِّفُ بِإِسْطَبَانِيَّةٍ - وَهِيَ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ - وَأَدْخَلَهُ فِي جَذُولٍ مِنْ تِسْعٍ وَارْبَعِينَ بَيْتًا وَوَضَعَ فِي كُلِّ بَيْتٍ حَرْقًا مِنَ الْعَجَمِيِّ ثُمَّ وَضَعَ تَحْتَ الْجَذُولِ شَرْحًا بِالْعَرَبِيَّةِ.

وَلَمَّا تَرْجَمْتُ الْعَرَبِي (٩ب) الَّذِي ذَكَرْنَاهُ الشَّرْحَ؛ فَكُنْتُ أَخَذُ مِنَ الْعَجَمِيِّ الَّذِي هُوَ الْمَثْنُ - وَبِالْمَغْرِبِ يُسَمَّى بِالْأَمِّ - إِلَى أَنْ أَجِدُ عَلَامَةَ الْوَقْفِ؛ ثُمَّ أَخَذُ مِنَ الْعَرَبِيِّ - وَهُوَ الشَّرْحُ - مَا يُنَاسِبُهُ؛ فَجَاءَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا وَمَفْهُومًا. وَهُوَ كَمَا ذَكَرَ فِي الطُّرَّة: يَا طَالِبَ اللَّغْزِ أَقْرِنْ؛ وَالْأَقْرَانُ: هُوَ لِشَيْئَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ يَجْمَعُهُمَا.

وَأَمَّا مَا تَرْجَمَ بِهِ كُلُّ مَنْ سَبَقْنَا - وَكَانَ فِيهِمْ أَعْلَمُ مِنِّي - فَتَرْجَمَ الشَّرْحَ وَخَذَهُ وَلَا فَهْمَ مَعْنَاهُ. وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ قَرَأَ "الْمُلْتَبِيَّةَ" بِأَنَّ قَالَ: بِسْمِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الْمُتَلَّثَّةِ؛ وَذَلِكَ كَذِبٌ؛ لِأَنَّ حُرُوفَ "الْمُلْتَلَّةِ" خَمْسَةٌ وَ"الْمُلْتَبِيَّةِ" سَبْعَةٌ.

فَقَرِحَ الْقَسِيسُ فَرَحًا عَظِيمًا بِمَا تَرْجَمْتُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْحَقُّ وَأَعْطَانِي ثَلَاثَ مِائَةِ رِيَالًا وَأَيْضًا كِتَابًا بِالْإِذْنِ لِلتَّرْجَمَةِ مِنَ الْعَرَبِيِّ إِلَى الْعَجَمِيِّ وَبِالْعَكْسِ؛ وَأَمَتَّدَ الْخَبَرَ عِنْدَ النَّصَارَى حَتَّى

^١ "ونصف حمار الصالحة"، استدركها الحجري في الحاشية.

^٢ أضاف الحجري هذه اللفظة في الحاشية بعد "باشبانية"، وموضعها المناسب حيث وضعناها.

كَانُوا يَشِيرُونَ إِلَيَّ وَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِمُ الرَّقُّ الَّذِي وُجِدَ فِي الصُّومَةِ. وَقَدْ مَضَتْ نَحْوُ الْعَشْرِ سِنِينَ بَعْدَ أَنْ وُجِدَ؛ فَأَمَرَنِي الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ أَنْ أَكْتُبَ نُسْخَةً مِنَ الرَّقِّ؛ وَبَعَثَهَا (١١٠) لِلْبَابَا لِمَدِينَةِ رُومَةَ.

وَبَعْضُ مَا تَضَمَّنَ الْجَفَرُ؛ قَالَ فِي الْعَجَمِيِّ الْمَكْتُوبِ فِي الرَّقِّ شَيْئًا مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ كَمَالِ سِتِّتِ قُرُونٍ مِنْ مِيلَادِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ فِي الشَّرْحِ الْعَرَبِيِّ: الْقُرْنُ مِائَةُ سَنَةٍ:

مِنْ عَمَرَاتِ الشَّرْقَيْنِ أَتَى مَلِكٌ جَانِي بِالْإِنْشِرَارِ
عَلَى الْوُجُودِ قَائِمٌ بِتَمَامِ الْقَدْرِ قَدْ أَنْتَصَرَ
يَا مَالِكًا دَائِمًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ أَيْنَ الْفِرَارِ

* * *

وَمَلِكٌ يَتَحَكَّمُ عَلَى الْوُجُودِ كُلَّهُ إِلَى الْغُرُوبِ
وَدِينٌ يَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ قَدْ أَمَلَهُ مِنَ الْعُيُوبِ
وَالسِّرُّ يَتَفَهَّمُ بِمَا الْقَدَرُ أَعْطَاهُ عَلَى الذُّنُوبِ

فَتَرَجَمْتُ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَاتِ. وَالْمَفْهُومُ مِنْهَا عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَّهُ وَلِدٌ لِأَخَذَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسِتِّ مِائَةً مِنْ مِيلَادِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَعِنْدِي أَنَّهُ وَلِدٌ قَبْلَ ذَلِكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَاشْتَهَرَ دِينُهُ فِي السَّادِسَةِ. وَقَدْ رَأَيْتُ نَصْبَةً وَلَادَتِهِ مُعَدَّلَةً فِي كِتَابِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي الرَّجَالِ بِتَارِيخٍ وَلَادَتِهِ مُحَقَّقَةٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي مَعْنَى "الْجَانِي" وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُتَرَجِمِينَ؛ لِأَنَّ الْأَسْمَ لَهُ

مَعْنَيَانِ؛ فَأَمَّا الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْجَبَّسُ وَمَا تَرَجَمْتُ أَنَا؛ قُلْنَا: هُوَ إِسْمُ فَاعِلٍ مِنْ "جَنَى"؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَنَى الْجَنَيْنِ ذَانِ﴾ •

وَلَمَّا تَرَجَمْتُ أَنَّ "دِينَهُ يَتَقَدَّمُ" (١٠ب) عَلَى مَنْ قَدْ أَمَلَهُ مِنَ الْعُيُوبِ، فَقَالَ الْقَسِيسُ: كَيْفَ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ؟ قُلْتُ: أَنْتَ تَعْرِفُ تَقْرَأُ؛ وَأَتَرَجِّمُ لَكَ كُلَّ كَلِمَةٍ وَحَدَّهَا حَتَّى مَا أَصَابَ مَا يَقُولُهُ؛ وَقَدْ كَرِهَ ذَلِكَ كَثِيرًا؛ لَأَنَّ الْكُفَّارَ هُمُ الَّذِينَ أَمَلَوْهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَتَقَدَّمَ دِينُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لآيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرْسَلْنَا بِالْهَدْيِ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وَهُوَ مَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: أَنَّ دِينَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَقَدَّمُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَلَوْهُ مِنَ الْعُيُوبِ •

وَكَانَ فِي أَسْفَلِ الرِّقِّ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَّةِ أَوَّلُ مَا صَدَّرَ يُوحَنَّا فِي الْإِنْجِيلِ - كَتَبَهُ بَطْرِسِي؛ قَسِيسٌ خَدِيمٌ سِسِيلْيُوه - وَقَالَ: أَنَّهُ أَمَرُهُ أَنْ يَضَعَهُ فِي مَوْضِعٍ خَفِي حَتَّى يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَهُ؛ وَأَنَّهُ وَضَعَ الصَّنْدُوقَ فِي حَيْطِ الصُّومَعَةِ خَوْفًا مِنَ السُّلْطَانِ نَيْرُونِ • وَلَمَّا تَرَجَمْتُ ابْتِدَاءَ الْإِنْجِيلِ وَمَا ذَكَرَ فِيمَا كَتَبَ؛ قَالَ لِي الْقَسِيسُ: أَنْظِرْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ! هَلْ لَهَا مَعْنَى غَيْرُ هَذَا؟ قُلْتُ: لَيْسَ لَهَا إِلَّا هَذَا الْمَعْنَى؛ قَالَ: فَاتْرُكْ مَوْضِعَ الْكَلِمَةِ أَيْضًا لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْإِنْجِيلِ الَّذِي بَايَدْنَا (١١١). قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الَّذِي كَتَبَ فِي زَمَنِ سَيِّدِنَا عِيسَى أَوْ بَاطِرِهِ فَهُوَ عِنْدِي أَصَحُّ مِنَ الَّذِي عِنْدَهُمُ الْآنَ •

وَأَيْضاً كَانَ فِي الْجَفْرِ مَكْتُوبٌ؛ يَقُولُ: مِنْ أَقْصَى الْمَغْرِبِ عَلَى
مَاءِ الْبَحْرِ يَأْتِي سَرِيعٌ أَقْوَامٌ إِلَى بِلَادِ النَّصَارَى وَتَصِلُ الْهَمَلَى إِلَى
رُومَةٍ. وَذَكَرَ مِمَّا يَنْزِلُ بِالنَّصَارَى مِنَ الشَّرِّ وَالْخُسْرَانِ شَيْئاً كَثِيراً
وَقَالَ عَنْ ذَلِكَ وَعَلَامَتِهَا - أَعْتَبِي: مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْغَلَبِ -
إِذَا يَأْتِي الْوَقْتُ بِالْإِنْفِصَالِ، مَدِينَةُ الْبَحْرِ يَمْلِكُهَا الشَّرْقِيُّ بِلَاءَ مُحَالٍ؛
وَلَمْ يُشَكَّ أَحَدٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ إِنَّ الشَّرْقِيَّ هُوَ سُلْطَانُ الْمَشْرِقِ وَأَنَّهُ
سُلْطَانُ التُّرْكِ - نَصَرَهُ اللَّهُ - .

وَقَالَ لِي الْقَسِيسُ: أَيُّ مَدِينَةٍ تُسَمَّى بِالْعَرَبِيَّةِ "مَدِينَةُ الْبَحْرِ"؟ قُلْتُ:
لَا أَذْرِي! وَلَا كُنْ يَظْهَرُ لِي أَنَّهَا الْبُنْدُوقِيَّةُ لِأَنَّهَا فِي الْبَحْرِ مُبْتَنِيَّةٌ.
فَاعْطَانِي كِتَابَ الْجُغْرَافِيَّةِ بِالْعَرَبِيَّةِ - وَهُوَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَعْمَلُ
النَّصَارَى بِالْقَالِبِ - الْمُسَمَّى بِ: نَزْهَةِ الْمُشْتَقِّ فِي إِخْتِرَاعِ الْأَفْئاقِ؛
وَقَالَ: انْظُرْ هَلْ تَجِدُ هَذَا الْاسْمَ فِيهِ؟ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ ، فَلَمْ أَجِدْهُ.

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَطَالِعُ الْكِتَابَ إِذْ جَاءَ بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ مِنْ بِلَادِي إِلَى
مَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ وَعِلِمْتُ (١ اب) فِي أَيِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْفَنَادِقِ كَانُوا
فَمَشَيْتُ إِلَيْهِمْ وَالْكِتَابُ عِنْدِي. وَبَعْدَ السَّلَامِ وَالْكَلامِ فَتَحْتُ الْكِتَابَ
فَلَمَّا رَأَوْهُ مَكْتُوباً بِالْعَرَبِيَّةِ دَخَلَهُمُ الْخَوْفُ الْعَظِيمُ مِنَ النَّصَارَى؛
وَقُلْتُ لَهُمْ: لَا تَخَافُوا لِأَنَّ النَّصَارَى يَكْرَهُونَنِي وَيَعْظُمُونِي عَلَى
الْقِرَاءَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ. وَكَانَ أَهْلُ بِلَادِي جَمِيعاً يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَرَّاقِينَ مِنَ
النَّصَارَى - الَّذِينَ كَانُوا يَحْكُمُونَ وَيَحْرِقُونَ كُلَّ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ
شَيْءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ أَوْ يَقْرَأُ كُتُبَ الْمُسْلِمِينَ - يَحْكُمُونَ فِي^١؛ وَمِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ الْخَوْفِ الْعَظِيمِ كَانَ الْأَنْدَلُسُ تَخَافُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَلَا

^١ "يحكمون فيه"، استدركها المحجري في الحاشية.

يَتَكَلَّمُونَ فِي أُمُورِ الدِّينِ إِلَّا مَعَ مَنْ كَانَ ذِمَّةً؛ مَعْنَاهُ: ذُو إِمْنَةٍ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ يُحِبُّ يَتَعَلَّمُ شَيْئًا مِنْ دِينِ اللَّهِ وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ. وَلَمَّا كُنْتُ عَازِمًا عَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ كُنْتُ أَعْلَمُ جَمِيعَ مَنْ أَرَادَ يَتَعَلَّمُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فِي بَلَدِي وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي دَخَلْتُهَا. وَلَمَّا رَأَى الْأَنْدَلُسُ الْحَالَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: لَا بُدَّ لِهَذَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْحَرَّاقِينَ، وَبَلَغَ الْحَالُ بِي حَتَّى إِذَا وَقَفْتُ (١١٢) مَعَ جَمَاعَةٍ لِلْكَلامِ نَرَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْسَلُ حَتَّى نَبْقَى وَحْدِي مُتَفَرِّدًا. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَصَدْتُهُمْ وَفَتَحْتُ الْكِتَابَ إِلَيْهِمْ لِنَرِيهِمْ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ إِذْ بَدَّلَ لِي الْخَوْفَ بِأَمْنٍ وَالْعُقُوبَةَ وَالْإِهَانَةَ وَالذُّلَّ بِعِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتَهُ

إِنْ تَلْقَاهُ الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ

وَأَمَّا مَا ذَكَرَ فِي الرَّقِّ: إِنَّ عَلَامَةَ النُّخَسِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى النَّصَارَى يَكُونُ إِذَا أَخَذَ الْمَشْرِقِي مَدِينَةَ الْبَحْرِ؛ فَكُنْتُ قَدْ أَظْهَرْتُ نُسْخَةً مِنَ الرَّقِّ الْمَذْكُورِ لِمَوْلَايَ أَحْمَدَ - سُلْطَانِ مَرَاكُشَ رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ وَاحِدٌ مِنْ قَوَادِهِ: لَوْ كُنْتُ تَبَدَّلُ الْقَافَ بِفَا لَيَقُولَ: أَنْ مَدِينَةَ الْبَحْرِ يَمْلِكُهَا الشَّرِيفُ فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ السُّلْطَانُ؛ قُلْتُ: لَا أَبَدُلُ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

تَنْبِيْهُ:

هَذَا الرَّقُّ الْقَدِيمُ كَانَ مِنْ زَمَانِ سَيِّدَتَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ جِدًّا لِأَنَّ سِسْلِيُوهُ - الَّذِي كَتَبَهُ وَوَضَعَهُ فِي الصُّومُعَةِ

خَوْفًا مِنْ سُلْطَانِ نِرُونٍ - كَمَا قَالَ هُوَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ النَّصَارَى.
فَوُجِدَتْ تَارِيخٌ تَوَلِيَّتِهِ لِلْمَلِكِ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ بَعْدَ سَيِّدَنَا (٢١ب)
عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - . وَأَيْضًا كَانَ كَاتِبًا سِيسْلِيُوهُ هُوَ وَأَخُوهُ لِلْكَتِّبِ
الَّتِي ظَهَرَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ؛ وَالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي ذَلِكَ
الزَّمَانِ حَسْبًا كَانَتْ فِي الرِّقِّ؛ فَحَرَفُ الْقَافِ كَانَ يَنْقُطَتَيْنِ وَهَذَا
بُرْهَانٌ أَنَّ الْمَشَارِقَةَ فِي ذَلِكَ هُمْ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِخِلَافِ الْمَغَارِبَةِ
إِذَا لَا يَجْعَلُونَ لِلْقَافِ إِلَّا نُقْطَةً وَاحِدَةً.

وَمَدِينَةُ الْبَحْرِ الْمَذْكُورَةِ؛ رَجَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ الْبُنْدُاقِيَّةُ أَوْ
مَالِطَةُ لِأَنَّهَا فِي الْبَحْرِ؛ وَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَضَرُّ مِنْهَا. وَقَالَ لِي
الْحَاجُّ يُونُسُ الْحَكِيمُ الْأَنْدَلُسِيُّ: إِنَّ نِهَايَةَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِيهَا
أُسَارَى خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسُمِائَةٍ؛ مِنْهُمْ خَمْسُونَ أَنْدَلُسِيًّا وَالْبَاقِي تُرْكُ
وَأَوْلَادُ عَرَبٍ.

وَكَانَ فِي الرِّقِّ أَيْضًا يَقُولُ: مِنْ الْقَبِيلَةِ يَخْرُجُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ وَلَا
يَعُودُ أَنْتَهَى. أَنْظِرْهُمْ! يَذِلُّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لِأَنَّهُ
بَعْدَ افْتِتَاحِ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ - وَهِيَ الْقَبِيلَةُ -؛ فَبَعْدَ حُجَّةِ الْوُدَاعِ خَرَجَ
مِنْهَا وَلَا عَادَ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا الْكَتِّبُ الَّتِي وَجِدَتْ فِي الْغَارِ فِي خَنْدَقِ الْجَنَّةِ فَكَانَتْ (١١٣)
اِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كِتَابًا؛ وَالْوَرَقُ - كَمَا قُلْنَا - مِنْ الْأَسْرِبِ، أَعْيَى:
مِنْ رِصَاصٍ. وَنَادَى الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ الصُّيَاغَ وَالْمَذُوبِينَ لَعْلَهُمْ
يَصْنَعُونَ مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ بِوَجْهِ وَلَا بِحَالٍ وَلَا تَدْبِيرٍ
وَعَلِمُوا بِذَلِكَ أَنَّ الرِّصَاصَ مُزَجَّ مَعَهُ مَعْدَنٌ آخَرٌ وَلَا عَرَفُوهُ.

وَفِي وَاحِدٍ مِنَ الْكُتُبِ مِنْهَا كِتَابُ الْحِكْمِ لِلصَّالِحَةِ مَرْيَمَ ؛ كَمَا نَقَلَ
 مِنْ نُسخَةِ الْفَقِيهِ الْأَكْبَحَلِ ، الْمُتَرْجِمِ الْأَنْدَلُسِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
 وَأَيْضاً ذَكَرَ الْكَلَامَ بِنَفْسِهِ قَائِداً بِمَدِينَةِ مِرَّاكُشٍ يُسَمَّى بِفَارِسِ ابْنِ
 الْعِلْجِ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَكَانَ عِنْدَهُ الْكَلَامُ مَحْفُوظاً وَمَكْتُوباً -
 قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ بِمَدِينَةِ غَرَتَاطَةَ وَنَادَوْتَنِي إِلَى حَضْرَةِ الْقَاسِمِ الْكَبِيرِ
 وَأَعْطَوْتَنِي كِتَاباً فِي وَرَقٍ مِنْ رُصَاصٍ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي وَجَدْتُ تَحْتَ
 الْأَرْضِ وَقَرَّاتِهِ. وَالَّذِي قَالَ لِي كَانَ مِثْلَ مَا كَانَ مَكْتُوباً مِنْ كِتَابِ
 الْأَكْبَحَلِ . وَقِيلَ: فِي الْكِتَابِ مِائَةُ حِكْمَةٍ وَوَاحِدَةٌ؛ وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا؛
 وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ: يَأْتِي فِي الْوُجُودِ مِنْ بَعْدِ رُوحِ اللَّهِ يَصُوعُ ، نُورٌ
 مِنَ اللَّهِ اسْمُهُ (١٣ ب) الْمَاحِي الْمُنُورُ ، وَبِالْمُعْجَمِ الْبَارَقْلَيْطُسُ ؛ خَاتِمُ
 الْمُرْسَلِينَ تَأْيِيداً ، وَخَاتِمُ الدِّينِ وَنُورُ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا نُورَ لَهُمْ دُونَهُ ؛ وَلَا
 لِلْآخَرِ مِنَ الْعَالَمِينَ ؛ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ بَعْدِ يُسْعَدُونَ حَقَّ السَّعَادَةِ ؛
 وَيَتُورُونَ حَقَّ التَّنْوِيرِ بِالتَّنْوِيرِ الْمُبِينِ مِنَ اللَّهِ ؛ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ لَا حَظَّ
 لَهُ فِي الْجَنَّةِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ كَافِرُونَ ؛ أَنْتَهَى . وَقَدْ قَالَ لِي
 بَتُّوسُ - حَرَسَهَا اللَّهُ - الْفَقِيرُ الْإِمَامُ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّفِيعِ
 الْأَنْدَلُسِيِّ: أَنَّ فِي الْحِكْمَةِ الْمَذْكُورَةِ سَبْعَةَ أَسْمَاءَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ:

(١) نُورٌ مِنَ اللَّهِ

(٢) الْمَاحِي

(٣) الْمُنُورُ

(٤) الْبَارَقْلَيْطُسُ

١) استدرك الحجري هذه الكلمة في الحاشية مع علامة "صح" للدلالة على ان الكلمة من النص.

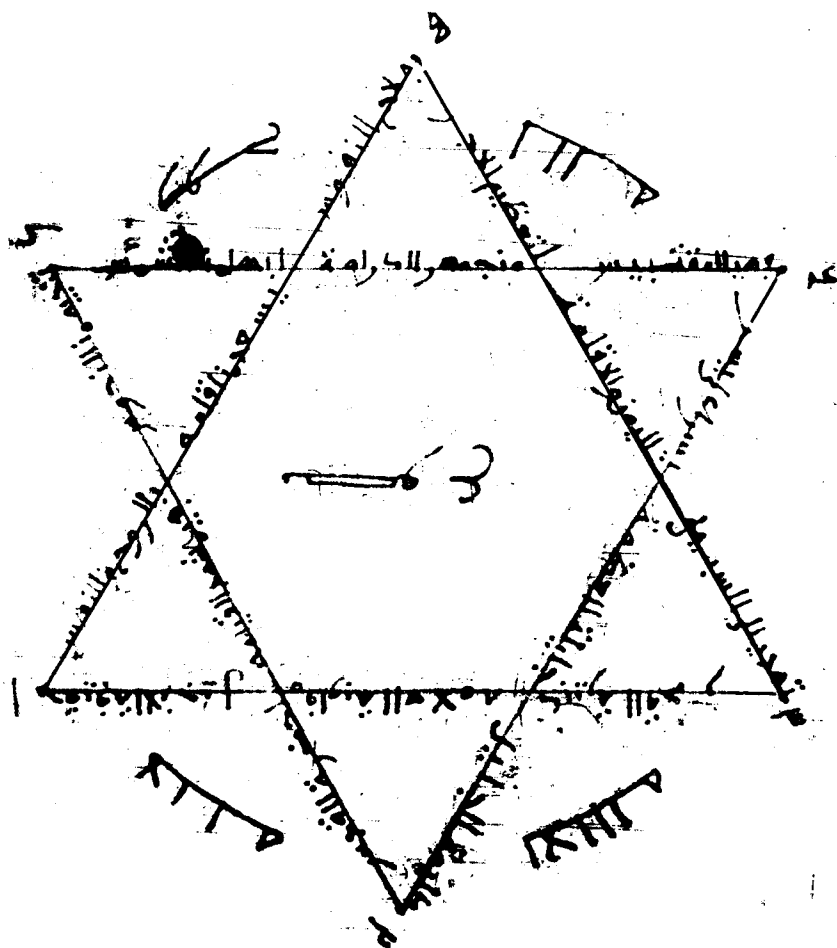
(٥) خَاتِمُ الْمُرْسَلِينَ

(٦) خَاتِمُ الدِّينِ

(٧) نُورُ الْآتِنِيَا

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ حِكْمَةٌ ذَكَرَهَا لِي الْأَكِيحَل - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
تَذُلُّ عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بُرْهَانٌ عَقْلِيٌّ وَهِيَ هَذِهِ: إِنَّ مَاتَ
الظَّالِمُونَ مِنْ غَيْرِ حُكْمٍ وَعَاشَ الصَّالِحُونَ مِنْ دُونِ أَجْرِ فَذَلِكَ دَلِيلٌ
عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ اللَّهَ حَاكِمٌ عَدْلٌ (١٤) وَلَا يَظْلِمُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا.

وَأَمَّا الْكِتَابُ الَّذِي يُرْجَى فِيهِ الْخَيْرُ حَسْبَمَا قَالَ فِي كِتَابِ مَوَاهِبِ
النُّوَابِ لِلصَّالِحَةِ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَنَضَعُهُ فِي آخِرِ كِتَابِنَا هَذَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ قَالَتْ: تَكُونُ النَّاسُ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ مَكْتُوبٌ
كِتَابُ حَقِيقَةِ الْإِنْجِيلِ فِي سَبْعِ وَرَقٍ مِنْ رِصَاصٍ بِحُرُوفٍ لَمْ تُعْرَفْ
فِي زَمَانِنَا؛ وَأُحْضِرَ لِلْقَسَيسِ جَمِيعَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ الَّتِي هِيَ الْآنَ
عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ؛ وَتِلْكَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي الْكِتَابِ مُخْتَلِفَةٌ لِجَمِيعِ
الْحُرُوفِ. وَأَمَّا الْمُتَرْجِمُونَ سَمَوْهُ بِالْكِتَابِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ
قِرَاعَتِهِ. وَكَانَ فِي أَوَّلِهِ خَاتِمُ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَكْتُوبًا
بِالْعَرَبِيَّةِ وَمَا عَدَا الْخَاتِمَ مَكْتُوبًا بِالْحُرُوفِ الَّتِي لَمْ تُقْرَأْ إِلَى آخِرِ
الزَّمَنِ فِي جَزِيرَةِ السَّبْرِ فِي الْبَحْرِ الصَّغِيرِ بِمَشْرِقِ الْبَنْدُوقِيَّةِ؛
وَالْجَدُولُ وَضَعْتُهُ بِمُحَاوَلَةٍ: (١٤ ب)



- ١- حَقِيقَةُ الْإِنْجِيلِ مَقْلُوبَةُ الْعَلَامَةِ كَبِيرَةِ الْقَدْرِ
- ٢- كَلِمَةُ الْجَلِيلِ جَلِيلَةُ الْعِظَامَةِ يُسْرًا عَلَى يُسْرٍ
- ٣- تَهْدِي إِلَى السَّبِيلِ لِلْيُمْنِي وَالْإِقَامَةِ لِتَعْظِيمِ الْأَجْرِ
- ٤- فَهِيَ لِلْمَقْتَبِيسِ مِنْ جُمْهُرِ الْكَرَامَةِ أَبْهَا مِنَ الشَّمْسِ
- ٥- فَلَاحٌ لِلنَّفُوسِ يُسْعِدُ مَنْ أَقَامَهُ بِالرُّوحِ وَالنَّفْسِ
- ٦- تُنْجِيهِ مِنَ النُّحُوسِ فِي مَشْهَدِ الْقِيَامَةِ لِحَضْرَةِ الْقُدُسِ

وَأَيْضًا يُقْرَأُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِثْلُ أَنْ يَبْدَى بِالسَّطْرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالْخَامِسِ ثُمَّ بِالثَّلَاثِ ثُمَّ بِالرَّابِعِ ثُمَّ بِالثَّانِي ثُمَّ بِالسَّادِسِ. وَجَّةٌ آخَرُ فِي الْقِرَاءَةِ: يُقْرَأُ الْأَوَّلُ ثُمَّ الثَّانِي مِنَ الْأَسْطَارِ ثُمَّ الثَّلَاثِ ثُمَّ السَّادِسِ ثُمَّ الْخَامِسِ ثُمَّ الرَّابِعِ؛ وَجَّةٌ ثَالِثٌ: يُقْرَأُ السَّطْرُ الْأَوَّلُ ثُمَّ الثَّلَاثُ ثُمَّ الْخَامِسُ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الرَّابِعُ ثُمَّ السَّادِسُ؛ ثُمَّ وَجَّةٌ رَابِعٌ: يُقْرَأُ الْأَوَّلُ ثُمَّ الثَّلَاثُ ثُمَّ الْخَامِسُ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الرَّابِعُ ثُمَّ السَّادِسُ، وَهُوَ مِنَ الْعَجَبِ (١٥ ب).

وَقَدْ قُلْتُ لِلْقَيْسِ: نَحِبُ نَطَالِيعَ الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يُقَرَّ الْمُسَمَّى بِ: حَقِيقَةُ الْإِنْجِيلِ لَعَلِّي نَسْتَخْرِجُ مِنْهُ شَيْئًا؛ قَالَ لِي: لَمْ يَبْلُغِ الزَّمَنُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ؛ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِ: كِتَابِ مَوَاهِبِ الثُّوَابِ لِلصَّالِحَةِ مَرْيَمَ؛ وَقَدْ وَجَدْتُ فِي تُونِسَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - نُسْخَةً مِنْهُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَأُخْرَى بِالْأَعْجَمِيَّةِ - أَتَى بِالنُّسَخَتَيْنِ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الَّذِي كَانَ يُتَرْجَمُ - وَوَجَدْتُ فِي الْأَعْجَمِيَّةِ الْبَاطِلَ وَالْكَذْبَ مَا لَا كَانَ فِي النُّسْخَةِ الْعَرَبِيَّةِ^١.

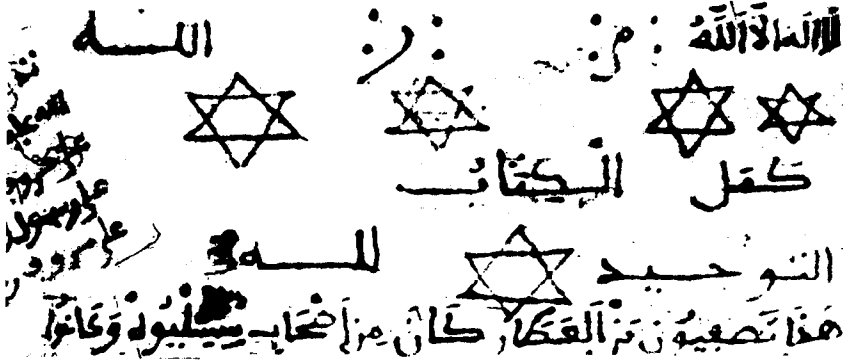
^١ شطب الحجرى على ستة عشر سطراً بعدها ، فلم نستطع قراءتها.

(١٦ أ) وَهَذِهِ عَقِيدَةُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَهِيَ مِنْ كِتَابِ تَصْفِيُونَ ابْنِ الْعَطَّارِ فِي الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ؛ قَالَ: الدَّوَامُ لَا يَزَالُ هُوَ فِي اللَّهِ؛ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ؛ الَّذِي لَيْسَ لِبِدَائِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِفَضِيلَتِهِ انْقِضَاءٌ؛ لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَاتِهِ الْوَاصِفُونَ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَانِيَّةِ ذَاتِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ؛ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ رَأَاهُ عَيْنَ النَّظَرِ؛ مُلْكُهُ لَا يَزَالُ لِأَنَّهُ إِنْ زَالَ مُلْكُهُ مَا كَانَ اللَّهُ؛ وَلَهُ صِفَاتٌ لَا تَتَبَدَّلُ لِأَنَّ إِنْ تَبَدَّلَتْ صِفَاتُهُ مَا كَانَ اللَّهُ. لَهُ جَلَالَةٌ لَا تُدْرِكُ لَانْتِهَاهَا إِنْ أُدْرِكَتْ كَانَ نُقْصَانًا بِهِ؛ لَهُ عَظَمَةٌ لَا تُتَفَكَّرُ لِأَنَّهُ إِنْ انْتَفَكَّتْ عَظَمَتُهُ أَتَاهُ النُّقْصَانُ وَلَيْسَ ذَلِكَ وَاسِعٌ فِيهِ أَبَدًا. هُوَ ذُو عِلْمٍ دُونَ جَهْلِ؛ عِلْمٍ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ. وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ دُونَ نُقْصَانٍ. وَهُوَ ذُو رَحْمَةٍ وَفَضْلٍ دُونَ امْتِنَانٍ. هُوَ (١٦ ب) ذُو عِلْمٍ قُسْطٍ لَا يَقْنَأُ أَبَدًا. لَيْسَ لَهُ إِحْتِيَاجٌ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ لِيَزْدَادَ سُلْطَانُهُ وَلَيْسَ دُونَهُمْ لَهُ نُقْصَانٌ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي مُلْكِهِ. وَكُلُّ مَا خَلَقَ خَلَقَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ دُونَ إِحْتِيَاجٍ. الْمَوْجُودَاتُ كَوْنٌ وَهُوَ الْمَكُونُ؛ لَوْ أَمَرَ الدُّنْيَا بِالْغَرَاقِ بِمَنْ عَلَيْهَا لَدَامَتْ فِي غَرِقٍ مَا دَامَ مُلْكُهُ وَلَا يَزَالُ وَلَا تَصِيبُ مُسْتَقَرًّا لَهَا فِي مَوْضِعٍ. هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. هُوَ مُوَانِسٌ وَلَيْسَ مُوَانِسًا لَهُ. هُوَ ذُو عِلْمٍ مَا دُونَ أَحْتِيَاجٍ مِنْ غَيْرِهِ. هُوَ ذُو رَحْمَةٍ مَا دُونَ نُقْصَانٍ. هُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ : لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ إِلَهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلُهُ. لَيْسَ هُوَ كَمِ وَلَا عَدَدٌ وَلَا فَصْلٌ وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ وَلَا وَهْمٌ وَلَا خِيَالٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا لُغَةٌ وَلَا صَنْعٌ مِثْلَ خِيَالِنَا. هُوَ فَوْقَ الْعُقُولِ لَيْسَ يَوْصَفُ؛ لَهُ الْجَلَالُ وَالْكَمَالُ؛ وَذَلِكَ هُوَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ لَا يَفْهَمُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ. لَهُ الْعَظَمَةُ وَالْعِبَادَةُ

وَالشُّكْرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ وَالْإِيمَانُ مَا دُونَ ذَلِكَ (١٦ ب) خُسْرَانٌ؛
انْتَهَى.

وَكَانَ فِي الْكِتَابِ هَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْخَوَاتِمُ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : م : ر : الله



هَذَا تَصْفِيُونَ ابْنَ الْعَطَارِ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ سَيْلِيُوهُ وَكَانُوا - كَمَا قُلْنَا -
- عَلَى أَثَرِ سَيِّدِنَا عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - وَيُظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ
أَنَّهُ بَرَاءٌ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي تَعْتَقِدُهُ النَّصَارَى فِي هَذَا الزَّمَنِ لِأَنَّهُمْ
يُصَدِّرُونَ فِي ذِكْرِ الْأُلُوهِيَةِ بِالتَّثْلِيثِ؛ وَأَيْضًا سَيْلِيُوهُ مَا قَالَ فِي أَوَّلِ
كِتَابِهِ إِلَّا بِاسْمِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الْمُتَلَتَّبِعَةِ؛ وَالْآنَ يَقُولُونَ: بِسْمِ الْآبِ
وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ إِلَهَ وَاحِدٌ؛ تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ غُلُوءًا كَبِيرًا.

وَلَمَّا أَرَدْتُ الْقُدُومَ إِلَى مَدِينَةِ إِسْطَبِلِيَّةٍ لِنَمُشٍ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ
مَشَيْتُ إِلَى الْقَسِينِ وَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي عَزَمْتُ عَلَى الْقُدُومِ إِلَى بَلَدِي؛
وَأَنْ أَبِي كَتَبَ لِي أَنْ نَمُشِيَ إِلَيْهِ وَأَنْ طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبَةٌ.

١ كُتِبَ الْحَجَرِي بِخَطِهِ فِي الْحَاشِيَةِ: " اللَّهُ اعْلَمْ أَنَّ الْمِيمَ تَدُلُّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالنَّقْطُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى حُرُوفِ الْأَسْمِ وَالرَّاءِ تَدُلُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالنَّقْطُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى حُرُوفِ رَسُولِ اللَّهِ
هِيَ الْأَرْبَعَةُ "

قَالَ لِي: فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ هِيَ وَاجِبَةٌ وَفِي بَعْضِهَا لَا تَجِبُ.

قُلْتُ: لَا بُدَّ لِي مِنَ الْقُدُومِ (٧١ ب)، وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَنَدًا لِلْأَنْدَلُسِ لِأَنَّهُمْ ذُلَالٌ عِنْدَ النَّصَارَى الْقُدَمَاءِ.

قَالَ لِي: اعْلَمْ إِنَّنِي مِنْ جَانِبِهِمْ فِي كُلِّ زَمَنٍ، وَحِينَ قَامُوا عَلَى السُّلْطَانِ كُنْتُ أَنَا قَاضِي الْقَضَاةِ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ وَجَاءَ إِلَيْهَا أَخُو السُّلْطَانِ وَقَبِضَ مِنْ أَعْيُنِ الْأَنْدَلُسِ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا وَقَتْلَهُمْ؛ كُلَّ ذَلِكَ لِيَأْخُذَ أَمْوَالَهُمْ؛ وَكَانَ الْحَقُّ أَنْ يَتْرُكَهُمْ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا مِنَ الْقَوَامِ. وَأَصْحَابُ الْمَالِ وَالنِّعْمَةِ لَا يَسْعَوْنَ إِلَّا فِي أُمُورِ الْعَافِيَةِ لِيَتَتَعَمَّوْا فِيمَا عِنْدَهُمْ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ؛ وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْأَنْدَلُسُ فَيَكُمُ عَادَةٌ غَيْرَ مَحْمُودَةٍ!

قُلْتُ: مَا هِيَ؟

قَالَ: أَنْكُمْ لَا تَمْشُونَ إِلَّا بِغَضِّكُمْ مَعَ بَعْضٍ وَلَا تَعْطُونَ بَنَاتِكُمْ لِلنَّصَارَى الْقُدَمَاءِ وَلَا تَتَزَوَّجُونَ مَعَ النَّصْرَانِيَّاتِ الْقُدَمَاءِ.

قُلْتُ لَهُ: لِمَذَا تَتَزَوَّجُ النَّصْرَانِيَّاتِ الْقُدَمَاءُ؟ وَكَانَ بِمَدِينَةِ إِنْتَقِيرَ رَجُلًا مِنْ قَرَابَتِي عَشَقَ بِنْتًا نَصْرَانِيَّةً؛ فَفِي الْيَوْمِ الَّذِي مَشَوْا فِيهِ بِالْعَرُوسَةِ إِلَى الْكَنِيسَةِ لِيَتِمَّ النِّكَاحُ احْتَجَّاجَ يَلْبَسُ الْعَرُوسُ الزَّرْدَ الْمُهَنْدُ مِنْ تَحْتِ الْحَوَاجِجِ وَأَخَذَ عِنْدَهُ سَيْفًا لِأَنَّ قَرَابَتَهَا حَلَفُوا أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ فِي الطَّرِيقِ؛ وَبَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا بِسِنِينَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ قَرَابَتِهَا بَلْ يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَهُ وَمَوْتَهَا؛ وَالنِّكَاحُ لَا يَكُونُ لِيَتَّخِذَ بِهِ الْإِنْسَانُ أَعْدَاءَ بَلْ أَحِبَّابًا وَقَرَابَةً! (١١٨)

قَالَ لِي: وَاللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ الْحَقَّ؛

مَوْتَهُ وَمَوْتَهَا؛ وَالنِّكَاحُ لَا يَكُونُ لِيَتَّخِذَ بِهِ الْإِنْسَانُ أَعْدَاءَ بَلْ أَحِبَّاءَ
وَقَرَابَةً! (١١٨)

قَالَ لِي: وَاللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ الْحَقَّ؛

وَتَوَدَّعْتَنَا بِالْخَيْرِ وَذَهَبْتَ. وَمَا ذَكَرْتُ لَهُ عَنِ الْإِنْدُلُسِيِّ
وَالنَّصْرَانِيَّةِ كَانَ صَحِيحاً؛ وَأَسْلَمْتَ عَلَى يَدِهِ وَحُسْنِ إِسْلَامِهَا غَايَةٌ
الْحُسْنِ وَأَسْلَمْتَ عَلَى يَدَيْهَا أُمُّهَا عَجُوزَةٌ.

الْبَابُ الثَّانِي

فِي قُدُومِنَا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا
مِنْ خُرُوجِنَا مِنَ النَّصَارَى

أَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّ الْبِلَادَ الَّتِي هِيَ عَلَى حَاشِيَةِ الْبَحْرِ
مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَأَيْضًا فِيمَا لَهُمْ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لِلنَّصَارَى
فِيهَا مِنَ الْحِرْصِ وَالْبَحْثِ فِي مَنْ يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْغُرَبَاءِ شَيْئًا كَثِيرًا؛
كُلُّ ذَلِكَ لِئَلَّا يَذْهَبَ أَحَدٌ أَوْ يَجُوزَ عَلَيْهِمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَهَمَّتَنِي
الْأَمْرُ كَثِيرًا فِي كَيْفِيَةِ الْخُرُوجِ مِنْ بَيْتِهِمْ، وَرَكِبْتُ الْبَحْرَ فِي بَلَدٍ
يُسَمَّى بِمَرَسَى شَنْتَ مَرِيَا؛ وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنْ بَلَدِي مِنْ أَهْلِ
الْخَيْرِ وَالْذِّينِ وَمَشَى مَعِيَ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَبِلَادِ الْإِسْلَامِ وَسَبَلَ
نَفْسَهُ؛ وَأَهْلُ الْقَارِبِ لَا يَشْكُونَ فِينَا بِأَنَّنَا مِنْهُمْ؛ فَقَطَعْنَا الْبَحْرَ فِي
يَوْمَيْنِ وَنَزَلْنَا فِي بَلَدٍ يُسَمَّى بِالْبَرْجَةِ - هُوَ لِلنَّصَارَى - وَلَيْسَ
بَيْتُهُ وَبَيْنَ مَدِينَةِ مَرَاكُشَ إِلَّا (٨١ ب) نَحْوَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلْمَاشِي
الْمُتَوَسِّطِ.

وَتَعَجَّبْتُ مِنَ الْمَنَعِ الَّذِي فِي بُنْيَانِ سُورِهَا؛ هُوَ أَسَاسُهُ عَلَى حَجَرٍ
صَلْدٍ وَسِعَتَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذِرَاعًا؛ وَلَا يُبَالِي بِكُورِ الْمَدَافِعِ مِنْ إِتْقَانِهِ
وَعَظْمِهِ؛ حَتَّى شَاهَدْتُ ثَلَاثَةَ مِنَ الْفُرْسَانِ بِخَيْلِهِمْ يَدْفَعُونَ خَيْلَهُمْ جُمْلَةً
عَلَى السُّورِ وَلَا يَخَافُونَ الْوُقُوعَ مِنْهُ.

وَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا؛ سَأَلْنَا الْقَبْطَانَ: مَا سَبَبَ قُدُومِكُمْ؟

قُلْتُ لَهُ: وَقَعَ لَنَا شَيْءٌ مِنَ التَّغْيِيرِ مَعَ أَنَاسِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَجِئْنَا إِلَى
حُرْمِكُمْ؛

قَالَ: مَرَحَبًا بِكُمْ.

قُلْتُ: أَحَبُّ مِنْكَ أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فِي رُجُوعِنَا إِلَى بِلَادِنَا مَعَهُمَا أَرَدْنَا؛

قَالَ: أَذْنْتُ لَكُمْ.

وَنَزَلْنَا عِنْدَهُمْ وَاشْتَرَيْتُ حَصَانًا مِنْ أَحْسَنِ الْخَيْلِ وَصِرْتُ
مِنْ فُرْسَانِهِمْ. وَكُنْتُ أَحَبُّ اشْتَرِي آخَرَ لِصَاحِبِي وَلَمْ يَتَّيَسَّرْ.

وَبَلَكَ الْبَرِيْجَةَ فِي رُكْنٍ مِنَ الْأَرْضِ؛ وَالْبَحْرُ دَائِرٌ بِهَا مِنَ
الْجَانِبَيْنِ وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْبَلَدِ حَتَّى تَتَقَدَّمَ الْفُرْسَانُ وَيَقْتَسِمُونَ
وَيَحْزُونَ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ الْبَسَاتِينَ مَعَ
الْبَرِيْجَةِ؛ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّصَارَى أَنْ يَجُوزَ الْحَدَّ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ
الْفُرْسَانُ أَصْحَابُ النُّوبَةِ لِلْحَرَسِ؛ وَلَمَّا (١١٩) رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْنَا:
نَخْرُجُ مِنَ الْبَرِيْجَةِ وَنَجْلِسُ بَيْنَ الْبَسَاتِينَ وَنَسْتَخْفِي فِيهِ إِلَى اللَّيْلِ
وَنَذْهَبُ إِلَى مَدِينَةِ أَرْمُور - هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ مِنْ
الْبَرِيْجَةِ - وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّ النَّصَارَى يَتَّصِلُونَ
بِنَا فَوَاحِدٌ مِنَّا يَسْتَعْمِلُ نَفْسَهُ أَنْ الْجِنَّ أَصْرَعَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ فَمِّهِ بِحَدِيدٍ
شَيْئًا مِنَ الدَّمِ لَعَلَّنَا نَنْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْكَيْدِ.

فَخَرَجْنَا إِلَى بَيْنِ الْبَسَاتِينَ وَاخْتَفَيْنَا هُنَاكَ؛ ثُمَّ أَنْ صَاحِبِي مَشَى
إِلَى بُسْتَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَبَقِيَ هُنَاكَ إِلَى قَبْلِ
غُرُوبِ الشَّمْسِ بَقِيلٍ؛ وَأَنَا فِي أَشَدِّ تَغْيِيرٍ؛ وَالْفُرْسَانُ تَأْتِي إِلَى الْبَلَدِ؛
ثُمَّ جَاءَ صَاحِبِي قُلْتُ لَهُ مَا السَّبَبُ حَتَّى قَعَدْتَ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ؟ قَالَ
كُنْتُ أَتَكَلَّمُ مَعَ صَاحِبِ بُسْتَانٍ حَتَّى عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ جِئْتُ مِنْ
عِنْدِهِ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ بِالْغَيْظِ أُدَبِّرُ كَيْفَ الْعَمَلِ إِذْ سَمِعْتُ الْبَوَابَ يَرْمُورُ
مِزْمَارًا لَهُ يَنَادِي النَّاسَ قَبْلَ سَدِّ الْبَابِ (١٢٠) فَاسْتَعْلْتُ أَقْرَأُ سُورَةَ

يَسْ؛ وَالزَّمْرُ فِي زِيَادَةٍ. قُلْتُ لِصَاحِبِي هَذَا الزَّمْرُ هُوَ عَلَيْنَا، قَالَ لِي
أَعْمَلْ حِيلَةً لِإِصْرَاعِ لَأَنَّ النَّاسَ جَاءَتْ إِلَيْنَا. قُلْتُ لَهُ لَا أَعْمَلُ
ذَلِكَ؛ مِمَّا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْغَيْظِ وَالتَّغْيِيرِ عَلَيْهِ؛ قَالَ: أَنَا أَعْمَلُ؛
قُلْتُ: أَفْعَلْ؛ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ عَلَيْكَ مَعَهُمْ. فَأَخْرَجَ شَيْئًا مِنَ الدَّمِ وَرَمَى
بِنَفْسِهِ فِي الْأَرْضِ.

فَخَرَجْتُ إِلَى جِهَتِ الرِّجَالِ وَأَنَا أَشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيَّ؛ فَلَمَّا
وَصَلُوا قَالُوا مَا السَّبَبُ فِي جُلُوسِكُمْ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ؟ وَالْبُؤَابِ يُنَادِي
عَلَيْكُمْ؛ أَمَا تَخَافُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْخُذُوكُمْ أَسَارَى؟
قُلْتُ فِي نَفْسِي مَا نَفَقَتَشُ إِلَّا هُمْ. قُلْتُ لَهُمْ: كُنْتُ بَعَثْتُ صَاحِبِي
يَسْتَشِيرِي خِيَارًا وَلَمَّا تَعَطَّلَ جَنْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى وَجَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
مَا اسْتَطَعْتُ حَمْلَهُ وَخَدِي لِأَنَّهُ يَضْطَرُّ فِي الْأَرْضِ.

فَوَصَلُوا إِلَى نَاحِيَّتِهِ وَرَأَوْهُ بِالدَّمِ فِي وَجْهِهِ وَعُنُقِهِ وَهُوَ يَضْطَرُّ
بِيَدَيْهِ. قَالُوا: هَذَا يَمُوتُ؛ وَكَانَ وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا (١٢٠)
صَاحِبَ الْبُسْتَانِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ صَاحِبِي فِي الْكَلَامِ.

وَوَصَلَ الْخَبِيرُ لِلْقُبْطَانِ بِأَمْرِنَا وَظَنُّوا وَقَالُوا إِنَّنَا هَارِبُونَ إِلَى
الْمُسْلِمِينَ؛ وَأَمَرَ أَنْ يَنْظُرُوا هَلْ الْحُصَانُ فِي الدَّارِ؟ قَالُوا هُوَ فِيهِ
وَحَوَاجَهُمْ أَيْضًا. قَالَ لَوْ كَانَا يَهْرَبَانِ لَمْ يَتْرُكَا الْحُصَانُ وَهَذَا أَمْرٌ
نَزَلَ بِهِمَا.

وَالْتَمَتِ جَمِيعُ النَّاسِ بِحَضْرَةِ الْقُبْطَانِ وَالرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَنَا
قَالُوا إِنَّ هَذَا يَمُوتُ؛ وَاتَّفَقُوا أَنْ يَمْشِيَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُنَادِي الْقَسِيسَ
لِيُنَبِّئَهُ وَيَسْتَفْرِزَهُ مِنَ الذُّنُوبِ لِيَمْشِيَ مَغْفُورًا مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَمَشَى
وَاحِدٌ وَأَعْلَمَ الْقُبْطَانُ بِالْأَمْرِ فَجَاءَ الْقَسِيسُ وَهُوَ عَلَى بُعْدٍ مِنْهُ يُنَبِّئُهُ؛

قُلْتُ لِلْقَيْسِ أَظُنُّ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ مِنَ الْجِنِّ؛ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ أَوَّلُ مَا
ذَكَرَ يُوحَنَّا فِي الْأَنْجِيلِ لِيَذْهَبَ عَنْهُ الْجِنُّ.

فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْجِيلِ وَذْهَبَ الْجِنُّ وَالشَّيْطَانُ وَظَهَرَتْ لِلْقُرَّاءِ
الْبَرَكَةُ وَالْبُرْهَانُ وَشَهِرَتْ هُنَاكَ وَلَايَةُ الْقَيْسِ؛ وَضَحِكَ مِنْهُ الْجِنُّ
مَعَ إِبْلِيسَ، وَبَرَأَ الْمَرِيضُ فِي الْحِينِ (٢٠ ب).

وَآخَذَهُ إِثْنَانِ مِنْهُمْ - كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تَحْتِ أَبْطَحٍ - وَصَارَ يَمْشِي
مَعَهُمْ حَتَّى صَعَدَ عَلَى حَايِطٍ نَازِلٍ وَهُمَا مَعَهُ فَأَطْرَحَ نَفْسَهُ عَلَى
وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِنْدَ هُبُوطِهِ مِنْهُ كَادَ أَنْ يُوقِعَهُ.

وَدَخَلْنَا الْبَلَدَ وَجَمِيعُ النَّاسِ مَعَ الْقَبْطَانِ وَحَكَمُوا لَهُ كُلُّ مَا طَرَى
وَأَنَّ الْمَرِيضَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمُوتُ بَرَاءً بِبَرَكَةِ مَا قَرَأَ عَلَيْهِ الْقَيْسُ؛
وَمَشَيْنَا إِلَى الدَّارِ وَجَاءَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ يَنْصَحُونَنِي أَنْ لَا نَتْرُكُهُ يَرْكَبُ
الْحُصَانَ وَلَا يَطْلُعَ عَلَى السُّورِ لِئَلَّا يَصْرَعَهُ الْجِنُّ. ثُمَّ جَاءَ الطَّبِيبُ
- وَكَانَتْ لَهُ صَنَائِعُ غَيْرِ الطِّبِّ كَثِيرَةً؛ فَكَانَ يُصَوِّلُ السَّكَائِنَ
وَيُرْكَبُ الرِّمَاحَ وَأَظْنَتُهُ يَحْلُقُ وَيَنْطَارُ الْخَيْلَ.

فَقَالَ الْحَكِيمُ مَا هَذَا الَّذِي أَصَابَهُ؟ فَحَكَيْتَا لَهُ؛ وَبَقِيَ مُتَحَيْرًا مَاذَا
يَأْمُرُنَا بِهِ مِنَ الْعَمَلِ لِلْعَلِيلِ.

فَقَالَ: أَجْعَلْ عَلَيْهِ حَوَائِجَ لَعَلَّهُ يَغْرَقُ؛

فَشَكَرْتُهُ عَلَى حِكْمَتِهِ وَوَضَعْنَا الْحَوَائِجَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا أَنْ ذَهَبُوا جَمِيعًا وَلَمْ يَسْمَعْ الْمَرِيضُ أَحَدًا أَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ تَحْتِ
الْحَوَائِجِ وَقَالَ كَيْفَ حَالُنَا يَا سَيِّدِي؟

قُلْتُ (١٢١) لَهُ: غَطَّ رَأْسُكَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْخَيْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛

وَذْهَبَ النَّوْمُ عَنَّا فِي اللَّيْلَةِ كُلِّهَا.

وَيَوْمَ آخَرُ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَطَفَ بِنَا وَبَقِيَ الْمَرِيضُ سَالِمًا
وَتَحْنُ نَتَدَبَّرُ كَيْفَ الْعَمَلُ لِنَقْضِي الْغَرَضَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ
الْكَفَّارِ . قُلْنَا لَوْ كَانَ وَاحِدٌ مِنَّا وَحْدَهُ كَانَ يُمَكِّنُ الْهَرُوبَ وَالْخُرُوجَ
بِأَنْ يَخْتَفِيَ وَيَهْرُبُ وَالْحَالُ لِلْأَثْنَيْنِ صَعْبٌ .

وَكَانَتْ سَفِينَةٌ عَازِمَةٌ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ؛ قُلْنَا نَرْمِي
الْقُرْعَةَ مِنْ يَرْجِعُ مِنَّا فِي هَذِهِ السَّفِينَةِ ؟ فَرَمَيْنَاهَا وَجَاءَتْ فِي وَكَانَتْ
النَّاسُ تَتَكَلَّمُ بِنَا وَتَقُولُ إِنِّي كُنَّا نُرِيدُ الْهَرُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ .

فَمَشَيْتُ إِلَى الْقَبْطَانِ وَقُلْتُ لَهُ أَحِبُّ أَرْجِعْ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ
السَّفِينَةِ وَإِذَا اسْتَغْرَضْتَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ فَأَعْطِنِي زِمَامًا بِهِ أَبْعَثُهُ
إِلَيْكَ .

قَالَ وَصَاحِبُكَ يَمْشِي مَعَكَ؟

قُلْتُ لَهُ أَرَادَ الْقَعُودُ هُنَا وَأَنْتَ تَرُدُّ بِأَلْكَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ . فَخَرَجْتُ
عَشِيَّةً وَأَوْجَدْتُ مَا يَحْتَاجُ مِنَ الطَّعَامِ فِي السَّفَرِ فَوَجَدْتُ بِقُرْبِ بَابِ
(٢١ ب) الْبَلَدِ قَارِبًا صَغِيرًا؛ فَقَالَ أَرْكَبْ فَأَعْطَيْتُهُ الطَّعَامَ وَالْحَوَائِجَ
وَقُلْتُ لَهُ إِذَا خَرَجَ التَّاجِرُ الَّذِي كَانَ يَمْشِي مِنَ الْبُرْجَةِ؛ نَرْكَبُ
الْقَارِبَ الصَّغِيرَ لِنَبْلِغَنَا إِلَى السَّفِينَةِ الْكَبِيرَةِ . فَجَلَسْنَا هُنَاكَ نَدْعُوا
اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَعَطَّلَ التَّاجِرُ حَتَّى يَنْسَدَ الْبَابُ .

ثُمَّ قَالُوا لِصَاحِبِي أَدْخُلْ عِنْدَ سَدِّ الْبَابِ .

قُلْتُ لَهُمْ دَعُوهُ مَعِيَ حَتَّى يَخْرُجَ التَّاجِرُ .

قَالُوا نَعَمْ يَقْعُدُ .

فَاطْلَمَ اللَّيْلُ إِلَى أَنْ صَلَّيْنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمَّ دَعَوْنَا اللَّهَ أَنْ
يُرْسِدَنَا وَيَسْتُرَنَا مِنْ أَعْدَائِنَا . قُلْنَا هَذَا وَقْتُ الْخَيْرِ فَذَهَبْ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ إِلَى أَزْمُور .

قُلْتُ لِصَاحِبِي مَا ظَهَرَ لَكَ أَنْ نَصْنَعَ فِي ذِهَابِنَا .

قَالَ: كَيْفَ مَا ظَهَرَ لَكَ .

قُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبِي الطَّرِيقُ الْقَرِيبُ هُوَ مِنْ هُنَا إِلَى أَزْمُور . قُلْتُ:
وَمِنْ الْمُمْكِنِ إِنَّا إِذَا شَرَعْنَا فِي الطَّرِيقِ رُبَّمَا يَخْرُجُ التَّاجِرُ الَّذِي هُوَ
يَمْشِي فِي السَّفِينَةِ وَإِذَا طَلَبُوا عَلَيْنَا لَمْ يَجِدُونَا وَيَتَّبِعُونَا كَمَا هِيَ مِنْ
عَادَتِهِمْ وَيَذَرُكُونَنَا بِالْخَيْلِ .

قَالَ: كَيْفَ الْعَمَلُ؟

قُلْتُ: هَذَا طَرِيقُ أَزْمُورَ هُوَ هَذَا الشِّمَالِي عَلَى حَاشِيَةِ الْبَحْرِ؟

قَالَ: نَعَمْ (١٢٢) .

قُلْتُ: نَمْشُوا عَلَى حَاشِيَةِ الْبَحْرِ الْيُمْنَى إِلَى غَدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
نَمْشُوا إِلَى أَزْمُور ،

قَالَ: عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ!

فَمَشِينَا وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ أَقَلَّ سَمِعْنَا مَكْخَلَةً لَعَلِّي نَفِيقُ مِنَ النَّوْمِ إِنْ
كُنَّا نَائِمِينَ . فَمَشِينَا اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي بِلَادِ الْأَسَدِ إِلَى انْشِقَاقِ الْفَجْرِ أَخْلَوْا
الْمَدْفَعَ الْكَبِيرَ وَهِيَ عَلَامَةٌ عِنْدَهُمْ إِذَا أَخْلَوْا ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ
عَنِ الْخُرُوجِ مِنَ الْبِلَادِ وَعَلِمْنَا أَنَّهُمْ مَا خَرَجُوا إِلَّا فِي طَلَبِنَا .
فَاتَّفَقْنَا أَنْ نَدْخُلَا فِي وَسْطِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ وَنَجْلِسُ هُنَاكَ إِلَى اللَّيْلِ؛
وَكُنَّا نَسْمَعُ حِسَّ الْبَارُودِ الْكَثِيرِ . ثُمَّ يَنْسُوا مِنَّا وَلَوْ خَائِبِينَ .

وَسَبَبُ رُجُوعِهِمْ أَنْ قَايِدَ أَزْمُورَ لَمَّا سَمِعَ حِسَّ الْمَدْفَعِ الْكَبِيرِ
عِنْدَ الصُّبْحِ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى هَرَبَ مِنْ عِنْدِهِمْ ؛ فَأَمَرَ فِي
الْحَيْنِ لِلْفَكَكَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى الْبُرْجَةِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَ الْقَبْطَانِ فِي شَأْنِ
أَسِيرٍ كَانَ عِنْدَهُ وَيَأْتِي بِالْخَبَرِ . فَلَمَّا مَشَى التَّقَى بِالنَّصَارَى فِي
الْفَخْصِ وَسَأَلَهُ تَرْجُمانَ الْقَبْطَانِ عَنْ نَصْرَانِيَيْنِ هَلْ رَأَاهُمَا ؟ قَالَ لَهُ
نَعَمْ هُمَا عِنْدَنَا مِنَ الصُّبْحِ . فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبْرُ لِلْقَبْطَانِ وَهُوَ مَعَ جُنْدِهِ
فَكَانَ يَقْبِضُ (٢٢ب) بِيَدِهِ شَعَرَ لِحْيَتِهِ وَيَنْتَفِهُا وَيَرْمِي فِي الْأَرْضِ .
وَالْفَكَكَ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ لِيَتَنَسَّوْا وَيَرْجِعُوا . فَقَنَطُوا وَوَلَّوْا خَائِبِينَ وَنَحْنُ
جَلَسْنَا بَيْنَ الْأَشْجَارِ إِلَى اللَّيْلِ .

وَكَانَ الْحَرُّ الشَّدِيدُ وَنَحْنُ بِالْعَطَشِ سَائِرِينَ فَوَجَدْنَا عَيْنًا مِنْ مَاءٍ
عَذْبٍ فَشَرَبْنَا وَبَتْنَا إِلَى الصُّبْحِ . وَكُنَّا سِرْمًا فِي اللَّيْلِ كَثِيرًا قَبْلَ وُجُودِ
الْمَاءِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ بَزَمْنَا التَّقِيَّ بِمَرَآكُشِ بَرَجَلٍ مِنْ أَوْلَادِ الْوَلِيِّ سَيِّدِي
عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ ؛ وَسَأَلْنَا عَنْ حَالِنَا وَهَرُوبِنَا مِنَ الْبُرْجَةِ إِلَى جِهَةِ
طَيْطٍ ؛ هُوَ بَلَدٌ خَالَ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ وَذَكَرْنَا لَهُ عَيْنَ الْمَاءِ الَّذِي
وَجَدْنَاهُ فِي اللَّيْلِ فَقَالَ لِلنَّاسِ الْحَاضِرِينَ تِلْكَ الْبِلَادُ نَعْرِفُهَا كُلَّهَا وَلَيْسَ
فِيهَا مَاءٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا فِي الْأَبَارِ الْغَارِقَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ تَتَعَمَّنَا بِالْمَاءِ وَصَلَّيْنَا الصُّبْحَ مَشِينَا فِي طَلَبِ أَزْمُورَ ؛
وَبَسَبَبِ الصَّحَبِ لَمْ نَرَ الشَّمْسَ حَتَّى كَانَتْ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ ثُمَّ سِرْمًا
نَطْلُبُ عَلَى الْمَا وَتَجِدُ أَبَارَ غَارِقَةَ يَابِسَةً ؛ ثُمَّ اسْتَظَلَّيْنَا بِشَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ
بَعْدَ الْعَصْرِ وَسَمِعْنَا حِسَّ الْبَحْرِ وَوَلَّيْنَا إِلَيْهِ لَعَلَّنَا (١٢٣) نَجِدَ مَاءً فَلَمْ
نَجِدْ شَيْئًا فِي حَاشِيَةِ الْبَحْرِ لِلشُّرْبِ . ثُمَّ مَشِينَا عَلَى طَرِيقٍ وَكُنْتُ
أُظُنُّ أَنَّهُ مَا شِيَ إِلَى أَزْمُورَ ؛ فَبَعْدَ نَصْفِ اللَّيْلِ بَلَّغْنَا إِلَى بَسَاتَيْنِ

الْبَرِيْجَةِ ثُمَّ جُزَّتَا وَتَرَكْنَاهُمَا مِنْ وَرَائِنَا وَسِرْتَنَا عَلَى حَاشِيَةِ الْبَحْرِ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي الْأَمَانِ مِنَ الْبَرِيْجَةِ.

ثُمَّ صَعَدْنَا عَلَى جَبَلٍ وَرَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ يَخْصِدُونَ الزَّرْعَ؛ وَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْهُمْ جَاءُوا إِلَيْنَا بِأَسْلِحَتِهِمْ وَخَيْلِهِمْ؛ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْنَا قُلْنَا لَهُمْ نَحْنُ مُسْلِمُونَ فَاْمْسِكُوا عَنِ الْحَرْبِ وَفَرَحُوا بِنَا فَرَحًا عَظِيمًا وَأَعْطَوْنَا الْخُبْزَ وَالطَّعَامَ الَّذِي لَمْ نَرَهُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الزَّوَالِ إِلَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ عِنْدَ الضُّحَى. ثُمَّ بَلَّغْنَا إِلَى أَزْمُورٍ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا قَائِدُهَا وَبَحَثْنَا كَثِيرًا فِي أُمُورِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ لِي أَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ قُلْتُ لَهُ نَعَمْ قَالَ أَكْتُبْ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ؛ قُلْتُ لَهُ مَاذَا أَكْتُبُ قَالَ الَّذِي تُحِبُّ؛ فَكَتَبْتُ مَا أَلْهَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرْتُهُ عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَخَلَّصِنَا مِنَ الْكُفَّارِ وَدَعَوْتُ بِالْخَيْرِ لِلْقَائِدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّقْيَانِيِّ عَلَى مَا أَحْسَنَ إِلَيْنَا؛ وَقَبِضَ (٢٣ب) الْوَرَقَةَ؛ وَأَظُنُّ أَنَّهُ بَعَثَهَا لِلسُّلْطَانِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَكَتَبَ لَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْشِيَ لِحَضْرَتِهِ فِي عِيدِ الْاِضْحَى وَأَنْ يَحْمِلَنَا مَعَهُ.

فَلَمَّا أَنْ بَلَّغْنَا فِي دُكَّالَةِ إِلَى سُوقٍ كَبِيرٍ أَمَرَ الْقَائِدَ لِخَدِيمِهِ أَنْ يَرْكَبَ مَعِيَ إِلَى السُّوقِ؛ فَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا فِيهِ جَاءَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَلُونِ الْخَدِيمَ عَنِّي قَالَ لَهُمْ هُوَ مُسْلِمٌ فَجَاؤُنِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهُمْ يَقُولُونَ لِي شَهْدٌ شَهْدٌ وَأَنَا سَاكِتٌ؛ حَتَّى آلَحُوا عَلَيَّ وَكَثُرُوا فِي ذَلِكَ؛ قُلْتُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالُوا وَاللَّهِ أَنَّهُ قَالَهَا خَيْرٌ مِنَّا. ثُمَّ مَشَوْا وَأَتَوْتِي بِتَمَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانُوا يَبِيعُونَهُ وَفِضَّةَ دَرَاهِمٍ. قُلْتُ لَهُمْ لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا وَلَّيْنَا عِنْدَ الْقَائِدِ قَالَ لِي مَا ظَهَرَ لَكَ قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ نَرَ
عَدُوًّا فِي هَذِهِ النَّاسِ لِأَنَّ فِي بِلَادِ النَّصَارَى لَمْ نَرَ فِيهَا فِي الْأَسْوَاقِ
إِلَّا أَعْدَاءَ لَنَا يَمْتَنِعُونَ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ جَهْرًا وَالْمُسْلِمُونَ يُحَرِّضُونَنِي
عَلَيْهَا وَفَرَحُوا (١٢٤) جَمِيعًا حِينَ سَمِعُوا مِنِّي ذَلِكَ . وَقَدْ شَبَّهْتُ مَا
أَصَابَنَا مِنْ خَوْفِ النَّصَارَى وَمَا رَأَيْنَا مِنَ التَّعَبِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى
أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَوُصُولِنَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ لِلدُّخُولِ فِي الْجَنَّةِ .
نَسْتَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ لَا يَحْرِمَنَا مِنْهَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ
بِبَرَكَاتِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ .

الْبَابُ الثَّالِثُ

فِي بُلُوغِنَا إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكُشَ وَمَا حَانَ السَّبَبُ
حَتَّى مَشِينَهُ إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ

وَلَمَّا أَنْ بَلَّغْنَا إِلَى مَحَلَّةِ السُّلْطَانِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ ابْنَ مَوْلَايَ مُحَمَّدَ
الشَّيْخِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ ؛ وَكَانَ بِقُرْبِ الْمَدِينَةِ بِنَحْوِ أَسْتَتِ أَمْيَالٍ
بِسَبَبِ الْوَبَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَزَلَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ؛ وَكَانَ عِيدُ الْأَضْحَى فِي
الْيَوْمِ الْآتِي مِنْ بُلُوغِنَا . وَخَرَجَ السُّلْطَانُ فِي جُنُودٍ لَمْ نَظُنْ ذَلِكَ ؛
وَعَجَبَنِي حَالُ الرُّمَّةِ فَحَزَامَتُهُمْ هُوَ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ وَأَزِينُ مِنْ حِزَامِ
النُّصَارَى بِكَثِيرٍ ؛ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ جَاؤُوا وَحَضَرُوا مَعَ قُوَادِمِهِمْ
فَكَانُوا تِسْعًا وَعِشْرُونَ أَلْفَ فَارِسٍ وَكَذَا مِائَةً مِائَةً عِدَا السُّيُحْيَةِ
وَقُرْسَانَ الْمَدِينَةِ وَالْفَرَادَةَ (٢٤ب) وَالْجُنْدُ كَثِيرٌ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلْنَا مَرَاكُشَ هِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَفَوَاكِهُهَا كَثِيرَةٌ
وَعَنْبُهَا لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ؛ عَرْضُهَا إِحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَنِصْفَ
وَطُولُهَا تِسْعَ دَرَجَاتٍ لِأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْجُزُرِ الْخَالِدَاتِ الْمُسَمَّاتِ الْآنَ
بِقَنَارِيَّةٍ وَمِنْهَا ابْتَدَأَ الطُّولُ وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ السُّلْطَانُ مِنَ الْمَحَلَّةِ وَكَانَ
ذَلِكَ عَامَ سَبْعٍ وَأَلْفٍ وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَذِنَ لَنَا فِي الدُّخُولِ إِلَى حَضْرَتِهِ
فِي يَوْمِ الدِّيَّوَانِ؛ وَلَمَّا ابْتَدَأَتْ بِالْكَلامِ الَّذِي اخْتَرْتُهُ أَنْ أَقُولَهُ
بِحَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ بِصَوْتٍ جَهِيرٍ؛ سَكَتَ جَمِيعُ النَّاسِ الْحَاضِرُونَ كَأَنَّهُمْ
خُطْبَةٌ؛ فَفَرِحَ السُّلْطَانُ وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ بِلَادِ الْإِنْدَلُسِ مَنْ يَقُولُ

١ يعني: السباهية، وهي كلمة تركية تعني: فرقة الفرسان الرسمية.

بِالْعَرَبِيَّةِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ لِأَنَّهُ كَلَامُ الْفُقَهَاءِ؛ وَقَرِحَ بِذَلِكَ كَافَّةَ
الْأَنْدَلُسِ الْقَدَمَاءِ.

وَرَأَيْنَا الْعَافِيَةَ وَالرَّخَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى أَنْ مَاتَ مَوْلَايَ أَحْمَدَ
رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَنَةِ اِثْنَتَيْ
عَشْرَةَ وَأَلْفَ؛ وَقَامَتِ الْقَوَامُ وَالْهَرَجُ فِي الْمَغْرِبِ كُلِّهِ، ثُمَّ ثَبَتَ فِي
الْمَمْلَكَةِ مَوْلَانَا زَيْدَانُ ابْنُ السُّلْطَانِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.
وَفِي (١٢٥) أَيَّامِهِ أَمَرَ السُّلْطَانُ النَّصْرَانِي بِلَادَ إِسْبَانِيَّةَ؛ أَعْتَبِي بِلَادَ
الْأَنْدَلُسِ الْمُسَمَّى بِـ قَلْبِ الثَّلَاثِ مِنْ إِسْمِهِ بِإِخْرَاجِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ بِلَادِهِ. وَابْتَدَأَ ذَلِكَ كَانَ لِسَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَأَلْفَ؛ وَآخِرَ مَنْ
خَرَجَ مِنْهُمْ كَانَ عَامَ عِشْرِينَ وَأَلْفَ.

وَكَانَ الْأَنْدَلُسُ يَقْطَعُونَ الْبَحْرَ فِي سَفُنِ النَّصَارَى بِالْكَرَاءِ؛ وَدَخَلَ
كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي سَفُنِ الْفَرَنْجِ وَنَهَبُوهُمْ فِي الْبَحْرِ؛ وَجَاءَ إِلَى مَرَاكُشَ
أَنْدَلُسَ مَنْهُوبُونَ مِنَ الْفَرَنْجِ مِنْ أَرْبَعِ سَفُنٍ وَبَعَثَ رَجُلٌ أَنْدَلُسِيٌّ مِنْ
بِلَادِ فَرَنْجَةٍ يَطْلُبُ مِنْهُمْ وَكَالَةَ لِيَطْلُبَ بِالشَّرْعِ عَنْهُمْ بِلَادَ الْفَرَنْجِ؛
وَاتَّفَقَ نَظَرُهُمْ أَنَّهُمْ يَبْعَثُونَ خَمْسَةَ رِجَالًا مِنَ الْمَنْهُوبِينَ وَيَمْشِي بِهِمْ
وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ بِالْخُرُوجِ؛ وَاتَّفَقُوا أَنِّي نَمَشِي بِهِمْ
وَأَعْطَانِي السُّلْطَانُ كِتَابَهُ وَرَكَبْنَا الْبَحْرَ الْمُحِيطَ بِمَدِينَةِ أَسْقَى.

الْبَابُ الرَّابِعُ

فِي مَدِينِنَا إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ

وَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا الْبَحْرَ سَافَرْنَا ؛ إِلَى أَنْ تَرَكْنَا بِلَادَ الْمَغْرِبِ عَنْ يَمِينِنَا
ثُمَّ عَبَّرْنَا فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى جِهَةِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ؛ وَتَرَكْنَا أَيْضًا
بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ عَنْ يَمِينِنَا وَبَلَّغْنَا (٢٥ب) إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ إِلَى مَرَسِي
هَبْرِذَاغَرَسِي؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ الْأَسْمِ مَرَسَى الْبَرَكَةِ؛ بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ
خُرُوجِنَا ؛ وَبِتْنَا فِي السَّفِينَةِ بِنْيَةِ الْخُرُوجِ فِي الْبَرِّ فِي غَدٍ. وَتِلْكَ
الَّيْلَةُ عَلَى طُولِهَا نَرَى فِي النَّوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَتْلُوا سُورَةَ الْإِخْلَاصِ؛
وَبَعْدَ أَنْ نَزَلْنَا فِي الْبَرِّ بَانَ لِي أَنَّ قِرَاءَةَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ كَانَ لِي تَنْبِيئًا
عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ إِذْ كُنَّا نَازِلِينَ بِبِلَادِ الشِّرْكِ.

ثُمَّ مَشَيْنَا إِلَى مَدِينَةِ رُوَانَ وَجَاءَ إِلَيْنَا تَاجِرٌ كُنْتُ عَرَفْتُهُ فِي
مَرَاكُشِ أَسْمُهُ قَرُطُ ؛ وَلَطَوَّلَ مَكْنَاهُ بِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ يَعْرِفُ
الْعَرَبِيَّةَ غَايَةً؛ وَبَدَأَ يَتَكَلَّمُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَيَشْكُرُ دِينَهُ؛ وَقَالَ
الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ مَبَاحُ الزَّانَا وَالسَّرَقَةِ.

قُلْتُ هَذَا بَاطِلٌ.

قَالَ بَلَى صَحِيحٌ لِأَنِّي سَمِعْتُ عُلَمَاءَكُمْ يَقُولُونَ أَنَّ بَعْضًا سَأَلَ نَبِيَّكُمْ
قَالَ : الْمُؤْمِنُ يَزْتَنِي؟ قَالَ لَهُ: يَزْتَنِي. قَالَ: وَالْمُؤْمِنُ يُسْرِقُ؟ قَالَ:
يُسْرِقُ. قَالَ أَيْضًا: الْمُؤْمِنُ يَكْذِبُ؟ قَالَ لَهُ: الْمُؤْمِنُ مَا يَكْذِبُ.

قُلْتُ لَهُ: الْمُؤْمِنُ الَّذِي مَا يَكْذِبُ فَلَا يَسْرِقُ وَلَا يَزْنِي ؛ وَكَيْفَ تَقُولُ
 ذَلِكَ وَعِنْدَنَا أَنْ مَنْ سَرَقَ مَا يُسَاوِي رُبْعَ (١٢٦) دِينَارٍ تَقْطَعُ يَدَهُ
 شَرْعًا؛ وَإِذَا زَنَا الْمُحْصِنُ يُرْجَمُ إِلَى أَنْ يَمُوتَ!
 ثُمَّ زَادَ فِي مِذْحٍ دِينِهِ إِلَى أَنْ قَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 كَانَ ابْنُ اللَّهِ وَابْنُ إِنْسَانٍ؛ وَأَنَّهُ مَاتَ لِيُخْلَصَ الذَّنْبُ الْأَوَّلُ عَنْ سَيِّدِنَا
 آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ.
 قُلْتُ: أَقُولُ لَكَ فِي الْجَوَابِ شِعْرًا نَسَبَهُ بَعْضُ اللَّقَاضِي عِيَّاضَ وَهُوَ
 هَذَا:

عَجَبًا لِلنَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَإِلَى أَيِّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ
 أَسْلَمُوهُ إِلَى الْيَهُودِ وَقَالُوا أَنَّهُمْ بَعْدَ صُلْبِهِ قَتَلُوهُ
 فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا فَاسْتَلَوْهُمْ أَيْنَ كَانَ أَبُوهُ
 فَإِنْ كَانَ رَاضِيًا لِأَذَاهُمْ فَاشْكُرُوهُمْ لِأَجْلِ مَا عَذَّبُوهُ
 وَإِنْ كَانَ سَاخِطًا لِأَذَاهُمْ فَأَعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلَبُوا
 فَبُهِتَ التَّاجِرُ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا يَقُولُهُ!

وَكَانَ قَدْ ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى فِي مَدِينَةِ مَرَاكُشْ؛
 وَكَانَ رَاهِبًا ثُمَّ أَسْلَمَ وَسُمِّيَ بِرَمَضَانَ؛ ثُمَّ مَشَى إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ
 وَمَاتَ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ لِي إِنَّ السُّلْطَانَ مَوْلَايَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى
 وَقَالَ لَهُ (٢٦ب): مَاذَا تَقُولُونَ فِي سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
 قَالَ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ فِي الْإِلَوهِيَةِ أَوْ كَمَا قَالَ وَأَنَّهُ مَاتَ لِيُخْلَصَ
 الْعَالَمُ مِنَ الذَّنْبِ الْأَوَّلِ الَّذِي عَمَلَهُ أَبُونَا آدَمُ.

قَالَ لَهُ السُّلْطَانُ: أَنَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا حَتَّى تَرَى الْغَلْطَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدَرْتُ أَنِّي أَمَرْتُ أَنْ مَنْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبُسْتَانِ الَّذِي بَدَارِنَا السَّعِيدَةَ نَقْتُلُهُ؛ وَاتَّفَقَ أَنْ وَاحِدًا مِمَّنْ عَلِمَ بِالْمَنْعِ دَخَلَ الْبُسْتَانِ وَعَصَانِي؛ فَلَمَّا صَحَّ ذَلِكَ عِنْدِي أَمَرْتُ الْخَدَّامَ أَنْ يَأْتُونِي بِأَبْتِي فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ قُلْتُ لَهُمْ أَقْتُلُوهُ لِأَجْلِ دُخُولِ فَلَانٍ فِي الْجَنَانِ الَّذِي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِيهِ. قَالَ لِلرَّاهِبِ هَذِهِ مَسْئَلَتُكُمْ عَلَى زَعْمِكُمْ أَنْ عِيسَى هُوَ ابْنُ اللَّهِ وَقُتِلَ؛ وَهَلْ يَقُولُ عَاقِلٌ بِمِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ؟ فَخَرَسَ الرَّاهِبُ وَبُهِتَ وَلَمْ يَجِدْ مَا يُجَاوِبُ بِهِ.

قُلْتُ لِلرَّاهِبِ: هَذَا الْكَلَامُ لَمْ يَبْقَ لَكُمْ مَا تُجَاوِبُونَ.

قَالَ لِي الرَّاهِبُ: بَقِيَ لِي جَوَابٌ؛

قُلْتُ لَهُ: مَاذَا هُوَ؟

قَالَ: بَعْدَ أَنْ مَشَيْتُ إِلَى الدَّارِ اصْبَيْتُهُ؛ وَذَكَرْتُ لِي؛ وَكَانَ كَلَامًا لَيْسَ فِيهِ مَا يُقَالُ وَلَا مَا يُكْتَبُ (١٢٧) فَمَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلَامٌ فِي مَدِينَةِ رُوانَ مَعَ قَاضِي الْقَضَاةِ بَعْدَ أَنْ زُرْتُهُ وَكَانَ يَعْرِفُ اللِّسَانَ الْعَجَمِي الْأَنْدَلُسِي فَسَأَلَنِي عَنْ مَسْئَلَةٍ فِي دِينِنَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُخْتَلِفُونَ فِيهَا؛ أَعْنِي أَصْحَابُ الْبَابِ؛ وَكَانَ الْقَاضِي عَلَى مَذْهَبِهِ وَبَيْنَ النَّصَارَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا يَقُولُ مَا عَدَا التَّثْلِيثَ لِأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِي: إِذَا مَاتَ الْمَرْءُ هَلْ تَصِلُ إِلَيْهِ حَسَنَةٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ؟

قُلْتُ لَهُ: قَالَ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَاتَ الْمَرْءُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثِ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. فَفَرِحَ وَانْشَرَحَ لِأَنَّهُ مُوَافِقًا لِإِعْتِقَادِهِمْ. وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِالْبَابِ مِنَ النَّصَارَى يَقُولُونَ أَنَّهُ لَا يَصِلُ لِلْمَيِّتِ دُعَا وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ مَوْتِهِ .

ثُمَّ قَالَ لِي الْقَاضِي: أَنْتُمْ التُّرْكِيُّونَ تَصْنَعُونَ فَعَلًا قَبِيحًا بِقَتْلِكُمْ جَمِيعَ أَوْلَادِ السُّلَاطِينِ إِلَّا وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ .

قُلْتُ: ذَلِكَ لِصَلَاحِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ هُوَ ابْنُ سُلْطَانٍ (٢٧ب) يُحِبُّ مَمْلَكَةَ أَبِيهِ؛ فَإِذَا أَصَابَ الْهَرُوبَ وَالْمَمْلَكَةُ عَظِيمَةٌ وَمَتَسِّعَةٌ، فَيَقُومُ مَعَهُ كَثِيرٌ وَتَكُونُ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَفْرِيقُ الْكَلِمَةِ وَتَكُونُ الْفِتْنَةُ وَقَدْ يُشَاهِدُ فِي النَّحْلِ أَمْرٌ عَجِيبٌ وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَفْرَخَ وَكَثُرَ فَتَخْرُجُ النَّحْلُ مِنَ الْجَنْجِ وَتَدْخُلُ فِي جَنْجٍ آخَرَ فَارِغًا وَعِنْدَهُمْ فِيمَا بَيْنَ النَّحْلِ سُلَالَةٌ سُلَاطِينٍ مِنْهَا؛ وَهُمْ نَحْلٌ أَطْوَلُ جَرْمًا مِنْ سَائِرِ النَّحْلِ وَتَتْرَكُ النَّحْلُ وَاحِدًا مِنْ جِنْسِ السُّلَاطِينِ لِيَكُونَ سُلْطَانَهَا وَتَقْتُلُ جَمِيعَ مَنْ هُوَ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ . وَهَذَا مُشَاهَدٌ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ يُخَالِطُ النَّحْلَ؛ وَهَذَا إِلَهَامٌ رَبَّانِي . فَفَرِحَ الْقَاضِي وَأَظْهَرَ لِي صُحْبَةً وَمَوَدَّةً وَتَفَعَّلِي نَفْعًا جَيِّدًا فِي الْأَحْكَامِ .

الباب الخامس

في قدومنا إلى بريش

هي دار سلطنة الفرنج وبيتها وبين مدينة روان نحو الثلاثة أيام؛ وطولها خمسة آلاف وخمسمائة خطوة؛ وعرضها أربع ألف وخمسمائة خطوة؛ وبيوتها عالية أكثرها من أربع طبقات وأكثر وأقل (٢٨ أ) وكلها عامرة بالناس؛ وديار الأكابر مبنية بالحجر المنجور إلا أنه بطول الزمن يسود لون الحجر . تقول النصارى أن أعظم مدن الدنيا القسطنطينية ثم هذه مدينة بريش ثم مدينة إسبونة ببلاد الأندلس . وكان من حقهم أن يذكروا مصر إلا أنهم يقولون لها القاهرة الكبيرة؛ وإذا جمعنا مع مصر مصر العتيق وبولاق وقاية باي لم نذر من هي أعظم بريش أو مصر بما ذكرنا .

وقد رفعنا امرنا الذي جئنا بسببه إلى تلك البلاد إلى الديوان السلطاني وأعطوا كتب السلطان للقضاة الذين ذكرنا لهم وأيضاً لقاضي الأندلس؛ وذلك أن في ديوانهم وجهوا قاضياً نصراني منهم إليهم ويقضي بينهم ويأخذ خمس المال للأغنياء من الواردين على بلاد الفرنج ويقيم بذلك فقراؤهم.

ولما صح عند سلطان إسطنبول بخروج الأندلس الذين يسمونهم ببلاد الترك بمذجلين كتب كتابه السني إلى سلطان فرانجة بالوصية عليهم ونفع ذلك الكتاب الأندلس (٢٨ ب) نفعا

عَظِيمًا؛ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ بِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَلَمَّا أَعْطَوْنِي كُتُبَ السُّلْطَانِ قُلْتُ لِيَعِضَ مَنْ كَانَ يَتَعَقَّدُنِي مِنْهُمْ
أَنْ يَتَرْجِمَ لِي الْكُتُبَ . وَبَعْدَ الْكَلَامِ الَّذِي مِنْ عَادَتِهِمْ يُصَدِّرُونَهُ؛ قَالُوا
لِلْقَضَاءِ نَامِرُكُمْ أَنْ تَقْفُوا مَعَ حَامِلِ هَذَا؛ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ
لَأَنَّ السَّيِّدَ الْكَبِيرَ كُتِبَ لَنَا فِي شَأْنِهِمْ . وَهَذَا الْأِسْمُ لَا يُسَمُّونَ بِهِ
أَحَدًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ الْإِسْلَامِ؛ إِذْ هُوَ أَعْظَمُ سُلْطَانِيهَا.

وَالْتَقَيْتُ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِرَجُلٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَانَ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ؛
وَبَعْضُ النَّصَارَى يَقْرَأُونَ عَلَيْهِ . وَكَانَ يُسَمَّى بِأَبْرَتَ . وَقَالَ لِي أَنَا
أَخْدَمُكَ فِيمَا تَحْتَاجُنِي لِأَكَلِكُمْ لَكَ مِنْ كِبَرَاءِ النَّاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَمَا
نُحِبُّ مِنْكَ إِلَّا نَقْرًا عَلَيْكَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي عِنْدِي بِالْعَرَبِيَّةِ وَتَبَيَّنَ لِي
فِيهَا شَيْئًا مِمَّا فِيهَا . قُلْتُ لَهُ أَتَيْتَ بِهَا؛ وَمِنْ جُمْلَةِ الْكُتُبِ جَاءَ بِالْكِتَابِ
الْعَزِيزِ .

فَسَأَلْتَهُ: أَيْنَ اتَّصَلْتَ بِهِذَا الْقُرْءَانِ؟

قَالَ: كُنْتُ بِمَدِينَةِ مَرَاكُشَ وَهُنَالِكَ تَعَلَّمْتُ نَقْرًا بِالْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ
جُلُوسِي هُنَالِكَ عَلَى أَمْرِ سُلْطَانِ (١٢٩) فَرَنْجَةٍ لِنَعْلَمَهُ بِخُرُوفِ
الرَّمَزِ كُلَّمَا نَعْلَمُ أَنَّهُ يَقَعُ لِسُلْطَانِ مَرَاكُشَ فِي دِيْوَانِهِ وَحَرَكَاتِهِ .

فَتَغَيَّرْتُ حِينَ رَأَيْتُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بِيَدِ كَافِرٍ نَجَسٍ؛ ثُمَّ سَاقَ
قَانُونُ ابْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ وَكِتَابُ أَقْلِيدِسَ فِي الْهَنْدَسَةِ وَكُتُبًا فِي
النَّحْوِ مِثْلُ الْأَجْرُومِيَّةِ وَالْكَافِيَّةِ وَكِتَابُ بِالْعَرَبِيَّةِ فِيهِ مُنَاطَرَاتُ بَيْنَ

مُسْلِمٍ وَبَصْرَانِي فِي الْأَدْيَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ . وَكُنَّا نَبْتَدِيءُ
بِالْكَلَامِ فِي الْعِلْمِ ثُمَّ تَقَعُ الْمَنَازَعَةُ بَيْنَنَا عَلَى الْأَدْيَانِ .
وَقَرَأْتُ يَوْمًا فِي الْقُرْءَانِ الَّذِي كَانَ لَهُ وَوَجَدْتُ بِالْفَرَنْجِ مَكْتُوبًا
بِطُرَّةِ الْكِتَابِ مِنْ هُنَا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ إِبَاحَةَ اللُّوَاطِ!
قُلْتُ لَهُ: مَنْ قَالَ لَكَ أَنَّهُ مُبَاحٌ عِنْدَنَا؟

قَالَ: ظَاهِرٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ فَأَقْرُبُوا زُكْرَانِي سِمْ﴾
قُلْتُ: نَحْنُ عِنْدَنَا أَنَّ اللُّوَاطَ أَشَدُّ ذَنْبًا مِنَ الزَّوْنِ لِأَنَّهُ إِذَا زَنَا مُحْصِنٌ
يُرْجَمُ إِلَى أَنْ يَمُوتَ وَإِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْصِنٍ يُجْلَدُ مِائَةً جَلْدَةٍ وَيُغْرَبُ
عَنْ بَلَدِهِ وَيُسْجَنُ فِيهِ عَامًا؛ وَإِذَا فَعَلَ فَعَلٌ قَوْمٍ لَوْطٍ كَانَ مُحْصِنًا أَوْ
غَيْرَ مُحْصِنٍ (٢٩ب) يَمُوتُ مَرْجُومًا شَرْعًا. وَكَيْفَ تُفْسَرُ أَنْتَ فِي
الْقُرْآنِ وَالْمُفَسِّرُونَ لَهُ يَحْتَاجُونَ عُلُومًا شَتَّى وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ لُغَتَ
الْعَرَبِيَّةِ وَلَا النَّحْوَ فَضْلًا عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: أَمَحِ الَّذِي كَتَبْتَ! وَأَبَى أَنْ يَمَحُو مَا فِي الطُّرَّةِ.
وَكَانَ هُوَ ذَكَرَ لِي أَنَّ فِي كَنِيسَةٍ كَذَا فِيهَا كُتِبَ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ قُلْتُ لَهُ
أَحِبُّ أَطَالِيعُهَا؛ وَمَشِينَا فَوَجَدْنَا قُبَّةً كَبِيرَةً وَالْكَتُبَ صُفُوفًا عَلَى الْوُحَا
وَكِرَاسِي؛ وَكُلُّ كِتَابٍ فِي أَسْفَلِهِ حَلَقَتَيْنِ حَدِيدٍ وَسِلْسِلَةٌ حَدِيدٍ تَجُوزُ
عَلَى جَمِيعِ الْكُتُبِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِنَلَّا تَذَهَبَ وَتَسْرُقَ؛ وَكَانَتْ فِي كُلِّ لُغَةٍ.
فَفَتَشْنَا حَتَّى وَجَدْنَا كِتَابًا عَرَبِيًّا وَفَتَحْنَاهُ لِنَقْرَأَ فِيهِ وَالْمَوْضِعُ الَّذِي
وَجَدْتُ كَانَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنَّهُ كُتِبَ فِي الطُّرَّةِ عَلَيْهَا وَهِيَ
نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنِّي لِلآيَةِ إِلَّا هِدَايَةً مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَبَرَّهَانٌ لِمَا قُلْتُ لِلنَّصْرَانِي . وَمِنْ جُمَلَتِ مَا ذَكَرَ فِي تَفْسِيرِ
الْآيَةِ أَبْيَاتٍ شِعْرٍ؛ فَاخَذْتُ الْقَلَمَ وَكَتَبْتُهَا وَالنَّصْرَانِي حَاضِرٌ؛ وَهَذَا

الَّذِي كَتَبْتُ مِنَ الْكِتَابِ (١٣٠) وَنَظَرْتُ أَوَّلَهُ لِنَذْكُرَ مُؤَلَّفَهُ وَخَصَّتْ رَقَّ فِي أَوَّلِهِ؛ وَهَذَا هُوَ الشَّعْرُ وَلَاكِنْ أَصْلَاحُ فِيهِ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ الْأَجْهَوْرِي عِنْدَ قِرَائَتِي الْكِتَابِ عَلَيْهِ:

حَبَّذَا مَنْ وَهَبَ النِّسَاءَ الصَّالِحَاتِ

هُنَّ لِلنَّسْلِ وَهُنَّ لِلدِّينِ ثَبَاتٌ

يَهَبُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ النِّسَاءَ الْخَيْرَاتِ

إِنَّمَا الْأَرْحَامُ لَنَا مُحَرَّرَاتٌ

فَعَلَيْتَا بِالزَّرْعِ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ النَّبَاتُ

وَلَمْ يَسْعَنِي الْحَالُ أَنْ نَتِمَّ الْقِرَاءَةَ عَلَى مَعْنَى مَا بَقِيَ؛ وَقَالَ:
النَّصْرَانِي مَا هَذَا الَّذِي كَتَبْتَ؟

قُلْتُ: شَيْءٌ مِنْ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الَّتِي كَتَبْتَ أَنْتَ عَلَيْهَا فِي الطَّرِيقَةِ بِإِبَاحَةِ
النِّكَاحِ فِي الدُّبُرِ؛ وَقُلْتُ لَهُ مَعْنَى الشَّعْرِ بِالْإِعْجَمِيَّةِ.

قُلْتُ لَهُ: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: مَعْنَى الشَّعْرِ إِنَّ الْأَرْحَامَ مَوْضِعَ الْحَرْثِ وَعَلَى اللَّهِ النَّبَاتُ.

قُلْتُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ أَنَّ أَحَدًا يَحْرَثُ فِي حَجَرٍ؟

قَالَ: لَا!

قُلْتُ: لَمْ يَحْرَثْ أَحَدٌ إِلَّا فِي مَوْضِعِ النَّبَاتِ أَوْ الزَّرْعِ وَالنِّسَاءَ هُنَّ
حَرْثُ الرِّجَالِ (٣٠ب) فِي مَحَلِّ النَّبَاتِ كَانَتْ يُوْجِهُهَا إِلَيْهِ أَوْ
بِظَهْرِهَا وَحِينَئِذٍ أَخَذَ الْقَلَمَ وَمَحَا مَا كَانَ كَتَبَهُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَجْهَوِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا مَالِكٍ أَنَّ بَعْضًا نَسَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ
قَالَ بِجَوَازِ النِّكَاحِ فِي الدُّبْرِ فَقَالَ لَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ قَوْمٌ غُرَبٌ هَلْ يَكُونُ
الْحَرْثُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الزَّرْعِ .

وَأَمَّا هَذَا الْفِعْلُ الْقَبِيحُ فَقَدْ اشتهرَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَوَهُّمَ
النَّصْرَانِيُّ أَنَّ ذَلِكَ مُبَاحٌ فِي دِينِنَا وَذَلِكَ لِشُهْرَتِهِ وَلِعَدَمِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ
حَتَّى أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ بَعْضًا يَكُونُ عِنْدَهُ أَوْلَادٌ مَخْجُبُونَ لِلْفِعْلِ بِهِمْ وَلَمْ
يَتَذَكَّرُوا أَنَّهُ مَمْتَوِعٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَضِبَ
غَضَبًا شَدِيدًا عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ حَتَّى خَسَفَ بِأَرْبَعَةِ بُلْدَانٍ بِجَمِيعِ مَنْ
كَانَ فِيهَا . وَهَذَا الَّذِي يَتْرُكُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ وَفِي جَمَاعِهِنَّ
تَفْرِيحَ لَهُنَّ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَجْرٌ وَحَسَنَةٌ .

وَيَظْهَرُ أَنَّ مَنْ يُجَامِعُ الذَّكَرَانَ يَحْصُلُ لَهُ ذَنْبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ وُجُوهِ
الْأَوَّلِ تَضْيِيعُ حَقِّ النِّسَاءِ اللَّائِي تَحْتَ حُكْمِهِ؛ وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ الَّذِي
حَرَّمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَافْسَادُ (١٣١) الذَّكَرِ الَّذِي فَعَلَ؛ لِأَنَّهُ يَتْرُكُهُ نَاقِصًا
عَنْ دَرَجَةِ الذُّكُورِ لِلشَّجَاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ الرِّجَالِ؛ وَأَيْضًا
وَضَعُ مِنْهُ فِي مَحَلٍّ لَا يُرْجَى مِنْهُ نَسْلٌ؛ وَمَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَفْعُولِينَ بِذَلِكَ؛ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْ ذَنْبٍ مِنْ أَنْوَاعِ الذُّنُوبِ؛ وَلِلنَّكَاحِ
فِي الْحَلَالِ حَسَنَةٌ عَلَى الْفِعْلِ وَحَسَنَةٌ عَلَى تَفْرِيحِ مَنْ هِيَ تَحْتَ
حُكْمِهِ مُنْتَظَرَةٌ مِنْهُ، وَحَسَنَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قَصْدِهِ: أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ مَنْ
يَذْكُرُهُ وَيَعْبُدُهُ .

وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي مُنَاطَرَةِ النَّصَارَى أَنِّي إِذَا قَوَّيْتُ نَفْسِي فِي الرَّدِّ
عَلَيْهِمْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِجْلَالٌ وَتَعْظِيمٌ وَنَعْظُمٌ فِي أَعْيُنِهِمْ
بِذِكْرِ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِ فَضْلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَبُطْلَانٍ تَثْلِيثِهِمْ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ خَفِرَ الْعَالَمِينَ قَالُوا إِنْ
 اللَّهُ ثَالِثُهُ ثَلَاثَةٌ ﴾ . وَمَهْمَى قَصَرْتُ مِنَ الْخَوْفِ أَوِ الْجَزَعِ فَكَانَ يَنْزِلُ
 عَلَيَّ الذَّلُّ عِنْدَهُمْ ؛ وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَتَحَقَّقْتُ وَفَهِمْتُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 أَرَادَ مِنِّي أَنْ نَجَاهِدَ مَعَهُمْ بِقُوَّةٍ . فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ مَا لَا سَمْعُوهُ مِنْ
 مُسْلِمٍ قَطُّ ؛ وَيَنْصُرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ لِي : إِنْ احْتَجَجْتَ مِنَّا شَيْئاً
 نَقْضِيهِ لَكَ ؛ حَتَّى أَنْ بَعْضَهُمْ يَقُولُ لِي عِنْدَ مَذْحِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : وَهَذَاكَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ عَمِلَ كَذَا أَوْ قَالَ كَذَا
 وَأَجَابَهُمْ (٣١ب) بِمَا يُلْهِمَنِي اللَّهُ الْمُعِينُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

وَقَدْ ذَكَرْتُ يَوْمَماً لأُبرِتَ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ أَنْ يَرِينِي
 الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ الْحَيَالُ حَيْثُ يَجْذُبُونَ بِهِ الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ
 الْمُسَمَّى عِنْدَهُمْ بَيْنْبَةِ ؛ قَالَ : هُوَ فِي دَارِ الْمُتْرَهَبِينَ .

وَمَشِينَا وَبَلَّغْنَا إِلَى الْبَابِ ؛ وَكَانَ مَغْلُوقاً ؛ وَيَدٌ مِنْ عُودٍ مُعْلَقٌ مِنْ
 حَبْلٍ ؛ فَجَذَبَهُ وَحَرَكَ الْحَبْلُ دَاخِلًا نَاقِوصاً صَغِيراً فَسَمِعَ ضَرْبَهُ
 الْمُوَكَّلَ بِالْبَابِ ؛ وَجَاءَ رَاهِبٌ إِلَى الْبَابِ وَتَكَلَّمَ مِنْ طَاقَةِ صَغِيرَةٍ فِي
 دَفْعَةِ الْبَابِ بَعْدَ أَنْ أَزَاحَ مِنْهَا لَوْحاً صَغِيراً ؛ وَطَلَبَ مِنْهُ أُبْرِتُ
 الدُّخُولِ . وَلَمَّا دَخَلْنَا رَأَيْنَا الْحَيَالَ وَالْمُتْرَهَبِينَ يَجْذُبُونَ الْمَاءَ بِهِ .

وَرَأَيْتُ الرُّهْبَانَ بِاللِّحَا غَيْرَ مَقْصُوصَةٍ مَا لَيْسَ مِنْ عَادَةِ
 الْمُتْرَهَبِينَ . قُلْتُ لأُبرِتَ : هَذَا الرُّهْبَانُ عِنْدَهُمْ أَوْلَادٌ ؟

قَالَ - وَهُوَ مُتَعَجِّبٌ - : كَيْفَ تَسْئَلُ عَنْ أَوْلَادِهِمْ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ
 الرُّهْبَانَ لَا يَتَزَوَّجُونَ !

قُلْتُ : رَأَيْتُهُمْ بِلِحَا طَوَالٍ فَاسْتَدَلَّيْتُ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ أَوْلَادٌ ؛ وَأَنَا عَارِفٌ
 بِأَمْرِهِمْ .

قَالَ لِي: الدَّرَاوِشُ عَلَى أَنْوَاعٍ.

وَسَأَلَهُ الرَّاهِبُ عَنِّي؛ قَالَ لَهُ: مُسَلِّمٌ مِّنْ مَّرَاكُشٍ؛

فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ أَخِي فَلَانًا شَقِيقِي كَانَ بِإِسْطَنْبُولَ وَدَخَلَ فِي دِينِ (١٣٢) التُّرْكِيِّينَ، وَنَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّ أَمْسِي إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ نَلْتَقِي

بِأَخِي.

قَالَ لَهُ أَبْرَتُ: مَاذَا تَرِيدُ بِيْلَادِ الْمُسْلِمِينَ؟

قُلْتُ لِلرَّاهِبِ: هَلْ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَكُمْ تَرَكَ الزَّوْاجَ؟

قَالَ الرَّاهِبُ: كَثِيرٌ يَتَزَوَّجُونَ!

قُلْتُ لَهُ: قَدَّرَ إِنْ السُّلْطَانُ نَادَى رَجُلَيْنِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمَا فَالْوَاحِدُ قَبِلَ نِعْمَتَ السُّلْطَانِ وَشَكَرَهُ عَلَيْهَا شُكْرًا دَائِمًا وَالثَّانِي لَمْ يَقْبَلْهَا وَذَلِكَ إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَيَّنَ هَذَا الْعَالَمَ مِنْ أَجْلِ بَنِي آدَمَ فَالَّذِي يَعْمَلُ قَدَرَ جُهِدِهِ لِيَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ لِيَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى بَعْدَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَاكِرٌ وَالَّذِي لَمْ يَقْصُدْهُمْ وَلَا يَرِيدُهُمْ فَلَيْسَ بِشَاكِرٍ.

قَالَ: كَثِيرٌ مِّنْ يَتَزَوَّجُ!

قُلْتُ: الزَّوْاجُ سَبَبٌ فِي الْأَوْلَادِ لِعِمَارَةِ الْعَالَمِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فَإِنْ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي دِينِكُمْ أَنْ يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا سُئِلَ إِنْسَانٌ عَنْ عَمَلٍ صَالِحٍ تَرَكَهُ وَلَا عَمَلَهُ هَلْ يَنْجُوا بِقَوْلِهِ: أَنَا مَا عَمَلْتُهُ وَلَا كُنْ عَمَلَهُ غَيْرِي؟

فَتَوَقَّفَ الرَّاهِبُ عَنِ الْجَوَابِ؛ وَقَالَ لَنَا: ادْخُلُوا مَعِيَ فَدَخَلْنَا بُسْتَانًا.

وَبَيْنَمَا كُنَّا سَائِرِينَ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ رَأَيْتُ شَجَرَةً لَمْ تَتَمَرَّ؛

قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا غَرَسْتُمْ (٣٢ ب) هَذِهِ الشَّجَرَةَ ؟

قَالَ: لِنَتَمَرَّ وَتَعْمَلْ فَاكِهَةً.

قُلْتُ: وَإِذَا لَمْ تَعْمَلْ فَاكِهَةً مَا يُصْنَعُ بِهَا؟ فَتَبَسَّمَ وَعَلِمَ أَنَّ الْمِثَالَ كَانَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ جُرْنَا إِلَى قُدَامِ إِلَى بَيْنَ أَشْجَارٍ غِلَظٍ وَطَوَالٍ جِدَا وَظَهَرَ لِي أَنَّ مِنْ مِثْلِهَا يَعْمَلُونَ صَوَارِي السُّفُنِ؛ وَلَمَّا كُنَّا فِي الْمَوْضِعِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْكِبَارِ وَلَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ قَالَا لِي: تَعَجَّبْنَا مِنْكَ! تَحْقِظُ الْأَلْسُنَ وَتَقْرَأُ الْكُتُبَ وَسِرْتَ فِي الْمَدُنِ وَأَقْطَارِ الدُّنْيَا وَمَعَ هَذَا تَكُونُ مُسْلِمًا!

قُلْتُ لَهُمْ: الْعَجَبُ هُوَ مِنْكُمْ: تَقْرَأُونَ الْكُتُبَ وَالْعُلُومَ وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ وَاحِدٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَهُ أَنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثٍ؛ مَا لَا يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَبَدًا؛ وَذَلِكَ نَقْصَانٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى .

قَالَ أَبْرَتُ: هَذَا التَّثْلِيثُ فِي الْإِلَهِ لَا يَعْرِفُهُ وَلَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ قَرَأَ عِلْمَ الْمَنْطِقِ!

قُلْتُ: وَأَنْتَ قَرَأْتَهُ؟

قَالَ: نَعَمْ !

قُلْتُ لَهُ: بَيِّنْ لِي كَيْفَ هُمْ ثَلَاثَةٌ وَوَاحِدٌ؟ لِأَنَّ أَهْلَ دِينِنَا لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا وَاحِدًا وَلَا عِبَادُوا إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛ وَفِي الْحِسَابِ أَمَّا وَاحِدٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ وَأَمَّا ثَلَاثَةٌ وَهُمْ وَاحِدٌ فَضِدَانٍ لَا يَجْتَمِعَانِ .

قَالَ الرَّاهِبُ: جَاءَنِي الْيَوْمَ الْآخِرُ إِلَهَامٌ وَبَيَانٌ مَقْبُولٌ وَبَرَهَانٌ رَبَّانِي (١٣٣) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ حَقِيقَةً وَكَانَ هُوَ أَيْضًا إِلَهًا؛ وَكَتَبْتُهُ أَتُحِبُّ أَنْ أَتِيكَ بِهِ تَسْمِعُهُ ؟

قَالَ لَهُ أَبَرْتُ: ابْتَنِي بِهِ! فَمَشَى سَرِيعاً لِيَبْنِيهِ وَأَتَى بِهِ وَقَرَأَهُ بِالْفَرَنْجِ
وَعَجَّبَهُمَا وَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ!
قُلْتُ لَهُ: مَاذَا قَالَ فِي وَرَقَتِهِ؟

قَالَ الرَّاهِبُ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ خَلَقَ الدُّنْيَا أَمَرَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ
الْمَخْلُوقَاتِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَخْرُجَ وَيَنْبِتَ وَيَلِدَ عَلَى طَبْعِهِ وَنَوْعِهِ وَمِثْلِهِ
وَرَأَى اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ صَلَاحٌ. فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلُ أَخَذَهُ مِنَ
الْبَابِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّوْرَةِ.

قَالَ لِي: مَاذَا تَقُولُ؟ أَفَعَلَ ذَلِكَ صَلَاحٌ؟
قُلْتُ: نَعَمْ كُلَّمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَهُوَ صَلَاحٌ.
قَالَ: حِينَ رَأَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ صَلَاحٌ إِنْ كُلُّ شَيْءٍ يَخْرُجُ وَيَلِدُ
عَلَى طَبْعِهِ وَمِثْلِهِ؛ أَرَادَ هُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ مِثْلُهُ. قَالَ: مَاذَا تَقُولُ؟
قُلْتُ لَهُ: عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ كَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ
مِثْلُهُ وَإِنَّمَا يَكُونَ لَهُ ابْنٌ آخَرُ فَتَكْثُرَ الْأَلْهَاتُ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهَا.
قُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟

فَبَهَتَ وَبَقِيَ بِوَرَقَتِهِ مُبْطَلَةً غَيْرَ مَقْبُولَةٍ وَكَذْبُهُ ظَاهِرٌ. قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (٣٣ ب) مَا لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءُ
كِبَرٍ كَلِمَةً تُخْرِجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَنْ يَقُولُوا إِنَّا كَذِبًا، وَذَهَبْنَا عَنِ الرَّاهِبِ.

الباب السادس

فِي مَدُونِنَا إِلَى قَاضِي الْأَنْدَلُسِ بِفَرَنْجَةِ بِحَتَابِ السُّلْطَانِ

وَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ بَرِيشَ إِلَى مَدِينَةِ بُرْصِيُوشَ إِلَى قَاضِي الْأَنْدَلُسِ
قَالُوا لَنَا: هُوَ فِي الْبَلَدِ الَّذِي تَخْرُجُ إِلَيْهِ الْأَنْدَلُسُ - وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَوَّلُ
مِنْ بِلَادِ فَرَنْجَةِ الْقَرِيبِ لِلْحُدُودِ بَيْنَ فَرَنْجَةِ وَبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَيُسَمَّى
بِشَانِ جَوَانِ ذُلُزْ - فَمَشِينَا إِلَيْهِ وَذَلِكَ عَامَ عَشْرِينَ وَأَلْفَ؛ وَكَانُوا فِيهِ
آخِرُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ.

وَذَكَرَ لِي مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ رَجُلٌ أَنْدَلُسِيٌّ مِنْ بِلَادِ الشَّعْرِ اسْمُهُ قَلِشُ
بِأَنَّ كِتَابَ الدِّيَّوَانِ السُّلْطَانِيَّ بِمَذْرِيلٍ قَالُوا: بَلَغَ نِهَآيَةَ جَمِيعِ الْأَنْدَلُسِ
بِصَغَارِهِمْ لِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ مَخْلُوقٍ وَأَكْثَرُهُمْ خَرَجُوا بِتُونُسَ . وَكَانَ
عُثْمَانُ دَايَ أَمِيرًا فِيهَا؛ وَتَكَفَّلَ أُمُورَهُمْ بِالسُّكْنَى فِي الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا
فِي الْقَرْيَةِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ غَايَةَ الْإِحْسَانِ؛ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَمَاتَ -
رَحِمَهُ اللَّهُ - عَامَ تِسْعَةِ عَشَرَ وَأَلْفَ؛ وَكَذَلِكَ الْوَلِيَّ الشَّهِيرَ سَيِّدِي
أَبُو الْغَيْثِ الْقَشَّاشُ كَانَ (١٣٤) يَعْطِيهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْوَ أَلْفٍ
وَخَمْسُمِائَةِ قُرْصَةٍ مِنَ الْخُبْزِ صَدَقَةً - جَزَاهُمَا اللَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا.

وَلَمَّا التَّقَيْتُ بِالْقَاضِي؛ كَانَ يَشْكُرُ لِي دِينَهُ حَتَّى قَالَ لِي مِرَارًا:
يَا فَلَانُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَرْجِعَ نَصْرَانِيًّا!

قُلْتُ لَهُ: عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ النَّصَارَى؟

قَالَ: لَيْسَ لَنَا إِلَّا مَذْهَبٌ وَاحِدًا.

قُلْتُ لَهُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَحْيِي نَصْرَانِيًّا مِنْ زَمَن سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثُمَّ يَحْيِي نَصْرَانِيًّا مِنْ كُلِّ قَرْنٍ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ؛ وَجَمِيعِهَا سِتَّةَ عَشَرَ قَرْنًا؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لِغَيْرِهِ: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ لِمَا يَرَى مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ عِنْدَ غَيْرِهِ فِي الدِّينِ . وَالْعَقْلُ السَّالِمُ يَحْكُمُ بِحُكْمٍ قَاطِعٍ أَنَّ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى لَا فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ كَمَا هُوَ دِينُنَا .

قَالَ الْقَاضِي: دِينُنَا كَذَلِكَ!

قُلْتُ: دِينُكُمْ مَفْتُوحٌ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ لِأَنَّ كُلَّ بَابٍ لَهُ أَمْرٌ عِنْدَكُمْ لِيَزِيدَ وَيَنْقُصَ مَا يَظْهَرُ لَهُ فِي الدِّينِ .

قَالَ: هَذَا سَيِّدِنَا عِيسَى - أَوْ كَمَا قَالَ - ذَكَرَهُ الْأَوَائِلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى قَالُوا: أَنَّهُ لَا يَكُونُ قَبْرَ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعْرُوفًا حَقِيقَةً إِلَّا قَبْرُهُ .

قُلْتُ لَهُ: ذَلِكَ قَبْرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُ النَّصَارَى أَنَّهُ فِي (٣٤ب) حَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي الْهَوَى فِي وَسْطِ قُبَّةٍ مُبْنِيَةٍ بِحَجَرِ الْمُغْنَطِيسِ الَّذِي مِنْ خَاصِيَّتِهِ يَجْذِبُ الْحَدِيدَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مَذْفُونٌ فِي الْأَرْضِ فِي مَدِينَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ .

قَالَ لِي: أَنْظِرْ هَذِهِ الْعَافِيَةَ الَّتِي عِنْدَنَا فِي بِلَادِنَا بِخِلَافِ بِلَادِكُمْ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ تَذُلُّ عَلَى صِحَّةِ دِينِنَا .

قُلْتُ: لَيْسَ أَحْكَامُكُمْ وَشَرِيعَةُ دِينِكُمْ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ؛ إِنَّمَا شَرَعَكُمْ عَلَى مَذْهَبِ الْمَجُوسِ الَّذِينَ كَانُوا بِرُومَةَ؛ وَكُتِبَ شَرِيعَتُكُمْ مُتَرْجَمَةً مِنْ كُتُبِهِمْ مِثْلَ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ الْمُسَمَّى بِبِلْضُ وَغَيْرِهِ.
قَالَ: صَدَقْتَ!

وَجَلَسْنَا هُنَاكَ زَمَنًا طَوِيلًا وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالْأَنْدُلُسِ؛ وَأَحْتَجَّتْ
الرَّجُوعَ إِلَى بَرِيشَ.

وَأَمَّا مَا قُلْتُهُ لِلْقَاضِي أَنْ فِي دِينِ النَّصَارَى الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِي كُلِّ
زَمَانٍ؛ فَهَذَا بُرْهَانُ ذَلِكَ - كَمَا اشْتَرَطْتُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ -:
الْبُرْهَانُ وَالنُّصُوصُ مِمَّا نَذْكُرُهُ؛ فَأَمَّا مَا يَكُونُ مِنْ كُتُبِهِمْ فَمِنْ
الْمَكْتُوبِينَ بِالْقَالِبِ؛ وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ أَصْحَابِ الْقَالِبِ أَنْ
يَطْبَعَ كِتَابًا إِلَّا بِالْأَمْرِ مِنْ أَصْحَابِ الدِّيْوَانِ بِالْإِجَازَةِ (١٣٥) إِلَى
صَاحِبِ التَّأْلِيفِ.

قَالَ كُرَيْشُ الْمُنْجَمُ فِي كِتَابِهِ وَأَيْضًا سَمُرَانُ الْأَشْبِيلِي - وَقَدْ
عَرَفْتُهُ فِي مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةِ إِسْمًا وَعَيْتًا - وَأَيْضًا جَبِشُ؛ ذَكَرَ كُلُّ
وَاحِدٍ فِي كِتَابِهِ مَا زَادَهُ وَمَا نَقَصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَابِ.

فَأَمَّا الْبَابُ لِیُونُ : أَمَرَ بَانَ النِّسَا يَدْخُلْنَ مَغْطِيَاتِ الرُّعُوسِ فِي
كَنَائِسِهِمْ.

الْبَابُ الْبَرْتِ أَنْانِي: أَمَرَ أَنْ كُلَّ نِكَاحٍ يَكُونُ بِحَضْرَةِ قَسِيسٍ وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ بِحَضْرَتِهِ فَهُوَ زِنًا مَا لَا كَانَ قَبْلَ.

الْبَابُ إِسْكَندَرُ: أَمَرَ أَنْ الْقَسِيسَ لَا يُصَلِّي إِلَّا صَلَاةً وَاحِدَةً فِي
الْيَوْمِ وَزَادَ فِي فَرَايِضِ الصَّلَاةِ؛ وَأَمَرَ أَنْ الْخَمْرَ الَّذِي يَشْرَبُ

الْقَسِيسُ فِي إِثْنَاءِ الصَّلَاةِ أَنْ يَزِيدَهُ لَهُ مَاءً وَأَنْ يَجْعَلُوا مَاءً مُبَارَكًا عَلَى أَبْوَابِ الْكَنَائِسِ؛ أَنْتَهَى كَلَامَهُ.

وَأَقُولُ أَنَّ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ؛ الْقَسِيسُ الَّذِي يَوْمُ النَّصَارَى أَنَّهُ يُوحِذُ رَغِيْفًا رَقِيْقًا قَدَرِ كَفِّ الْإِنْسَانِ فِي الْإِنْشِرَاحِ مُسْتَدْرَةً فِيهَا صُورَةُ سَيِّدِنَا عِيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَإِذَا كَانَ فِي حَالِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ فَرِضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مَرَّةً فِي كُلِّ يَوْمٍ الْوَاحِدِ وَبَعْضُ أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ؛ وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ الْإِنْجِيلَ مَا يَنْسَبُ لِذَلِكَ الْيَوْمِ؛ لِأَنَّ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ جُزْءٌ مَعْرُوفٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ لِأَنَّهُمْ (٣٥ب) قَسَمُوا الْإِنْجِيلَ كُلَّهُ ثَلَاثِمِائَةً وَخَمْسَ وَسِتِينَ جُزْءًا لِكُلِّ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ جُزْءٌ وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ الْإِمَامُ الْجُزْءَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ - وَعِنْدَ قِرَاعَتِهِ مِنَ الْكِتَابِ تَكُونُ جَمِيعُ النَّاسِ قَاعِيْمِينَ عَرِيَانِينَ الرُّعُوسِ - ثُمَّ يَأْخُذُ الْقَسِيسُ الْقُرْصَةَ وَيَرْفَعُهَا فَوْقَ رَأْسِهِ لِيَرَاهَا الْمَأْمُومُونَ وَيَقُولُ كَلَامًا مَعْنَاهُ: هَذَا هُوَ جَسَدِي - وَهِيَ كَلِمَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ؛ لِأَنَّ فِيهِ أَنْ سَيِّدُنَا عِيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ؛ وَهُوَ بِخَيْرٍ فِي يَدِهِ: هَذَا هُوَ جَسَدِي. وَقَالَ لَهُمْ عَلَى الْخَمْرِ: هَذَا هُوَ دَمِي. وَإِذَا رَفَعَ الْخَمْرَ فِي كَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: هَذَا هُوَ دَمِي؛ وَيَجْعَلُ الْقُرْصَةَ فِي الْخَمْرِ لِيَرْطُبَ قَلِيلًا ثُمَّ يَأْكُلُهَا ثُمَّ يَشْرَبُ الْخَمْرَ كُلَّهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِوَجْهِهِ إِلَى النَّاسِ وَيَقُولُ لَهُمْ: أَنْصَرِفُوا فَقَدْ أُتِمَّتِ الصَّلَاةُ؛ وَلَا يَتَوَضَّأُ أَحَدٌ وَلَا يَغْتَسِلُ أَبَدًا؛ بَلْ هُمْ مُتَّجِسُونَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. أَمَا فِي الْبَاطِنِ فَبِاعْتِقَادِهِمُ الشَّرْكَ وَالْبَاطِلَ فِي الْجَانِبِ الْإِلَاعْلَى وَفِي أَجْسَادِهِمْ وَمَا يَلْبَسُونَهُ كَذَلِكَ. وَإِذَا كَانَ لِلْمُصَلِّيِ كَلْبٌ أَوْ كِلَابٌ فَيَسْبِقُونَهُ لِلْكَنِيسَةِ (١٣٦أ) وَلَا يَرُدُّهَا أَحَدٌ.

وَفِيهَا أَصْنَامٌ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ وَالْحِيطَانِ بِالصُّورِ؛ وَلَا يَذْفُونَ الْمَوْتَى إِلَّا فِي الْكَنَائِسِ. وَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ فِي إِثْنَاءِ الصَّلَاةِ فَيَضْرِبُونَ آلَاتِ الزَّمْرِ الْمُسَمَّى بَارْغَنْسٍ؛ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسٍ وَعَشْرِينَ زُمْرَةً مِنْ نَحَاسٍ أَوْ مَعْدَنٍ غَيْرِهِ؛ وَبَعْضُهَا مِنْهَا قُدْرَ الْخَشَبِ وَمُعَلَّمٌ يَضْرِبُهَا وَلَهَا حِسٌّ قَوِيٌّ وَلَذِيذٌ لِلسَّمْعِ؛ وَوَاحِدٌ يُصَوِّطُ كَثِيرًا لِكثَرَةِ رِيحِ الْمَزَامِيرِ.

وَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ الصَّلَاةُ يَنْزِلُ الْإِمَامُ مِنَ الْمِحْرَابِ لِأَنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِدُرُوجٍ وَبِيَدِهِ طَرَفٌ حَرِيرٍ عَلَى طُولِ ذِرَاعٍ وَيَمْشِي بَيْنَ الرَّجَالِ وَيَمْدُ لَهُمُ الشَّقَّةَ يَقْبَلُونَهَا وَصَبِيَّ وَرَاءَهُ بِكَاسٍ يَقْبِضُ الدَّرَاهِمَ الَّتِي يَعْطُونَهُ؛ وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الرَّجَالِ يَدْخُلُ بَيْنَ النِّسَاءِ وَهُنَّ فِي غَايَةِ الزَّيْنَةِ وَكُلٌّ وَاحِدَةٌ تَأْخُذُ الشَّقَّةَ مِنْ يَدِهِ وَتَقْبِلُهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِمَامَ أَعْطَاهُمْ بِذَلِكَ الْعَافِيَةَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مِحْرَابِهِ وَيَتِمُّ الصَّلَاةَ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَأَمَّا الْأَنْجِيلُ فَقَدَرْتُ فِيهِ سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ حِزْبًا مِنْ أَحْزَابِ الْقُرَّاءِ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا كُلَّهُ كَمَا شَاهَدْتُهُ وَلِتَعْلَمُوا مَا بَيْنَ هَذِهِ عِبَادَةِ الْكَافِرِينَ (٣٦ ب) وَعِبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِنَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا بِاعْتِقَادِ الْحَقِّ وَطَهَارَةِ الْجَسَدِ وَالْمَلْبَسِ وَالْجَامِعِ الطَّاهِرِ النَّقِيِّ مِنَ الْإِثْمَانِ وَالْأَذْرَانِ لِأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ.

وظَهَرَ لِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَمِنْ كَمَالِهَا خَلَقَ جَهَنَّمَ - نَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْهَا -؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَابْنَ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِثًا﴾^١ وَذَلِكَ كَمُلُ لِقِيَمَةِ الْجَنَّةِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ بَرُوِيَّةَ جَهَنَّمَ يَرَا مَا مَنَحَهُ اللَّهُ وَمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ نَعَايِمِ الْجَنَّةِ وَمِمَّا نَجَاهُ وَيَزِيدُ فِي

الشُّكْرَ عَلَيْهَا؛ وَكَذَلِكَ عَلَى مَا نَجَّاهُ مِنَ النَّارِ؛ وَكَذَلِكَ مَنْ يَرَى الْكَفْرَ
فَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي نَجَّاهُ مِنْهُ وَعَلَى هِدَايَتِهِ لِلْإِيمَانِ وَعَلَى
تَوْحِيدِهِ.

وَأَمَّا أَلْبَابُ الرُّومِيِّ شِشْنَطُ: زَادَ فِي صَلَاتِهِمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَقَالُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أَلْبَابُ طَلَسْ أُونَانِي: افْتَرَضَ الصِّيَامَ مَا لَا كَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ؛ وَأَنَّ
الْقَيْسَ يُصَلِّي ثَلَاثَ صَلَوَاتٍ يَوْمَ مِيلَادِ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -؛
وَزَادَ مَا يُغْنَى بِهِ فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ.

وَبَابُ آخَرُ: أَمَرَ أَنْ مَنْ كَانَ قَسِيصًا أَوْ رَاهِبًا يَقْصُ لِحْيَتَهُ.
بَابٌ آخَرُ: سَنَّ صِيَامًا غَيْرَ الْفَرَضِ.

وَبَابٌ آخَرُ أَمَرَ أَنْ (١٣٧) الْكَاسَ الَّذِي يَعْمَلُونَ فِيهِ الْخَمْرَ عِنْدَ
الصَّلَاةِ لَا يَكُونُ مِنْ زُجَاجٍ كَمَا كَانَ قَبْلَ إِلَّا مِنْ فِضَّةٍ.

وَبَابٌ آخَرُ: أَمَرَ أَنْ إِذَا دُعِيَ عَلَى نَصْرَانِي فِي الْأَحْكَامِ إِذَا كَانَ
الدَّاعِي عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ النَّصَارَى أَنْ لَا تَقْبَلَ دَعْوَتُهُ.

وَبَابٌ آخَرُ: أَمَرَ أَنْ لَا يَصُومُ أَحَدٌ فَرَضًا وَلَا سُنَّةً يَوْمَ الْآحَدِ وَلَا
يَوْمَ الْخَمِيسِ ثُمَّ فُسِخَ الْأَمْرُ.

وَبَابٌ آخَرُ: أَمَرَ أَنْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْإِنْجِيلِ فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ تَقْرَأَ
عَقِيدَةُ الشُّرْكِ الَّتِي هِيَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ حِفْظُهَا. قَالَ سَمْرَانُ
وغيره من المؤلفين: إِنَّ الَّذِي عَمِلَ الْعَقِيدَةَ كَانَ الطَّنَاشِيُّ أَسْمُهُ؛
رَجُلٌ قَسِيصٌ بَعْدَ سَيِّدِنَا عَيْسَى بِسِنِينَ كَثِيرَةٍ.

أَلْبَابُ مَرَكُ الرُّومِيِّ: أَمَرَ لِلْقَضَاةِ فِي الْأَحْكَامِ أَنْ لَا يَقْضُوا عَلَى
قَسِيصٍ؛ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْقَسِيصِينَ قَاضِيًا مِنْهُمْ.

وَبَابٌ آخَرُ: زَادَ فِي الصَّلَاةِ شَيْئَيْنِ •

وَبَابٌ آخَرُ: أَمَرَ أَنْ الْقَسِيسَ الْإِمَامَ يَعْطَى الصَّلْحَ بَيْنَ النَّاسِ -
وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الْفِعْلِ كَيْفَ كَانَ •

وَالْبَابُ بِحُلِيِّ الرُّومِيِّ: أَمَرَ أَنْ تُسَمَّى الصَّالِحَةُ مَرِيَمَ بِأَمٍّ كَذَا وَالْأُ
تُسَمَّى إِلَّا بِذَلِكَ الْأَسْمِ؛ فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ إِلَى الْآنَ عِنْدَ النَّصَارَى
وَالتَّابِعِينَ لَهُ؛ لَعَنَهُمُ اللَّهُ (٣٧ب) وَخَذَلَهُمْ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ غُلُوءًا
كَبِيرًا. وَكَانَ ذَلِكَ بِقُرْبِ نِصْفِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ مِيلَادِ سَيِّدِنَا
عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَمَّا اشْتَهَرَ هَذَا الْأَمْرُ الشَّنِيعُ بِهَذَا الْأَسْمِ
الَّذِي لَمْ يَكُنْ قَبْلَ وَعْمَلٍ بِهِ عِنْدَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ؛ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْقُرَّاءِ الْعَظِيمِ
وَدِينِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَكَذَّبَهُمْ فِيمَا قَالُوا وَافْتَرَوْا^١ وَنَزَلَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ وَالْخَوْفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - نَصَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ
- فَكَمْ بَلَدٍ أَخَذُوا مِنْ بِلَادِهِمْ، وَهَذَا أَلْفُ سَنَةٍ بَعْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَثُرَ مَعْمُورُ الدُّنْيَا لِلْمُسْلِمِينَ. نَسْتَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ
يَقْوِيَ الْإِسْلَامَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْخُذُوا مَا بَقِيَ لَهُمْ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيمَا
هُوَ قَرِيبٌ بِفَضْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّفِيعِ الْحَبِيبِ الَّذِي زُوِيَتْ لَهُ الدُّنْيَا
وَرَأَى الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ أَنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ •

وَتَقَدَّمَ لَنَا إِنَّ وَلَادَةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَتْ لَأَخَذَى
وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسِتُّ مِائَةٍ عَلَى حِسَابِ سَمُرَانَ. وَنَظَرْتُ الْحِسَابَ
الَّذِي أَمَكَّنَنِي وَوَجَدْتُ وَلَادَةَ (١٣٨) النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فِي نَحْوِ الْخَمْسِ مِائَةِ وَثَمَانِينَ بِتَقْرِيبٍ أَوْ أَقَلَّ وَذَلِكَ فِي الْقَرْنِ الَّذِي

^١ نَسِيَ الْحَجَرِي إثبات ألف الجمع، وهي لازمة.

أَشْهَرُ بَرَجَلِي اللَّعِينُ وَسَمَّى الصَّالِحَةَ مَرْيَمَ بِأَمٍّ كَذَا^١ وَلَيْسَ بَيْنَ مَا
أَمَرَ بِهِ وَوِلَادَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا نَحْوُ الْأَرْبَعِينَ
سَنَةً بِتَقْرِيْبٍ.

وَأَعْلَمَ أَنْ تَسْمِيَةَ^٢ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - بِإِئْنِ اللَّهِ؛ لَا
يَفْهَمُ مِنْهُ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّهُ إِبْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً؛ إِنَّمَا يَفْهَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَقْبُولٌ
عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَرَأْتُ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْخَوَارِيِينَ قَالَ
لِسَيِّدَنَا عِيسَى: أَنْتَ إِبْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً؟ قَالَ لَهُ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ
السَّلَام - أَنْتَ قُلْتَ؛ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ^٣. وَأَمَّا الْإِنْجِيلُ الَّذِي كَتَبْتُ
مِنْهُ هَذِهِ النُّصُوصَ فَحَذَقُوا مِنْهُ ذَلِكَ.

وَتَقَدَّمَ أَنْ شَيْئًا مِنَ الْإِنْجِيلِ تَرَجَمْتُ مِنَ الرَّقِّ؛ وَقَالَ لِي الْقَسِيسُ:
هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُخْتَلِفَةٌ لِمَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ
وَيَنْقُصُونَ فِي إِنْجِيلِهِمْ وَكُتُبِ دِينِهِمْ. وَبَرَهَانٌ مَا قُلْنَا أَنَّ سَيِّدَنَا
عِيسَى كَانَ إِبْنُ اللَّهِ كَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ مِنَ الْإِنْجِيلِ لِمَتَّى: قَالَ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ
السَّلَام - لِلْخَوَارِيِينَ: "فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ (٣٨ب)
لِيَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الصَّالِحَةَ وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ".

وَقَالَ فِي الْفَصْلِ التَّاسِعِ: "أَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَبْغَضَكُمْ وَصَلُّوا مَنْ
يَطْرُدُكُمْ وَيَغْتَضِبُكُمْ لِكَيْمَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ".

^١ وضع الحجري خطأ فوق كلمة «كذا» وكتب في الحاشية: «الله» وجعل فوقها خطأ.

^٢ أضاف الحجري في الطرة: قال في الطورية وايضا في الانجيل ان كل من كان صالحا يسمى ابن الله.

^٣ كتب الحجري في الحاشية: «ظ قال في التورية وايضا في الانجيل ان كل من كان صالحا يسمى ابن الله تعالى».

وَقَالَ أَيْضًا: "كُونُوا أَنْتُمْ مِثْلَ أَبِيكُمْ السَّمَاءِي فَهُوَ كَامِلٌ".

وَقَالَ فِي دُعَاءِ عِنْدَهُمْ ؛ كَالْفَاتِحَةِ عِنْدَنَا؛ وَهُوَ فِي الْإِنْجِيلِ أَنْ يَقُولُوا: "أَبُونَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ"، فَهَذَا ظَاهِرٌ أَنَّهُ سَمَّى الصِّلَحَاءَ بَلَّ جَمِيعِ النَّاسِ أَبْنَاءَ اللَّهِ تَعَالَى؛ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِالدُّعَاءِ الَّذِي قَالَ لَهُمْ أَنْ يَدْعُوا بِهِ وَهُوَ: أَبُونَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ؛ وَبَانَ مِنْ هَذَا أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَخْلُوقُ نَبِيِّ وَهُوَ بِنَفْسِهِ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ كَانَ صَالِحًا كَانَ ابْنُ اللَّهِ.

وَهَذَا الْبَابُ الْمَلْعُونُ الَّذِي أَمَرَ أَنَّ الصَّالِحَةَ مَرِيَمَ لَا يَكُونُ اسْمُهَا عِنْدَ النَّصَارَى إِلَّا أُمُّ كَذَا فَهُوَ بِخِلَافِ مَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَمْ يَتَجَسَّرَ أَحَدٌ قَبْلَهُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ مَا قَالَ هُوَ.

وَبِهَذَا يَثْبُتُ مَا قُلْتُهُ لِلْقَاضِي عَلَى الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ الَّذِي فِي دِينِ (١٣٩) النَّصَارَى حِينَ دَعَانِي لِدِينِهِ مِمَّا زَادَ الْبَابَ وَنَقَصَ؛ وَالْبَابُ مَقْتُوحٌ الْآنَ لِذَلِكَ.

وَقَالَ مَتَّى فِي الْإِنْجِيلِ: قَالَ عِيسَى: أَنْظَرُوا أَلَا يَضِلُّكُمْ أَحَدٌ لَأَنَّ كَثِيرِينَ يَأْتُونَ بِاسْمِي يَقُولُونَ أَنَا هُوَ عِيسَى وَيَضِلُّونَ وَيَخْذَعُونَ كَثِيرًا. وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ.

وَقَدْ طَالَعْتُ بَيْلَادَ الْفَلَمَنْكِ وَفِي غَيْرِهَا كِتَابًا بِالنُّصُوصِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْكِتَابِ الْقَدِيمَةِ؛ وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْبَابَ هُوَ الدَّجَالُ الْمَذْكُورُ أَنَّهُ يَأْتِي فِي الدُّنْيَا؛ وَهَذَا لِمَا رَأَوْا [١] مِنْ قَبِيحِ فِعْلِهِ؛ وَأَمَّا الدَّجَالُ مَا زَالَ مَا ظَهَرَ.

وَكُنْتُ أَسْمِعُ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْبَابِ كَانَ إِمْرَاءَةً زَانِيَةً وَحَمَلَتْ وَفَضَحَهَا اللَّهُ. وَلَمْ نَتَحَقَّقْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ طَالَعْتُ كِتَابًا قَدِيمًا مَكْتُوبًا

بِالْقَالِبِ وَصَحَّحَ ذَلِكَ؛ ثُمَّ كَتَبَا آخَرَ وَذَكَرَ مُؤَلِّفُهُ أَنَّهُ طَالَعَ اثْنَا عَشَرَ كِتَابًا مِنْ كُتُبِهِمْ، وَذَكَرَ كُلَّ كِتَابٍ بِاسْمِ مُؤَلِّفِهِ؛ وَالْحِكَايَةُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدَةٌ؛ وَتَرَكْتُ أَسْمَاءَ الْكُتُبِ لِلِاخْتِصَارِ. وَالَّذِي ذَكَرُوا فِيهَا قَرَأْتُ: أَنَّ بِيْلَادَ الْإِنْجِلِزِ كَانَتْ بِنْتُ نَصْرَانِيَّةٍ أَسْمُهَا جَلْبِرت؛ وَزَنَى بِهَا رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَمَشَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ أَطِينَاشِ بِيْلَادِ (٣٩ب) الْيُونَانِ وَأَخَفَتْ نَفْسَهَا بِلِبَاسِ الرِّجَالِ وَسُمِّيَتْ بِجَوَانٍ؛ وَبَلَغَتْ فِي الْعِلْمِ مَبْلَغًا عَظِيمًا. وَبَعْدَ سِنِينَ جَاءَتْ إِلَى مَدِينَةِ رُومَةٍ؛ وَالنَّاسُ يَقْرَءُونَ الْعِلْمَ عَلَيْهَا؛ إِلَى أَنْ مَاتَ الْبَابُ الْمُسَمَّى بِلْيُونٍ؛ وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ مِنْ حِسَابِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَتَوَلَّتْ هِيَ الْكُرْسِيَّ وَصَارَتْ بَابًا مِنَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ أَنَّهُ إِلَهُ الْأَرْضِ: يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِلنَّاسِ؛ هُوَ وَجَمِيعُ أَيْمَمَةِ دِينِهِمْ بِبِرْكَتِهِ.

وَكَانَ لَهَا مَمْلُوكٌ أَوْ خَدِيمٌ وَحَمَلَتْ مِنْهُ وَمَشَتْ يَوْمًا لِزِيَارَةِ مَوْضِعٍ يُسَمَّى لُتْرًا - أَعْنِي: كَنِيسَةً - وَمَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ؛ فَأَخَذَهَا وَجَعُ النَّفَاسِ وَوَقَفَتْ وَالنَّاسُ مَعَهَا إِلَى أَنْ وَلَدَتْ؛ وَلَمَّا سَمِعُوا عِبَاطَ الْمَوْلُودِ بَانَ لَهُمْ مَا كَانَ مَخْفِيًا عَنْهُمْ؛ وَمَاتَتْ فِي الْحَيْنِ؛ وَتَزَلَّ بِجَمِيعِ النَّصَارَى وَالْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانِ حَزَنٌ وَخِزْيٌ وَذُلٌّ عَظِيمٌ. وَالزَّمَنُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ التَّوَلِّيَّةُ قَدَرِ سَنَتَيْنِ وَكَذَا وَثَلَاثِينَ يَوْمًا.

وَأَجْتَمَعَ كِبَرَاءُهُمْ فِي الدِّيَّوَانِ وَدَبَّرُوا تَدْبِيرًا جَدِيدًا لِئَلَّا يَقَعَ لَهُمْ (٤٠أ) مِثْلُ ذَلِكَ؛ أَنَّهُمْ إِذَا عَيَّنُوا بَابًا يَأْتُوا إِلَيْهِ الشُّهُودُ الْعُدُولُ وَيَقْلُبُونَهُ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ ذَكَرَ. وَأَمَّا الزَّرِيقَةُ الَّتِي وَلَدَتْ فِيهَا فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَابِ.

الْبَابُ السَّابِعُ

فِي رُجُومِنَا إِلَى مَدِينَةِ بَرِيشٍ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِيهَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ بَرَاوَاتِ السُّلْطَانِ مَا قَضَتْ بِهَا شَيْئًا وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ
الْحَوَايجِ مِنْ إِحْدَى سَفِينَا كَانَتْ مُنْزَلَةً أَمَنَةً؛ وَلَيْتَنَا إِلَى بَرِيشٍ نَطْلُبُ
أَمَرَ السُّلْطَانِ أَنْ يَدْفَعُوا لَنَا حَوَايجَنَا؛ وَوَلَّى أَيْضًا قَاضِي الْإِنْدُلُسِ
إِلَى بَرِيشٍ.

وَمَشَيْتُ يَوْمًا إِلَى دَارِهِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ نَطْلُبُ مِنْهُ بَعْضَ
الْمَوَاجِبِ؛ قَالَ الْقَاضِي: أَتُحِبُّ تَتَعَشَّى عِنْدَنَا؟
قُلْتُ: لَا يَجُوزُ لِي بَعْضَ طَعَامِكُمْ!

قَالَ: مَا نَعْطِيكَ إِلَّا مَا يَجُوزُ فِي دِينِكُمْ؛ وَعِنْدَنَا ضَيْفٌ مِنْ أَكَابِرِ
الْمَمْلَكَةِ وَنُحِبُّ أَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا.

وَكَانَتْ لَيْلَةُ مَوْلِدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ عَامِ إِحْدَى
وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ. وَفَهِمْتُ مِنْهُ أَنَّهُ أَحَبُّ الْكَلَامِ فِي الْأَذْيَانِ لِيُشْرَحَ
الضَّيْفُ؛ لِأَنَّ كُبَرَاءَ الْفَرَنْجِ يَفْرَحُونَ بِالْمَسَائِلِ الْغَرِيبَةِ (٤٠ ب)
فَدَخَلْتُ مَعَهُ؛ وَأَعْطَوْنِي كُرْسِيًّا مِثْلَ كُرَاسِيهِمْ - وَالْمَايِدَةَ بَيْنَنَا -
وَحَمَاتُ الْقَاضِي قَاعِدَةٌ؛ وَكَانَتْ مَوْلَةً بَلَدٍ يُسَمَّى: الطَّرِ؛ وَأَبْتُهَا قَاضِي
وَأَخُوهَا قَاضِي أَيْضًا، وَالرَّجُلُ الْكَبِيرُ الشَّانِ قَاعِدٌ مَعَ الْجَمِيعِ.

وَقَالُوا لِلضَّيْفِ: هَذَا رَجُلٌ تُرْكِي - لِأَنَّ الْفَرَنْجَ لَا يَقُولُونَ
لِلْمُسْلِمِ إِلَّا تُرْكِي - وَذَكَرُوا لَهُ السَّبَبَ الَّذِي الْجَانِي لِلْقُدُومِ إِلَى بِلَادِهِمْ

وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِمَّا ظَهَرَ لَهُمْ؛ وَالْمَرَأَةُ تَرْقُدُ مِنَ الطَّعَامِ وَتَضَعُهُ قُدَّامِي وَأَيْضًا أَخُوهَا وَأَبْنَاهَا.

فَالْقَاضِي ابْتَدَأَ بِالْكَلَامِ - أَعْنِي قَاضِي الْأَنْدَلُسِ - وَقَالَ لِي: هَلْ عِنْدَكُمْ صِيَامٌ فِي دِينِكُمْ فَرَضَ؟

قُلْتُ لَهُ: عِنْدَنَا شَهْرٌ قَمَرِي فِي الْعَامِ.

قَالَ لِي: كَيْفَ هُوَ صِيَامُكُمْ؟

قُلْتُ لَهُ: نَمْسِكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ مِنْ انْشِقَاقِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

قَالَ: نَحْنُ عِنْدَنَا صِيَامٌ فَرَضَ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِكُمْ وَهُوَ تِسْعَ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا مُتَوَالِيَةً.

قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ هُوَ صِيَامُكُمْ؟ وَأَنَا عَارِفٌ بِهِ.

قَالَ: نَأْكُلُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ سَاعَةً مُعْتَدِلَةً ثُمَّ نُمْسِكُ عَنِ الْأَكْلِ إِلَى اللَّيْلِ؛ وَفِي أَوَّلِهِ نَأْكُلُ أَقْلَ طَعَامًا مِمَّا أَكَلْنَا (١٤١) فِي نِصْفِ النَّهَارِ.

قُلْتُ لَهُ: مَا السَّرُّ فِي الصُّومِ وَالْمُرَادُ بِهِ؟ لَأَنَّنَا فِي دِينِنَا هُوَ لِنَرُدَّ النَّفْسَ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَنَزِيلُ مِنْ قُوَّتِهَا بِالصُّومِ.

قَالَ لِي: نَحْنُ كَذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: بَلْ تَزِيدُونَ فِي قُوَّتِكُمْ بِهَذَا الصِّيَامِ.

قَالَ لِي: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ لَهُ: قَالَ بَقْرَاطٌ وَجَالِيئُوسٌ وَإِبْنُ سِينَا وَجَمِيعُ الْأَطْيَابِ مُتَّفِقُونَ مَعَهُمْ أَنَّ لِحْفَظَ الصَّحَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَأْكُلَ الْإِنْسَانُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْكُلُ فِي اللَّيْلِ؛ وَصِيَامُكُمْ عَلَى مَقْتَضَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ؛ فَلَا

يَزِيلُ الصَّيَامُ شَيْئًا مِنْ قُوَّةِ الْجَسَدِ بَلْ يَزِيدُ فِيهِ قُوَّةٌ؛ لِأَنَّ مِنْ حِفْظِ
الصَّحَّةِ تَزْدَادُ الْقُوَّةُ. وَتَكَلَّمَ الْقَاضِي مَعَ الْجَمِيعِ بِالْفَرْنَجِ لِأَنَّهُ كَانَ
يَعْرِفُ - كَمَا قُلْنَا - اللِّسَانَ الْعَجَمِيَّ الْأَنْدَلُسِيَّ وَهُمْ يُدَبِّرُونَ بَيْنَهُمْ
مَاذَا يَقُولُونَ لِي.

ثُمَّ قَالَ: أَعْلَمَ إِنَّنَا فِي أَيَّامِ الصَّيَامِ مَا نَأْكُلُ لَحْمًا وَفِي غَيْرِهِ نَأْكُلُ لَحْمَ
الدَّجَاجِ؛ وَلَا يَخْفَى أَنَّ لَهَا قُوَّةً لَا سِيمَا الْخَصِيءُ مِنْهَا لَهُ قُوَّةٌ.

قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، لَحْمُ الدَّجَاجِ لَهُ قُوَّةٌ وَغِذَاءٌ نَافِعٌ وَالْقَلِيلُ مِنْهُ يَكْفِي
الْإِنْسَانَ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّحْمُ وَوَجَدَ أَطْعَمَةً كَثِيرَةً مِثْلُ هَذَا الَّذِي
(١٤ب) رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَيْدِينَا هُنَا، فَيَأْكُلُ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ حَتَّى يَصِلَ
إِلَى قُوَّةِ اللَّحْمِ فِي الْغِذَاءِ؛ وَلَا يَكُنْ فِي أَكْثَرِ مِقْدَارٍ مِنَ الطَّعَامِ؛ وَكَانَ
ذَلِكَ فِي أَيَّامِ صِيَامِهِمْ. فَأَخَذُوا فِي الْكَلَامِ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَا
يَقُولُونَ؛ وَمَا اتَّفَقَ لَهُمْ شَيْءٌ لِمَقْوِيَةٍ حُجَّتِهِمْ.

وَأَنْتَقَلَ إِلَى مَسْئَلَةٍ أُخْرَى وَقَالَ: مَا السَّبَبُ حَتَّى مَنَعَكُمْ نَبِيُّكُمْ
الْخَمْرَ؟

قُلْتُ: مَنَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّ أَفْضَلَ مَا تَكْرَمُ بِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ هُوَ
الْعَقْلُ وَالَّذِي يَزِيلُهُ هُوَ الْخَمْرُ وَهُوَ أَقْبَحُ الْمَسَائِلِ كُلِّهَا.

قَالَ: حَتَّى عِنْدَنَا هُوَ مَمْنُوعٌ أَنْ يَشْرَبَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ حَتَّى يَسْكُرَ!

قُلْتُ: ظَهَرَ لِي أَنَّهُ مَمْنُوعٌ لَكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا أَنْتَبَهُمْ لَهُ!

قَالُوا: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ؟

قُلْتُ: فِي الدُّعَاءِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ
تَدْعُوا بِهِ؛ وَأَوَّلُهُ: "أَبُونَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ"، إِلَى أَنْ تَقُولُوا: "وَلَا تَدْعُنَا

نَقَعَ عِنْدَ فِتْنَةِ النَّفْسِ، وَأَخْرَوْنَ يُتَرَجِمُونَ: "وَلَا تَدْخُلْنَا التَّجْرِبِ"،
وَهُمُ الْأَكْثَرُ؛ وَالْأَوَّلُ عِنْدِي هُوَ الصَّحِيحُ.
قَالُوا: عِنْدَنَا هَذَا.

قُلْتُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَأْخُذَ الْفِتْنَةُ بِيَدِكَ وَتَطْلُبُ أَنْ لَا يَدْعَكَ تَقَعُ
عِنْدَهَا؟ (١٤٢) لَأَنَّكَ إِذَا زِدْتَ مِنَ الْخَمْرِ قَلِيلًا عَنِ الْعَادَةِ يَذْهَبُ
بِالْعَقْلِ؛ وَإِذَا ذَهَبَ وَقَعْتَ فِي الْفِتَنِ مَعَ طَلَبِكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا يَدْعَكَ
تَقَعُ.

قَالَ: نَحْنُ نَتَحَقَّقُ فِي شُرْبِنَا حَتَّى لَا يَذْهَبَ الْعَقْلُ.
قُلْتُ لَهُمْ: عِنْدِي أَنْ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ قُضَاءٌ وَعُلَمَاءٌ وَمِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ
إِنْ الْإِنْصَافَ لِلْحَقِّ مَوْجُودٌ عِنْدَكُمْ وَالْبُعْدُ عَنِ الْكُذْبِ وَالْبَاطِلِ؛ وَالْأَلَى
هَذَا تَحْلِفُونَ بِدِينِكُمْ أَنْكُمْ مَا زِدْتُمْ قَطَّ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ حَتَّى يَذْهَبَ
بِالْعَقْلِ؟

وَتَكَلَّمُوا بَيْنَهُمْ وَضَحِكُوا جَمِيعًا؛ وَبَضَحَكِهِمْ اعْتَرَفُوا بِمَا رَأَوْا [١] مِنْ
نُفُوسِهِمْ مِرَارًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ بِكَثْرَةِ الشُّرْبِ.
وَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ كَاسًا وَوَضَعَتْ فِيهِ نَقْطَةً خَمْرٍ وَزَادَتْ عَلَيْهِ مَاءً
كَثِيرًا وَقَالَتْ لِصَهْرِهَا: قُلْ لَهُ أَيُّ قُوَّةٍ لِلْخَمْرِ مَعَ هَذَا الْمَاءِ؟
قُلْتُ: أَمَّا هَذَا الْكَاسُ ظَاهِرٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْخَمْرِ إِلَّا قَلِيلًا؛ وَأَمَّا
فِي بَعْضِ الْمَرَاتِ مَا تَجْعَلُ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ؛ وَضَحَكْتَ كَأَنَّهَا
اعْتَرَفَتْ.

قُلْتُ لَهُمْ: طَالَعْتُ كِتَابًا مِنْ كُتُبِكُمْ بِالْعَجَمِيَّةِ وَقَالَ فِيهِ (٤٢ ب): إِنْ
فِي مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ - أَظُنُّ أَنَّهَا بِإِطَالِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ النَّصَارَى - تُعَيَّنُ
النَّاسُ حُكَمَاً لِسَنَةِ كَامِلَةٍ؛ وَإِذَا أَنْصَرَمَتْ يَجْعَلُونَ غَيْرَهُمْ فِي

الْمَنْصَبِ لِسَنَةِ أُخْرَى؛ وَعِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ وَأَمْرٌ مَعْمُولٌ بِهِ: أَنْ كُلَّ مَنْ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا مَا دَامَ فِي سَنَّتِهِ. وَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ وَبَيِّنٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوهُمْ مِنْ شُرْبِهِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا إِلَّا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَقَاسِدِ لِشَارِبِهِ وَلِلنَّاسِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِمْ.

قَالُوا: هَذَا حَقٌّ وَلَكِنْ هُوَ مُبَاحٌ إِذَا لَمْ يَتَعَدَّى فِي الشَّرْبِ.

قَالَتِ الْمَرْأَةُ لِبَصْهَرِهَا: قُلْ لَهُ كَيْفَ أَبَاحَ لَكُمْ نَبِيِّكُمْ أَنْ تَتَكْحُوا أَرْبَعَ نِسَاءً وَمَنَعَكُمْ الْخَمْرَ؟ وَالْمَقْهُومُ مِنْ كَلَامِهَا وَاعْتِقَادِهَا أَنَّ الْخَمْرَ يَزِيدُ قُوَّةَ لِلْجَمَاعِ.

قُلْتُ لَهَا: الْخَمْرُ يَزِيدُ لِشَارِبِهِ أَمْرَاضًا وَنُعَاسًا؛ وَشَارِبُ الْمَاءِ يَعْيشُ صَحِيحًا.

قُلْتُ لَهُمْ: قَرَأْتُ فِي الْإِنْجِيلِ إِنَّ النَّبِيَّ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - جَاءَهُ مَلَكٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ قَبِلَ اللَّهُ دَعَاءَكَ وَإِمْرَاتُكَ الْيَسَبَاتِ تَلِدُ ابْنًا لَكَ يُدْعَى بِاسْمِهِ يُوحَنَّا وَيَكُونُ لَكَ فَرْخٌ (١٤٣) عَظِيمٌ وَتَهْلِيلٌ؛ وَكَثِيرٌ يَفْرَحُونَ بِمَوْلَدِهِ؛ وَيَكُونُ عَظِيمًا قُدَّامَ الرَّبِّ، لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا مُسْكِرًا.

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا عِنْدَكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ؟

قَالُوا: نَعَمْ؛ هَكَذَا هُوَ!

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْمَلَكُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا مُسْكِرًا؛ هُوَ كَمَالٌ فِي حَقِّ الْوَلَدِ أَمْ نُقْصَانٌ؟

قَالُوا: إِنَّمَا ذَلِكَ كَمَالٌ فِيهِ. قُلْتُ لَهُمْ: كَذَلِكَ هُوَ كَمَالٌ فِي دِينِنَا أَنْ لَا نَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا مُسْكِرًا.

فَحِينَئِذٍ أَخَذُوا فِي الْكَلَامِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا لِي: نَحْنُ رَأْيُنَا رَجَالًا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَتَكَلَّمْنَا مَعَهُمْ وَلَمْ نَرَ قَطُّ مَنْ قَالَ لَنَا مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ، وَالْأَجْوِبَةُ الَّتِي رَأَيْنَاهَا وَسَمِعْنَاهَا مِنْكَ.

قُلْتُ لَهُمْ: أَعَلَّمُوا أَنَّنِي تُرْجِمَانُ سُلْطَانِ مَرَاكُشْ؛ وَمَنْ كَانَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَةِ يَحْتَاجُ يَقْرَأُ فِي الْعُلُومِ وَكُتُبِ الْمُسْلِمِينَ وَكُتُبِ النَّصَارَى لِيَعْرِفَ مَا يَقُولُ وَمَا يُتَرْجَمُ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَأَمَّا إِذَا كُنْتُ بِحَضْرَةِ عُلَمَاءِ دِينِنَا لَا أَقْدِرُ أَتَكَلَّمُ فِي الْعُلُومِ بِحَضْرَتِهِمْ.

حِينَئِذٍ أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ لِنَذْهَبَ إِلَى الدَّارِ الَّتِي كُنْتُ (٤٣ ب) نَازِلًا بِهَا؛ وَقَالُوا لِي: لَا تَفْعَلْ، نَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ خِدَامَنَا وَأَقْعُدْ مَعَنَا لِلْكَلَامِ. قَالَتِ الْمَرْأَةُ: كَيْفَ أَبَاحَ لَكُمْ نَبِيُّكُمْ أَنْ تَتَكَبَّحُوا أَرْبَعَةَ نِسَاءَ وَاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَمْ يَعْطِ لِابْنِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً؟ وَلَمَّا رَأَى الْقَضَاةَ الْحَاضِرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْئَلَةَ عَقْلِيَّةٌ أَعَانُوهَا وَتَقَوَّوْا عَلَيَّ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ.

قُلْتُ لَهُمْ: أُمَّنَا حَوَى ظَهَرَ فِيهَا بَرَكَةٌ أَكْثَرَ مِمَّا تَظْهَرُ فِي أَرْبَعَةِ نِسَاءَ مِنْ زَمَانِنَا؛ لِأَنَّهَا وَلَدَتْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً ذُكُورًا وَإِنَاثًا؛ وَنِسَاءُ زَمَانِنَا: إِحْدَى تَكُونُ مَرِيضَةً وَأُخْرَى عَاقِرَةً مَا تَلِدُ أَبَدًا، وَمِثْلُ الْأَعْرَاضِ كَثِيرَةٌ فِيهِنَّ مَا لَا كَانَتْ فِي أُمَّنَا حَوَى.

قَالُوا: سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَمَرَ أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَ أَرْبَعَةً.

قُلْتُ لَهُمْ: الْأَنْبِيَاءُ الْأَوَائِلُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مِثْلُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدِنَا يَعْقُوبَ وَغَيْرُهُمْ؛ فِي أَيِّ مَقَامٍ هُمْ عِنْدَكُمْ؟ قَالُوا: فِي مَقَامِ مَحْمُودٍ وَمَرْضِيٍّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْتُ: كَانَتْ لَهُمْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَجَوَارِي كَمَا فِي دِينِنَا؛ وَكَانَ لِسَيِّدَتِنَا (٤٤أ) سَلِيمَانُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - سَبْعِمِائَةَ امْرَأَةٍ بِالنِّكَاحِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ جَارِيَةٍ - كَمَا هُوَ فِي التَّوْرَةِ.

قَالُوا: تِلْكَ الزَّمَنُ أُبِيحَ ذَلِكَ لِكُثْرِ النَّسْلِ وَالْآنَ الدُّنْيَا عَامِرَةٌ. قُلْتُ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ: أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ كَانُوا يَحْرُكُونَ بَثْمَانَ مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ جَيْشٍ؛ وَالْآنَ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سُلْطَانٌ مَن يَجْمَعُ لِلْحَرْبِ ذَلِكَ الْعَدَدَ إِلَّا السُّلْطَانُ الْأَسِيدُ الْكَبِيرُ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ أَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ عَامِرَةً.

ثُمَّ قَالَ لِي الْقَاضِي: وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ، لِمَاذَا هُوَ مَمْتُوعٌ عِنْدَكُمْ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُ نَجِسٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا النَّجَاسَاتِ؛ وَحَتَّى فِي الْإِنْجِيلِ هُوَ مَمْتُوعٌ!

قَالُوا: لَيْسَ بِمَمْتُوعٍ، وَأَيْنَ الْمَنْعُ فِي الْإِنْجِيلِ؟ قُلْتُ: قَرَأْتُ فِيهِ أَنَّ مَجْتُونَيْنِ كَانَا فِي الْمَقَابِرِ؛ رَدِيَانِ جِدًّا؛ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَجُوزَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ؛ فَصَاحَا قَائِلِينَ: مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ، أَجِئْتَ هَا هُنَا لِنُعَذِّبَنَا؟ وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى بَعِيداً مِنْهُمْ، فَطَلَبْنَا إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ قَائِلِينَ: إِنْ كُنْتَ تَخْرِجُنَا مِنْ هَاهُنَا فَارْسِلْنَا إِلَى قَطِيعِ خَنَازِيرٍ؛ فَقَالَ لَهُمْ: (٤٤ب) اذْهَبُوا، وَلَمَّا خَرَجُوا مَضَوْا وَدَخَلُوا فِي الْخَنَازِيرِ؛ وَإِذَا بِقَطِيعِ الْخَنَازِيرِ كُلِّهِ قَدْ وَثَبَ عَلَى جُرْفٍ وَتَوَاقَعَ فِي الْبَحْرِ وَمَاتَ جَمِيعُهُ فِي الْمَاءِ وَهَرَبَ الرُّعَاةُ، أَنْتَهَى، وَكَانُوا نَحْوَ أَلْفَيْنِ.

١ كتب الحجري فوقها: «منه».

قُلْتُ لَهُمْ: الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَانُوا يَخْسِرُونَ النَّاسَ فِي
أَمْوَالِهِمْ؟

قَالُوا: لَا!

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا نَحْوُ الْفَيْنِ خَنْزِيرٍ تُسَاوِي دَرَاهِمَ كَثِيرَةً وَأَذَنَ سَيِّدِنَا
عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي إِفْنَائِهَا وَتَلْفِهَا وَأَنَّ أَرْبَابَهَا يَخْسِرُونَ
قِيمَتَهَا لِأَجْلِ أَنَّ الْخَنْزِيرَ كَانَتْ عِنْدَهُ حَرَامًا؛ وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْمَوَاشِي
الْمُبَاحَةِ لَمْ يَأْذَنَ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِلْجُنُونِ بِالْذُّخُولِ فِيهَا
لِإِفْسَادِهَا وَهَلَاكِهَا. فَأَخَذَ الْقُضَاةُ فِي الْكَلَامِ وَالتَّدْبِيرِ فِي الْجَوَابِ.

ثُمَّ قَالُوا: لَمْ تَبْلُغْ هَذَا الْعَدَدَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ!

قُلْتُ: هَذَا الَّذِي قَرَأْتُهُ؛ فَأَحْضِرِ الْإِنْجِيلَ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ
هَذِهِ الْمَسْئَلَةَ فِي مَوْضِعَيْنِ فِي الْإِنْجِيلِ: فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ عَشَرَ
لِمَرْقُسَ؛ وَهُوَ الَّذِي قَالَ: كَانُوا نَحْوُ أَلْفَيْنِ.

ثُمَّ أَنَّهُمْ أَخَذُوا فِي الْكَلَامِ وَلَمْ يَجِدُوا مَا يُجَاوِبُوا بِهِ وَكَانَ قَدْ مَضَى
(١٤٥) مِنَ اللَّيْلِ نَحْوَ نِصْفِهِ؛ فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، وَبَعَثُوا مَعِيَ
خُدَّامَهُمْ؛ وَرَأَيْتَهُمْ فَارِحِينَ شَاكِرِينَ لِي؛ وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنِّي إِلَّا مَا
ذَكَرْتُ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عَكْسَ دِينِهِمْ.

وَأَصْبَحْتُ يَوْمًا آخَرُ؛ وَمَشَيْتُ إِلَى الْقَاضِي وَأَعْطَانِي الْمَوَاجِبَ
وَمَا أَخَذَ مِنِّي شَيْئًا مِنَ الدَّرَاهِمِشَ فِيهَا. ثُمَّ أَبْصَرْتُني الْمَرْأَةُ الَّتِي
كَانَتْ مَعَنَا لِلْكَلامِ وَرَعَتْ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ وَأَعْطَيْتِي دَرَاهِمَ ذَهَبًا
لَيْسَ بِالْقَلِيلِ وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ عَلَى الدِّينِ وَبَرَكََةِ يَوْمِ
مَوْلِدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَمِمَّا ذَكَرَ لِي أُبْرَتْ أَنْ فِي بَلَدٍ يُسَمَّى شَانْدِينْشِي؛ عَلَى بُعْدِ سِتَّةِ
أَمْيَالٍ مِنْ بَرِيش - فِي دَارٍ عَظِيمَةٍ لِلْمُتْرَاهِينِ ذَخَايِرٌ وَتِجَانٍ
لِلْمُلُوكِ وَغَيْرُ ذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ الْمَاضِيِينَ وَالْأَسَاكِفَةِ؛ وَمَنْ جُمِلَتْهَا
كَاسٌ مِنْ بِلُورٍ كَبِيرٍ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْحُرُوفُ مَرْسُومَةٌ مَصْتُوعَةٌ
فِي وَسْطِ الْكَاسِ؛ وَأَنَّهُ كَانَ لِسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ -
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - قُلْتُ لَهُ: أَحِبُّ أَرَى ذَلِكَ!

وَسِرْتَنَا وَبَلَّغْنَا إِلَى الدَّارِ وَكَانَ فِيهَا أَنْاسٌ جَاءُوا مِنْ بِلَادِهِمْ لِرُؤْيَةِ
(٤٥ ب) الذَّخَايِرِ . وَصَعَدْنَا جَمِيعاً إِلَى بَيْتٍ مُرْتَفِعٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ
وَفَتَحَ الْخَزَانَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الذَّخَايِرُ؛ وَأَخَذَ تَاجاً مِنْ ذَهَبٍ وَتَكَلَّمَ
عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا تَاجُ السُّلْطَانِ الْفَلَانِيِّ؛ ثُمَّ قَبَضَ آخَرَ مِنَ التِّجَانِ
وَذَكَرَ لِمَنْ كَانَ؛ وَبَقِيَ كَذَلِكَ يَأْخُذُ تَاجاً بَعْدَ تَاجٍ وَهِيَ بِالْأَخْبَارِ
الْمُنْبَتَّةِ وَالضَّيْمَتِ^١ وَالْيَاقُوتِ النَّفِيسَةِ . ثُمَّ أَخَذَ كَاساً بِلُورٍ عَلَى طُولِ
ذِرَاعِ الْإِنْسَانِ وَمَوْضِعُ قَبْضِهِ فِي الْوَسْطِ أَوْ أَنْزَلَ مِنْهُ حِزَامٌ مَكْتُوبٌ
بِالْعَرَبِيَّةِ بِخَطِّ مِثْلِ الْكُوفِيِّ مَنقُوشَةٌ فِيهِ؛ وَقَبَضْتُهُ بِيَدِي وَقَرَأْتُ فِي
الْمَكْتُوبِ أَسْمِينَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: هَادِي؛ كَافِي؛ وَلَوْ تَرَكَهُ
عِنْدِي لَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ، وَسَدَّ عَلَى الذَّخَايِرِ . وَتَعَجَّبْتُ مِمَّا اتَّفَقَ لِي بِأَخْذِ
كَاسِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِيَدِي؛ وَأَيْضاً الرِّقَّ الَّذِي تَقَدَّمَ
ذِكْرُهُ مِنْ زَمَنِ سَيْسَلِيُوهُ كَاتِبُ الصَّالِحَةِ مَرِّيمَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -
وَبَعْضَ الْكُتُبِ فِي وَرَقِ الرِّصَاصِ مِنْ تِلْكَ الزَّمَانِ .

أَنْظَرُ الْعَرَبِيَّةَ مَا أَقْدَامُهَا، وَأَيُّ حُرْمَةٍ لَهَا حَتَّى أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ سَيِّدِنَا
سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - (١٤٦) لَمْ يَخْتَرْ إِلَّا حُرُوفَ الْعَرَبِيَّةِ وَأَسْمَاءَ

^١ يريد: الدائمت Dimond وهو الألماس.

اللَّهُ مَكْتُوبَةً بِهَا فِي الْكَاسِ لِيَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا عِنْدَ قَبْضِهِ . وَالْكَلَامُ
بِالْعَرَبِيَّةِ لِمَنْ يَعْرِفُهَا خَيْرٌ مِنْ الْكَلَامِ بِغَيْرِهَا مِنْ اللُّغَاتِ، كَمَا ذَكَرَ
النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهَا .

وَأَمَّا الَّذِي قَضَيْتُ فِي بَرِيشٍ؛ أَعْطَوْنِي كِتَابَ السُّلْطَانِ بِطَابِعِ
الدِّيَّانِ الْكَبِيرِ لِلْحُكَّامِ عَلَى كَافَّةِ الدَّوَاوِينِ الَّتِي بِيِلَادِ الْفَرَنْجِ وَالْأَمْرِ
فِيهِ أَنْ جَمِيعَ مَا يُجَدُّ مِنْ نَهَبِ الْإِنْدَلُسِ أَنْ يَدْفَعُوهُ لِي؛ وَذَكَرَ قَائِدُ
طَابِعِ السُّلْطَانِ أَنَّ فِي بَلَدِهِ بِاللُّونَةِ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ رَعِيسًا؛ كُلُّ وَاحِدٍ
بِسَفِينَتِهِ نَهَبَ الْإِنْدَلُسِ الَّذِينَ أَكْتَرَوْهَا؛ وَكَانَ فِيهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ
نَهَبُوا إِحْدَى السُّفُنِ الَّتِي كَانَتْ لِي الْوَكَالَةُ عَلَيْهَا . وَاتَّفَقْنَا أَنْ نَمْشِيَ
مَعَهُ مِنْ بَرِيشٍ .

الرَّابِعُ الثَّامِنُ

فِي مَدِينِنَا إِلَى أُولُونَه ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ بُرْخِيُوشَ

وَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَظْهَرَ مِنَ النَّصِيحَةِ إِلَيْنَا قَائِدُ الطَّائِفِ؛ مَشَيْنَا إِلَى بَلَدِهِ؛
وَلَمَّا أَنْ وَصَلْنَا إِلَى دَارِهِ - وَكَانَتْ خَارِجًا عَنِ الْبَلَدِ عَلَى قُرْبِ نَهْرٍ
- وَهِيَ مَانِعَةٌ كَبِيرَةٌ مُبْنِيَّةٌ بِالْحَجَرِ الْمَنْجُورِ؛ وَفِيهَا بَعْضُ الْمَدَافِعِ
(٤٦ ب) وَيُقَرِّبُهَا بُسْتَانٌ كَبِيرٌ وَغَابَاتٌ؛ وَبِلَادٌ وَاسِعَةٌ لِلزَّرْعِ؛ كُلُّ
ذَلِكَ لِلْقَائِدِ الْمَذْكُورِ.

وَأَقْبَلْتُ عَلَيْنَا زَوْجَتَهُ وَخُدَامُهَا مِنَ الْبَنَاتِ وَالرِّجَالِ؛ وَكَانَتْ فِي
تِلْكَ الدَّارِ بِنْتُ مَنْ قَرَابَتُهُمْ ذَاتُ مَالٍ عَظِيمٍ مِمَّا تَرَكَ لَهَا وَالِدُهَا؛
وَهِيَ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ وَلَهَا مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ كَثِيرٌ؛
وَطَلَبَهَا لِلزَّوْاجِ كَثِيرٌ مِنْ أَكْبَارِ أَهْلِ بِلَادِهِمْ وَلَمْ تَرْضَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ.
وَقَدَّمُوا لِي مَعَ أَصْحَابِي طَعَامًا فَلَمْ نَأْكُلْ مِنْهُ. قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا
مَمْنُوعٌ فِي دِينِنَا؛ ثُمَّ أَعْطُونَا مَا ذَكَرْنَا لَهُمْ.

ثُمَّ جَاءَتِ الْبِنْتُ وَقَالَتْ لِي: أَنْ أَصِفَ لَهَا حَالَ النِّسَاءِ الَّتِي هُنَّ فِي
غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاخَةِ عِنْدَنَا. وَذَكَرْتُ لَهَا مَا تَيَسَّرَ.

قَالَتْ: أَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ! وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ بَيِّضًا بِشَيْءٍ مِنَ الْحُمْرَةِ
وَشَعْرُهَا أَسْوَدَ وَشَعْرُ الْخَوَاجِبِ وَأَشْفَارِ الْعَيْنِ وَكُحْلُ الْعَيْنِ فِي
غَايَةِ؛ وَالْمَرَأَةُ عِنْدَ الْفَرَنْجِ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَهْمُولَةٌ عِنْدَهُمْ فِي
الْحُسْنِ؛ وَيَقُولُونَ: أَنَّهَا سَوْدَا.

وَقَدْ كُنْتُ أَذْكُرُ لِأَصْحَابِي بَعْضَ الْحِكَايَاتِ فِيمَا وَقَعَ لِلرِّجَالِ
الصَّالِحِ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْخُدُودِ لِتَقْوِيهِمْ عَلَى نَفُوسِهِمْ وَنَفْسِي عَلَى
دَعَاوَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فِي شَأْنِ النِّسَاءِ (١٤٧) الْمُحَرَّمَاتِ لِأَنَّ
بِسَبَبِ الْحَرِيمِ الْمَكْشُوفِ كَانَ الشَّيْطَانُ يُوسَّسُنَا كَثِيرًا؛ وَكُنَّا
صَابِرِينَ.

وَكَانَتْ الْبَيْتُ تُزَيِّنُ نَفْسَهَا وَتَسْتَلْنِي: هَلْ فِي بِلَادِنَا مَنْ يَلْبَسُ
لِبَاسَاتِ الْحَرِيرِ مِثْلَهَا؟ ثُمَّ قَالَتْ لِي: أَعْلَمُكَ بَقَرًا بِالْفَرَنْجِ، وَصِرْتُ
تَلْمِيزًا لَهَا؛ وَأَخَذْتُ فِي إِكْرَامِ أَصْحَابِي؛ وَكَثُرَتْ الْمَحَبَّةُ بَيْنَنَا حَتَّى
أَبْلَيْتُ بِمَحَبَّتِهَا بَلِيَّةَ عَظِيمَةٍ. وَقُلْتُ: قَبْلَ ذَلِكَ كُنْتُ فِي خِصَامٍ مَعَ
النَّصَارَى عَلَى الْأَمَالِ وَفِي الْجِهَادِ عَلَى الدِّينِ وَالْآنَ هُوَ الْخِصَامُ مَعَ
النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ؛ فَالنَّفْسُ تَطْلُبُ قِضَا الْغَرَضِ وَالشَّيْطَانُ يَعِينُهَا؛
وَالرُّوحُ يَنْهَى عَنِ الْحَرَامِ؛ وَالْعَقْلُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمَا. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَعْبَرُ بِالْقَلْبِ عَنِ الرُّوحِ؛ فَالنَّفْسُ تَسْتَعِينُ بِالشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ مِنْ طَبْعِهَا
وَهُوَ طَبْعُ النَّارِ وَالْحَرَارَةِ وَالْيُوسُوسَةِ؛ وَلَا يُوسَّسُنَا الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْعَلَ
إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ؛ وَالرُّوحُ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ
قَالَ إِبْلِيسُ عِنْدَ اسْتِكْبَارِهِ عَنِ السُّجُودِ لِسَيِّدِنَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
"خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ؛ وَحَيْثُ هِيَ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ مِنْ طَبْعِ النَّارِ فَهُمَا
يَتَّبَعَانِ الْإِنْسَانَ لِيَذْهَبَ إِلَيْهِ مَعَهُمَا؛ وَلَمَّا عَلِمَ الشَّيْطَانُ أَنَّ لِنَفْسٍ
(١٤٧ب) لَهُ قُوَّةَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا لِيُوسَّسُهُ فَقَطَّ؛ وَأَنَّ الْيُوسَّسَ
يُرِدُّهُ الْإِنْسَانُ تَارَةً بِلَا تَعَبٍ وَتَارَةً يَحْتَاجُ الدُّعَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَكَنْتُ أَخْرَجُ إِلَى بَيْنِ الْأَشْجَارِ وَأَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنِي
فَمَسَّنِي إِبْلِيسُ إِلَى صَاحِبِي - وَكَانَ أَكْبَرُهُمْ سِنًا مِنَ الْأَصْحَابِ -

وَوَسْوَسَهُ وَاتَّفَقَ مَعَهُ أَنْ يُكَلِّمَنِي فِي شَأْنِ الْبِنْتِ؛ وَكُنْتُ أَخْفِي مَا أَصَابَنِي مِنَ الْهَمِّ بِسَبَبِ الْبِنْتِ مِنْ أَصْحَابِي لِئَلَّا يَظْهَرَ لَهُمْ ضَعْفُ مِنِّي إِذْ كُنْتُ أَقْوَاهُمْ أَنْ يَغْلِبُوا نَفْسَهُمْ عَنِ النِّسَاءِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَيْلِ لَهُنَّ. فَجَأَنِي صَاحِبِي عَلَى وَجْهِ السَّرِّ وَالنُّصْحِ.

وَقَالَ لِي: يَا سَيِّدِي أَصَابَنِي تَغْيِيرٌ بِسَبَبِ النَّاْقِصَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا مِنْكَ. قُلْتُ لَهُ: أَذْكَرُ لِي مَا رَأَيْتَ مِنِّي لَعَلَّكَ تَتَفَعَّنِي.

قَالَ: هَذِهِ الْبِنْتُ مَا يَخْفَى حَالُهَا؛ وَهِيَ تَعْمَلُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ مَعَنَا بِسَبَبِ مَحَبَّتِهَا إِلَيْكَ إِذْ هِيَ ظَاهِرَةٌ لَيْسَتْ بِخَافِيَةٍ؛ وَأَنْتَ تَعْرِفُ الْعَادَةَ الْجَارِيَةَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ إِنَّ الرَّجُلَ يَمُدُّ يَدَهُ لِلنِّبَاتِ وَيَلْعِبُهَا؛ وَلَيْسَ بَعِيبٌ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ هَذَا النَّاسِ؛ وَهِيَ تَقِفُ أَمَامَكَ مِرَاراً قَرِيباً مِنْكَ تَتَنَظَّرُ أَنْ تَلَاعِبَهَا وَأَنْتَ لَا تَفْرُحُهَا وَلَا تَشْرَحُهَا!

قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا أَقْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ. قُلْتُ: (١٤٨) يَا صَاحِبِي هَذَا عِنْدَنَا فِي دِينِنَا أَمْرٌ بِالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّصْرُ هُوَ: "وَالْتَكُفَّ يَدَكَ عَنْ مَا لَا يُحِلُّ لَكَ مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ"؛ وَهَذَا جَسَدٌ لَيْسَ بِحَلَالٍ لِي! قَالَ: لَا أَقُولُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَلْعِبَهَا فَقَطْ! قُلْتُ لَهُ: قَالَ صَاحِبُ الْبُرْدَةِ:

فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتِهَا إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ
قَالَ: مَا مَعْنَى هَذَا؟

قُلْتُ: الَّذِي يَفْهَمُ مِنَ الْمَعْنَى - حَسْبَمَا سَمِعْتُ - لَا تَحْسِبْ أَنَّكَ إِذَا أَعْطَيْتَ لِلنَّفْسِ الْقَلِيلَ مِمَّا تَشْتَهِي مِنَ الْحَرَامِ إِنَّهَا تَقْنَعُ بِذَلِكَ بَلْ تَزْدَادُ شَهْوَتَهَا وَتَتَقَوَّى عَلَيْكَ وَتَغْلِبُكَ حَتَّى تَفْعَلَ مِنَ الْحَرَامِ أَكْثَرَ مِمَّا

قَصَدْتُ . وَمِثَالُ ذَلِكَ: أَنْ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ صَائِمًا فَهُوَ صَابِرٌ عَلَى
الطَّعَامِ حَتَّى يَبْتَدِيَ بِالْمَأْكُولِ تَتَقَوَّى شَهْوَتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ حَتَّى
يَشْبَعَ؛ وَالْأَحْسَنُ وَالْأَفْضَلُ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَأَنْ يَعْصِيَهُمَا .

فَلَا نَفَعَ مَعَ صَاحِبِي مِنْ كُلِّ مَا قُلْتُ لَهُ شَيْئًا لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَرَائِي
وَالْبِنْتُ وَاقِفَةٌ تَتَكَلَّمُ مَعِي وَأَذْحَانِي إِلَيْهَا؛ وَحِينَ ذَهَبْتُ خَاصَمْتُهُ عَلَى
حُمَقِهِ .

وَسَأَلْتَنِي : هَلْ عِنْدِي امْرَأَةٌ فِي بِلَادِي؟

قُلْتُ لَهَا: عِنْدِي!

ثُمَّ قَالَتْ: وَتَتَزَوَّجُونَ أَكْثَرَ مِنْ امْرَأَةٍ؟

قُلْتُ لَهَا: جَانِزٌ ذَلِكَ فِي دِينِنَا.

ثُمَّ (٤٨ ب) قَالَتْ: هَلْ عِنْدَكَ أَوْلَادٌ؟

قُلْتُ لَهَا: عِنْدِي؛ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي - حِينَ عَلِمْتُ ذَلِكَ تَتَقَصُّ الْمَحَبَّةُ
فَلَمْ تَتَقَصَّ شَيْئًا .

وَرَأَيْتُهَا يَوْمًا زَيَّنَتْ نَفْسَهَا وَكَانَتْ تَرَعَانِي وَلَيْسَ لِي خَبَرٌ بِمَا
أَضْمَرْتُ؛ وَسِرْتُ إِلَى الْجَنَانِ؛ وَالْبَسَاتَيْنِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ مَا لَهَا حَيْطَانٌ
لِلتَّخْوِيطِ بَلْ يَحْقِرُونَ خَنْدَقًا دَائِرًا بِالْبُسْتَانِ غَرِيقًا لِمَنْعِ النَّاسِ مِنَ
الدَّخُولِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ الْبَابِ . وَسَمِعْتُهَا تُتَادِينِي فَجِئْتُ مِنْ دَاخِلِ الْجَنَانِ
إِلَى حَاشِيَةِ الْخَنْدَقِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ عَلَى الْحَاشِيَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى
وَطَرِيقٌ صَغِيرٌ هَابِطٌ إِلَى قَعْرِ الْخَفَرَةِ وَطَالَعَ إِلَى الْجَنَانِ وَالْخَنْدَقِ،
الْكُلَّ عَامِرًا بِالْأَشْجَارِ الْبَرِّيَّةِ حَتَّى لَا يَظْهَرُ قَعْرُهُ إِلَّا فِي بَعْضِ
الْمَوَاضِعِ؛ فَتَكَلَّمْنَا هُنَاكَ وَفَهِمْتُ مِنْ حَالِهَا مَا لَا يَخْفَى؛ وَتَكَلَّمَ بَعْضُ
أَصْحَابِي فِي الْجَنَانِ وَقَرُبَ مِنْ جِهَتِي وَذَهَبَتْ . وَفَكَّنِي اللَّهُ بِفَضْلِهِ

وَإِحْسَانِهِ وَحَمَائِيَّتِهِ وَتَوْفِيقِهِ الْجَمِيلِ؛ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي
صَدَرَ مِنِّي إِلَيْهَا وَالنَّظَرَ إِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ؛ وَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الصَّغَايِرَ
بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ .

وَقَدْ جَاءَتْ بِنْتُ مِنْ أَكَابِرِ الْفَرَنْجِ مِنْ مَدِينَةٍ فُنْتُي إِلَى زِيَارَةِ
صَنْمٍ بِقُرْبِ الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ (١٤٩) وَبَعْدَ الزِّيَارَةِ جَاءَتْ إِلَى
إِمْرَأَةِ الْقَائِدِ وَالْبِنْتِ الَّتِي فَرَعْنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا؛ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهَا .
وَبَعْدَ الطَّعَامِ نَادَوْتِي وَأَعْطَوْنِي كُرْسِيًّا؛ وَجَلَسْتُ وَزَوْجَةُ الْقَائِدِ عَنْ
يَمِينِي وَالْبَنَاتُ قُبَالَتِي وَالَّتِي جَاءَتْ إِلَى الزِّيَارَةِ كَانَتْ أَجْمَلُ وَأَزِينُ
مِنَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدَّارِ؛ وَفِي حَالِ لِيَاسِيهَا ظَاهِرَةٌ أَنَّهَا مِنَ الْأَكَابِرِ؛
وَمَعَهَا بِنْتَانِ تَخْدُمَانِيهَا .

وَقَبْلَ أَنْ نَادَوْتِي أَعْلَمُوهُمَا بِي؛ وَلَمَّا جَلَسْتُ نَظَرْتَنِي سِزْرًا
وَأَظْهَرَتْ فِي وَجْهِهَا الْغَضَبُ وَقَالَتْ لِي: أَنْتِ تَرْكِي؟
قُلْتُ لَهَا: مُسْلِمٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ .

قَالَتْ: كَيْفَ بِكُمْ لَمْ تَعْرِفُوا اللَّهَ؟

قُلْتُ لَهَا: الْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَ اللَّهَ خَيْرًا مِنْكُمْ!

قَالَتْ: خَيْرٌ مِنَّا؟

قُلْتُ لَهَا: نَعَمْ!

قَالَتْ لِي: بِمَا تُثَبِّتُ ذَلِكَ؟

فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَرَأَيْتُ تَحْتَ إِبْطِهَا كِتَابًا - كَمَا هِيَ مِنْ عَادَةِ بَنَاتِ
التُّجَّارِ وَالْأَكَابِرِ مِنَ الْفَرَنْجِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَحْمِلُ كِتَابًا مِثْلَ تَهْلِيلٍ؛ وَفِي
كُلِّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةُ آدَعِيَةٍ أَوْ سُورِ الْتِّي هِيَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ
حِفْظُهَا .

قُلْتُ لَهَا: الْبُرْهَانُ فِيمَا قُلْتُ فِي كِتَابِكَ الَّذِي عِنْدَكَ وَبِهِ نُبْتُ مَا قُلْتَهُ
لَكَ . فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ وَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى الْمَايِدَةِ (٤٩ ب)
وَقَالَتْ: هَا هُوَ الْكِتَابُ!

قُلْتُ لَهَا: أَنْظِرِي الْعَشْرَةَ الْأَوَامِرَ الرَّبَّانِيَّةَ!
فَفَسَّسْتُ فِي الْكِتَابِ وَقَالَتْ: هَا هِيَ!
قُلْتُ لَهَا: أَقْرَءِي الْأَمْرَ الْأَوَّلَ مِنَ الْعَشْرَةِ فِي دِينِ اللَّهِ!
فَقَرَأَتْ وَقَالَتْ: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْعَشْرَةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تَعْمَلْ
صُورًا وَلَا تَعْبُدْهَا؛ اعْبُدْ اللَّهَ وَحْدَهُ .

وَلَمَّا أَنْ قَرَأْتُهُ قُلْتُ لَهَا: الْمُسْلِمُونَ مَا يَعْمَلُونَ صُورًا وَلَا يَعْبُدُونَهَا
وَيَتَحَفَظُونَ مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى أَنْ النِّسَاءَ الَّتِي تَرْقُمْنَ لَمْ تُصَوِّرْنَ فِي
رَقْمِهَا أَبَدًا شَيْئًا لَهُ رُوحٌ؛ وَكَذَلِكَ الرِّسَامُونَ الَّذِينَ يَرَسُمُونَ
وَيُزَوِّقُونَ دِيَارَ الْمُلُوكِ وَالْجَوَامِعِ؛ لَمْ يُصَوِّرُوا أَبَدًا شَيْئًا فِيهِ رُوحٌ .
قَالَتْ: لَيْسَ عِبَادَتَنَا لِلْأَصْنَامِ لِذَاتِهَا؛ إِنَّمَا ذَلِكَ لِلْمُشَبِّهِ بِهِ .

قُلْتُ لَهَا: كَانَ لِي كَلَامٌ أَقُولُهُ لَكَ فِي الشَّيْبِ وَالْمُشَبِّهِ وَلَكِنْ أَتْرُكُهُ
لِنَحْزِكِ لِمَسْئَلَةٍ أُخْرَى لَنْ تَجِدِي لَهَا جَوَابًا!

قَالَتْ: مَاذَا هِيَ؟

قُلْتُ لَهَا: الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ بِالنِّصِّ قَالَ: لَا تَعْمَلُوا صُورًا وَلَا تَعْبُدُواهَا؟
قَالَتْ: نَعَمْ!

قُلْتُ لَهَا: أَتَعْمَلُونَ أَصْنَامًا أَمْ لَا؟

فَكَانَ لَهَا إِنْصَافٌ لِلْحَقِّ وَعَقْلٌ؛ وَنَظَرَتْ النِّسَاءَ وَقَالَتْ لِهِنَّ بِلِسَانِهِنَّ:
غَلْبَنِي، وَمَا وَجَدْتُ بِمَا نُجَاوِبُهُ بِهِ . فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَتَزَلَّ بِهَا فَرَحٌ

وَأَنْشِرَاخَ كَأَنَّهُ زَالَ مِنْ قَلْبِهَا (١٥٠) غِشَاءً . وَأَقْبَلَتْ عَلَيَّ بِحُسْنِ
الْكَلَامِ وَذَهَبَ عَنْهَا الْغَيْظُ وَالْغَضَبُ الَّذِي كَانَ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَتْ لِي: كَمْ سَنَةً الَّذِي ظَهَرَ فِي الدُّنْيَا نَبِيِّكُمْ؟ وَهَلْ هُوَ تَارِيخُ
السَّنِينَ مِنْ مِيلَادِهِ كَمَا هُوَ عِنْدَنَا مِنْ مِيلَادِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
قُلْتُ: بَلَغَ حِسَابُ تَارِيخِ أَهْلِ دِينِنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ
وَأَلْفَ مِنَ الْهَجْرَةِ؛ وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي خَرَجَ نَبِيُّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - مِنْ مَكَّةَ لِشَهْرَةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى .

قَالَتْ: وَالسَّنَةُ عِنْدَكُمْ هِيَ كَعَامِنَا فِي أَيَّامِهِ؟

قُلْتُ لَهَا: أَمَّا السَّنَةُ عِنْدَكُمْ فَهِيَ شَمْسِيَّةٌ وَفِيهَا مِنْ الْآيَامِ ثَلَاثُمِائَةٍ
وَحَمْسَةَ وَسِتُونَ يَوْمًا وَرُبْعُ يَوْمٍ؛ وَالسَّنَةُ عِنْدَنَا فَهِيَ قَمَرِيَّةٌ وَفِيهَا مِنْ
الْآيَامِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا بِتَقْرِيْبٍ .

قَالَتْ: الشُّهُرُ كَأَشْهُرِنَا؟

قُلْتُ لَهَا: كُلُّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ يَنْقُصُ يَوْمًا عَنِ الشُّهُرِ الشَّمْسِيِّ .

قَالَتْ: وَالنِّسَاءُ عِنْدَكُمْ مَحْجُوبَاتُ؟

قُلْتُ لَهَا: نَعَمْ!

قَالَتْ: وَكَيْفَ يَكُونُ الْعِشْقُ عِنْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْ يَنْكِحُهُنَّ؟

قُلْتُ لَهَا: لَنْ يَرَاهَا أَحَدٌ مِمَّنْ يَخْطُبُهَا حَتَّى تَكُونَ لَهُ (٥٠) زَوْجَةً .

وَمَعْنَى قَوْلِهَا وَسْوَإِهَا عَنِ الْعِشْقِ؛ قَدْ تَقَرَّرَتْ الْعَادَةُ بِبِلَادِ
الْفَرَنْجِ وَالْفَلَمَنْكِ أَنْ كُلُّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتًا فَهُوَ لَهُ مُبَاحٌ مِنْ
قَرَابَتِهَا أَنْ يَزُورَهَا وَيَتَفَرَّدُ بِهَا لِلْكَلَامِ لِتَحْصَلَ الْمَحَبَّةُ بَيْنَهُمَا؛ فَإِذَا
ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ يَخْطُبُهَا وَلِلْبَنَتِ أَيْضًا حِينَئِذٍ يَقَعُ الْكَلَامُ عَلَى النِّكَاحِ؛ وَإِذَا

ظَهَرَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا يَلْزِمُهُ شَيْءٌ فِيمَا فَاتَ مِنْ مُخَالَطَتِهَا؛ وَقَدْ
يَكُونُ لِلْبِنْتِ غَيْرُ وَاحِدٍ مَنْ يَزُورُهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، وَوَجِبَ
لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَيَعْمَقِيهِ وَصَفَائِهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا لِلْبِنْتِ فِي شَأْنِ الْإِصْنَامِ؛ فَقَدْ قَالَ فِي التَّوْرَةِ الَّتِي
بِأَيْدِيهِمْ الْآنَ - آعْتِي بِأَيْدِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - قَالَ فِي الْكِتَابِ
الثَّانِي الْمُسَمَّى بِالْإِشْطُ؛ فِي الْبَابِ الْعِشْرِينَ مِنْهُ؛ قَالَ سَيِّدُنَا مُوسَى
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ جَبَلِ الطُّورِ وَأَنْ
يَقُولَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:

أَنَا إِلَهُكُمْ؛ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ؛ مِنْ دِيَارِ الْأَسْرِ؛

لَا تَتَّخِذُوا آلِهَةً غَيْرِي وَلَا تَعْمَلُوا صُوراً مِنْ صُورِ السَّمَاءِ
الْعَلِيَّةِ وَلَا مِنْ صُورِ (١٥١) الْأَرْضِ وَلَا مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ؛ لَا
تَسْجُدُوا لَهَا وَلَا تَعْبُدُوهَا؛ لِأَنِّي إِلَهُكُمْ غَيْرٌ.

وَلَا تَحْلِفُ حَانِثاً.

الثَّالِثُ: قَالَ: وَعَظَّمُوا الْمَوَاسِمَ.

وَالرَّابِعُ: وَأَطِعْ وَالذِّكَّ لِيُطَوِّلَ عُمرَكَ.

الخَامِسُ: لَا تَقْتُلْ.

السادسُ: لَا تَزْنِي.

السَّابِعُ: لَا تَسْرِقْ.

الثَّامِنُ: لَا تَكْذِبْ وَلَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ وَلَا تَفْتَرِي.

التَّاسِعُ: لَا تَتَمَنَّى دَارَ صَاحِبِكَ وَلَا زَوْجَتَهُ وَلَا مَالَهُ.

وَهَذِهِ الْاَوَامِرُ اخَذَهَا النَّصَارَى مِنَ التَّوْرَةِ وَزَادُوا الْعَاشِرَ،
وَقَالُوا: الْعَاشِرُ: أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتُحِبَّ لِغَيْرِكَ مَا
تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.

فَهَذِهِ الْعَشْرَةُ اَوَامِرُ الرِّبَانِيَّةُ، فَالْمِلَّةُ الثَّلَاثَةُ مُتَّفَقُونَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ
عِنْدَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ مُتَّفَقَةٌ؛ وَالنَّصَارَى - دَمَارَهُمُ اللَّهُ - لَمْ
يَعْمَلُوا بِالْاَمْرِ الْاَوَّلِ وَهُوَ الْاَصْلُ.

وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الصُّورِ؛ وَقَالَ:
"الْمُصَوِّرُونَ فِي النَّارِ"^١. وَقَالَ: "أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ
صُورٌ"^٢. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمِلَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ نَقِيَّةً سَالِمَةً مِنْ هَذَا
الذَّنْبِ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ فِي التَّوْرَةِ؛ فِي بَابٍ لَمْ نَسْتَخْضِرْهُ: أَنَّ الْاَوْتَانَ (٥١ ب)
الْكَايْنُ فِيهِ ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ أَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا أَحَدٌ؛ وَأَنْ يَجْعَلُوا ذَهَبَهُ
وَفِضَّتَهُ فِي النَّارِ.

وَقَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الْاِنْجِيلِ: "أَنْذِرْ صَاحِبِكَ
عَنِ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنْ لَمْ يَنْتَهُ فَانْذِرْهُ بِحَضْرَةِ اِثْنَيْنِ - أَوْ
كَمَا قَالَ - فَإِنْ لَمْ يَنْتَهُ فَدَعُهُ كَوْنِي أَوْ عَشَّارٍ"^٣. وَمَعْنَى وَثْنِي: عَابِدُ
الْاَوْتَانَ وَالْاَصْنَامِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "مُذْمِنٌ خَمْرٍ كَعَابِدٍ
وَتْنٍ"^٣.

^١ انظر: المعجم المفهرس ٤٣٧/٣ فقد ورد أكثر من حديث بهذا المعنى.

^٢ المصدر نفسه ٤٣٨/٣.

^٣ سنن ابن ماجه أشربة ٣ والمعجم الكبير للطبراني ٤٥/١٢.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ جَلَّالُ الدِّينِ السَّيُّوطِيُّ فِي الْخَصَائِصِ الْكُبْرَى: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةَ فِي عَامِ الْفَتْحِ؛ كَانَ بِالْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ ضَنْمًا بِأَرْجُلٍ مِنْ رُصَصٍ وَكَانَ يَشِيرُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِقَضِيبٍ بِيَدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا؛ وَيَقُولُ: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ أَنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُهوقًا"؛^١ فَيَقْعُ الصَّنَمَ عَلَى ضَهْرِهِ أَوْ وَجْهِهِ.^٢

وَقَدْ أَفْرَدْتُ فِي الرِّحْلَةِ بَابًا فِي ذِكْرِ الْإِصْطَامِ وَحِكَايَاتِ عَلَيْهَا؛ وَلَمْ نَذْكُرْ هُنَا إِلَّا وَاحِدَةً مِنْهَا وَهِيَ:

إِنَّ الْفَقِيهَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدَ الْبَرْجِي الْأَنْدَلُسِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ذَكَرَ لِي بِمَرَاكُشٍ أَنْ يَقْرُبَ الْبَلَدَ (١٥٢) الَّذِي كَانَ سَاكِنًا فِيهِ - فِي زَمَانِنَا هَذَا - كَانَ مُسْلِمٌ أَسِيرًا أَسْمُهُ أَحْمَدُ وَسَيِّدُهُ فَلَانٌ - ذَكَرَ إِسْمَ مَرْتَبَتِهِ مِثْلَ مَرَكِشٍ أَوْ قَنْدَ - وَلَهُ بُلْدَانٌ مِلْكٌ لَهُ؛ وَفِي قَرْيَةٍ مِنْ بِلَادِهِ اتَّفَقَ أَعْيُنُ سَاكِنَيْهَا عَلَى شِرَاءِ صَنَمٍ. وَبَعْدَ شِرَائِهِ فِي بَلَدٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّ أَحْمَدَ الْمُسْلِمَ يَبْعَثُونَهُ لِيَأْتِيَهُمْ بِالصَّنَمِ؛ وَأَعْطَوْهُ حِمَارًا؛ وَمَشَى وَوَضَعَ الصَّنَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُنْسِكُهُ إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى الطَّرِيقِ وَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى، قَالَ لِلصَّنَمِ: وَاللَّهِ مَا نَحْمِلُكَ إِلَّا مَرْبُوطًا مَجْرُورًا عَلَى الْأَرْضِ، وَرَبَطَهُ بِحَبْلِ فِي الْخِمَارِ بَعْدَ أَنْ أَطْرَحَهُ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَرَكِبَ أَحْمَدُ وَمَشَى.

وَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْقَرْيَةِ فَكَانَ الَّذِينَ بَعَثُوهُ يَنْتَظِرُونَ الصَّنَمَ وَرَأَوْا أَحْمَدًا رَاكِبًا وَالصَّنَمَ مَجْرُورًا عَلَى الْأَرْضِ فَاسْرَعُوا جَمِيعًا وَعَرَوْا

^١ سورة الإسراء ٨١.

^٢ الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٢٧٩/١٠.

رُعُوسَهُمْ تَعْظِيمًا لِلصَّنَمِ؛ وَهُمْ يَمَسَحُونَهُ وَيَبْكُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُ.
وَقَبَضُوا الْمُسْلِمَ أَحْمَدَ؛ وَهُمْ يَنْظُرُونَ بَيْنَهُمْ مَاذَا يَصْنَعُونَ بِهِ؟ هَلْ
يَقْتُلُونَهُ أَوْ يَضْرِبُونَهُ؟

وَاتَّفَقَ نَظَرُهُمْ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَهُ إِلَى سَيِّدِهِ وَمَوْلَى بَلَدِهِمْ (٥٢ ب)
لِيَقْتُلَهُ وَمَشَوْا بِهِ جَمِيعًا، وَبِبَرَكَةٍ مَا جَاهَدَ فِي الصَّنَمِ، قَالَ لَهُمْ سَيِّدُهُمْ
- بَعْدَ أَنْ أَشْكَوْا إِلَيْهِ بِهِ -: أَنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ إِذْ بَعَثْتُمْ
مُسْلِمًا يَأْتِيكُمْ بِالصَّنَمِ؛ فَهُوَ عَمِلَ بِمَقْتَضَى دِينِهِ. وَبَقِيَ أَحْمَدُ سَالِمًا
فَارِحًا ضَاحِكًا عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي خِزْيٍ وَهُمْ وَذَلٌّ؛ وَالْهَهُمْ مَجْرُورٌ.

وَأَمَّا مَعْنَى مَا قَالَ فِي النَّصِّ: "لَا تُصَوِّرُوا صُورًا مِنْ صُورِ
السَّمَاءِ وَلَا مِنْ صُورِ الْأَرْضِ" الْمَفْهُومُ: لَا تُصَوِّرُوا شَيْئًا مِمَّا فِيهِ
رُوحٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَالْمَجُوسُ تُصَوِّرُ الدَّرَارِي السَّبْعَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ أَوْ حَيَّوَانٍ. وَمَا زَالَتْ النَّصَارَى الْآنَ تُصَوِّرُ تِلْكَ
الصُّورَ فِي كُتُبِ التَّجْنِيمِ؛ فَيُصَوِّرُونَ زُحَلًا عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ شَيْخٍ
كَبِيرٍ بِمَنْجَلٍ فِي يَدِهِ يَحُوشُ الْأَرْوَاحَ؛ وَالْمَشْتَرِي عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ
قَاضِيٍّ؛ وَالْمَرِيخُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ بِسَيْفٍ فِي يَدِهِ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ
السَّبْعَةِ بِمَا يُنَاسِبُهُ.

وَأَمَّا صُورَةُ الْبُرُوجِ فَإِنَّ مِنْهَا صُورَةَ الْكَبِشِ لِلْحَمَلِ وَصُورَةَ ثُورٍ
لِلْبُرْجِ الثَّوْرِ وَصُورَةَ الْجُوزَا وَالسَّرَطَانَ وَالْأَسَدَ وَعَقْرَبَ وَجَذِي
وَحُوتٍ. وَيَكُونُ الْمَنْعُ بِسَبَبِ (١٥٣) ذَلِكَ لِأَنَّهَا صُورُ أَشْيَاءٍ لَهَا
أَرْوَاحٌ فِي الْوُجُودِ.

وَأَمَّا صُورَةُ نُجُومٍ أَوْ شَجَرٍ مِنَ الْأَرْضِ وَأَشْيَاءٍ مِمَّا لَا رُوحَ
فِيهَا فَلَا يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ مَمْنُوعٌ.

وَقَدْ قَالَ لِي بَعْضُ الرُّهْبَانِ: أَنْتُمْ تُصَوِّرُونَ الْوَرْدَ وَالْأَشْجَارَ،
قُلْتُ: النَّصُّ لَيْسَ بِمَانِعٍ لِصُورِ الْجَمَادَاتِ وَالْأَشْجَارِ؛ إِنَّمَا الْمَنْعُ
تَصَوِيرُ شَيْءٍ يَشْبَهُ شَيْئًا حَيًّا.

وَأَمَّا الْمَسْئَلَةُ الَّتِي جِئْنَا إِلَيْهَا بِكِتَابِ السُّلْطَانِ لِقَبْضِ الرِّئَاسِ الَّذِينَ
نَهَبُوا الْأَنْدَلُسَ وَكَانُوا بِأَوَّلُونَهُ فَلَمْ نَقْضِ شَيْئًا هُنَاكَ؛ وَأَظُنُّ أَنَّ قَائِدَ
الطَّابِعِ قَبِضَ مِنْهُمْ شَيْئًا لِنَفْسِهِ. وَأَرَدْتُ الْقُدُومَ مِنْ عِنْدِهِ؛ وَطَلَبَ
مِنِّي أَنْ نَتْرَكَ لَهُ كِتَابَ السُّلْطَانِ؛ وَأَبَيْتُ أَنْ نَتْرَكَهُ لَهُ وَمَشَيْتَا مِنْ
هُنَاكَ إِلَى مَدِينَةِ بُرْصِيُوشَ.

الْبَابُ التَّاسِعُ

فِي مَدِينَةِ بَرْخِيُوشَ
وَمَا وَفَّعَ لِي فِيهَا مِنَ الْمَنَاطِرَاتِ

أَعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ مُدُنِ فَرَنْجِهِ؛ عَلَى حَاشِيَةِ نَهْرٍ عَظِيمٍ؛ وَفِيهَا ثَمَانُونَ قَاضِيًا وَمِائَتَانِ وَكِيلًا؛ وَالْمُفْتُونَ وَالْكِتَابُ (٥٣ ب) بِلاَ حِسَابٍ. وَفِيهَا دِيْوَانٌ يَحْكُمُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ.

وَمِمَّا وَقَعَ لِي مَعَ بَعْضِ الْقَسَّيسِينَ فِي دَارِ قَاضِيِ الْإِنْدُلُسِ؛ جَاءَ إِلَيْهَا قَسَّيسَانِ لِقَضَاءِ غَرَضٍ؛ وَقِيلَ لَهُمَا عَنِّي إِنِّي مُسْلِمٌ. وَجَاءَ أُنِي وَقَالَ لِي: أَنْتَ مُسْلِمٌ؟

قُلْتُ لَهُمَا: نَعَمْ!

قَالَا: اتَّعْتَدُونَ أَنْ فِي الْجَنَّةِ أَكْلًا وَشَرْبًا وَتَنَعُّمًا مِثْلُ مَا فِي الدُّنْيَا؟

قُلْتُ لَهُمَا: نَعَمْ، وَلَا كُنْ أَفْضَلُ مِمَّا فِي الدُّنْيَا. فَضَحِكَا.

قُلْتُ لَهُمَا: بِمَا تَتَكَرَّرَانِ ذَلِكَ؟

قَالَا: لِأَنَّ مَنْ ثَقُلَ الطَّعَامُ تَكُونُ النَّجَاسَةُ؛ وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ تَكُونَ النَّجَاسَاتُ فِيهَا.

قُلْتُ لَهُمَا: أَمَّا عِنْدَكُمْ فِي كُتُبِكُمْ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ خَلَقَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَدْنَى لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ جَمِيعِ الْفَوَاحِشِ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ لَهُ: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا لِأَنَّكَ إِذَا أَكَلْتَ مِنْهَا تَمُوتُ؟

قَالَ: هَكَذَا هُوَ!

قُلْتُ لَهُمْ: لَوْ لَا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ لَكَانَ فِيهَا إِلَى الْآنَ؟

قَالَ: نَعَمْ هُوَ كَذَلِكَ!

قُلْتُ: فَكَانَ يَأْكُلُ مِنَ الْفَوَاكِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ لَهُ تَفْلًا؛ وَكَذَلِكَ لَوْ بَقِيَ إِلَى الْآنَ. وَأَمَّا التَّفَلُ مَا كَانَ إِلَّا مِنْ فَاكِهِةِ الشَّجَرَةِ الَّتِي مَنَعَهَا عَنْهَا وَكَذَلِكَ إِذَا رَجَعَ أَبُونَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجَمِيعَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ (٥٤هـ) مِنْ أَوْلَادِهِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَلَا تَخْرُجُ مِنْهُمْ نَجَاسَةٌ أَبَدًا.

قَالَ: الْجَنَّةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا أَبُونَا آدَمَ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ وَالَّتِي تَمْشِي إِلَيْهَا النَّاسُ فِي الْآخِرَةِ هِيَ فِي السَّمَاءِ^١.

قُلْتُ: مَا كَانَ أَبُونَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ لَا يُسَمَّى جَنَّةً، لِأَنَّهُ مَقْهُورٌ بِالْعُنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ وَلَا بُدَّ مِنَ التَّغْيِيرِ بِسَبَبِهَا، وَلَا بُدَّ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ؛ وَالْجَنَّةُ لَيْسَ فِيهَا تَغْيِيرٌ وَلَا ظُلْمَةٌ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ أَنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ فِي جَنَّةٍ فِي السَّمَاءِ، فَبُهِتَ الَّذِينَ كَفَرُوا^٢.

وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ يَقُولُونَ بِمَا فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّوْرَةِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي جَنَّةٍ فِي الْأَرْضِ؛ وَفِيهَا أَشْجَارٌ تُسْقَى بِمَاءٍ عَيْنِ مَاءٍ؛ وَمِنْهُ تَخْرُجُ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٌ وَهُمْ: الْنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ وَقَيْنُصُونُ^٣ وَالْدَّجَلَةُ. وَهَذِهِ الْإِنْهَارُ مَعْرُوفَةٌ الْآنَ أَنَّ كُلَّ نَهْرٍ فِي بِلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَمَعْرُوفُ

^١ في الأصل: هي فالسمااء.

^٢ لإشارة إلى الآية « فبهت الذي كفر » من سورة البقرة ٢٥٨/٢.

^٣ يريد: وجيحون.

ابْتَدَاؤُهُ وَإِنْتِهَاؤُهُ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّ هَذَا النَّصَّ بَاطِلٌ بِالْبُرْهَانِ مِثْلَ
الْشَّمْسِ . وَمَعْنَى الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ فِي ذَلِكَ (٥٤ ب) - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -
أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَفْهَمُ ذَلِكَ مِنَ الْبَرَكَةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى
فِيهَا؛ لِأَنَّ الْأَعْيَادَ فِي الْجَنَّةِ إِنَّهَا فِي السَّمَاءِ لَا فِي الْأَرْضِ؛
وَالْأَنْهَارُ ابْتَدَاؤُهَا وَإِنْتِهَاؤُهَا عَلَى الْأَرْضِ . وَقَالَ فِي بَعْضِ كُتُبِ
عَبْدِ الْوَهَّابِ الشُّعْرَانِي - نَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ - أَنَّ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَزَلَ مَاءً مِنَ الْجَنَّةِ وَوَضَعَهُ فِي أَمَاكِنَ مِنَ الْأَرْضِ
وَمِنْهَا ابْتِدَاءُ الْإِنْهَارِ الْآرِبَةِ: كُلُّ وَاحِدٍ مُخْتَلِفٌ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَأَنَّ
الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ . وَجَمِيعُ شُرَاحِ الرِّسَالَةِ قَالُوا : أَنَّ مِنْهَا أَهْبَاطًا
أَبُونَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

وَقَدْ أَمَرَنِي السُّلْطَانُ مَوْلَايَ زَيْدَانُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنْ أُرْجِمَ لَهُ
كِتَابًا عَجْمِيًّا كَبِيرًا سَمَّاهُ مُؤَلَّفُهُ: بِدْرَانٍ لِعَظْمِ جَبَلٍ مُسَمًّى بِهَذَا الْأَسْمِ
لِأَنَّهُ عِنْدَ الْجَعْرَافِيَّوْنَ أَعْظَمُ أَعْظَمُ جِبَالِ الدُّنْيَا الْمَعْرُوفَةِ . وَلَمْ نَرَ
فِي كُتُبِ الْجَعْرَافِيَّاتِ مِثْلَهُ؛ وَكَانَ بِلِسَانِ الْفَرَنْجِ؛ وَصَاحِبُ الْكِتَابِ
كَانَ فَرَنْجِيًّا أَسْمُهُ الْقَبْطَانُ؛ وَبِلَادُ الدُّنْيَا كُلُّهَا مُصَوَّرَةٌ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ
بِطُولِ كُلِّ بَلَدٍ وَعَرْضِهِ وَالْأَنْهَارُ؛ وَكُلُّ نَهْرٍ بِأَيِّ أَرْضٍ وَمَوْضِعٍ
مَنْبَعُهُ (١٥٥) وَابْتَدَاؤُهُ؛ وَالْمُدُنُ الَّتِي عَلَى حَاشِيَّتِهِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ
بِأَسْمِهَا؛ وَجَمِيعُ الْأَبْحُرِ وَالْجُزُرِ وَالْأَقَالِيمِ .

وَجَمِيعُ كُتُبِ الْجَعْرَافِيَّاتِ مُتَّفِقُونَ أَنَّ بَحْرَ النَّيْلِ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ
الْقَمَرِ؛ وَمَوْضِعُهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ دَرَجَةً مِنْ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ إِلَى جِهَةِ
الْجَنُوبِ بِبِلَادِ السُّودَانِ؛ وَالْأَنْهَارُ الثَّلَاثَةُ فِي غَيْرِ هَذَا الْقِسْمِ الْإِفْرِيقِيِّ

الَّذِي هُوَ رُبْعُ الدُّنْيَا؛ وَفِيهِ هُوَ النَّيْلُ وَلَيْسَ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ فِي هَذَا
الرُّبْعِ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ فِي قُطْرٍ بَعِيدٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. أَمَّا
الْفَرَاتُ ابْتِدَاؤُهُ بِقُرْبِ بِلَادِ الْجَرْجَانِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ مَعَ وَادِ الدَّجَلَةِ الَّذِي
يَجُوزُ عَلَى بَغْدَادٍ؛ وَالثَّلَاثُ بِلَادُ الطُّطْرِ؛ وَالرَّابِعُ بِلَادُ أَرْمَانِيَةِ -
كَمَا قَالَ مَنْ يَدَّعِي بِمَعْرِفَةِ الدُّنْيَا.

وَقَالَ الْقَبِطَانُ الْفَرَنْجِي حِينَ بَانَ لَهُ غَلَطُ التَّوْرِيَةِ: هَذَا الْكَلَامُ
الَّذِي عِنْدَنَا فِي التَّوْرِيَةِ عَنِ الْإِنْتِهَارِ إِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؛
فَهُوَ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ بِالْعَيَانِ؛ لَأَنَّ هَذِهِ الْإِنْتِهَارُ الْأَرْبَعَةُ التِّينَ^١ قَالَ
تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ^٢ فَالْخِلَافُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ يَعْرِفُ
مَوَاضِعَ الدُّنْيَا؛ انْتَهَى.

وَبِهَذَا الْبُرْهَانُ (٥٥ ب) الظَّاهِرُ الْمَوْجُودُ الْآنَ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ
يَسْتَلَّ عَنِ الْإِنْتِهَارِ الْأَرْبَعَةِ: فِي أَيِّ بَلَدٍ هُوَ ابْتِدَاؤُهَا فَيَجِدُ ذَلِكَ بِخِلَافٍ
مَا قَالَ عَنِ الْجَنَّةِ أَنَّهُ كَانَ فِيهَا أَبُونَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِذَا رَأَى
وَتَحَقَّقَ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَ فِي الْإِنْتِهَارِ وَهِيَ
أَرْبَعَةٌ؛ تَشْهَدُ شَهَادَةً مُتَّفَقَةً أَنَّ مَنْ قَالَ عَلَيْهَا أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ
وَاحِدَةٍ فِي الْجَنَّةِ فِي الْأَرْضِ قَالَ الْبَاطِلُ؛ فَيَبْطُلُ أَيْضًا كُلُّ مَا قَالَ فِي
أَيِّنَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَهُ فِي الْأَرْضِ.
وَأَمَّا مَا تَقُولُهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَنِ الْجَنَّةِ أَنَّ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ
مِنْ نَعَائِمِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَقَالُوا الْحَقُّ فِي
خَاصَّتِهِمْ لِأَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ كُفَّارٌ؛ وَالْمُسْلِمُونَ هِيَ لَهُمْ

^١ يريد: التي، وقد جمع الحجري «التي» على التين وهو جمع عامي غريب.

^٢ كذا في الأصل، والحجري يريد: واحدة.

بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلَامٌ مِثْلُ هَذَا فِي مَدِينَةِ بُرْصِيُوشَ مَعَ الْقَاضِي الْمُسَمَّى فَيْرُضَ؛ وَكَانَتْ مَوَاجِبِي فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ عِنْدَهُ؛ وَكَانَ يَنْصِيحُنِي كَثِيرًا، وَكَانَ يَعْرِفُ اللِّسَانَ الْأَتْدَلْسِي الْعَجَمِي (١٥٦) وَقَدْ وَجَبَ لَهُ دَرَاهِمُ كَثِيرَةٌ؛ وَارَدْتُ أَنْ أَخْلَصَهُ وَلَا أَقْبَلَ مِنِّي شَيْئًا. وَقَالَ لِي: يَا فَلَانُ تَعَجَّبْتُ مِنْكَ كَيْفَ أَنْتَ عَلَى دِينِ الْمُسْلِمِينَ؟ قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا؟

قَالَ: لَأَنَّ عِنْدَنَا فِي كُتُبِنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَزُورُونَ مَكَّةَ لِيَرَوْا نَبِيَّهُمْ فِي الْهَوَاءِ فِي وَسْطِ حَلْقَةٍ حَدِيدٍ فِي الْهَوَاءِ لِأَنَّ الْحَلْقَةَ فِي الْهَوَاءِ فِي وَسْطِ قُبَّةِ حَجَرٍ الْمَغْنَاطِيْسِ؛ وَالْمَعْرُوفُ مِنْهُ أَنَّهُ يَجْذِبُ الْحَدِيدَ وَالْجَذْبُ فِي الْقُبَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَتَبْقَى الْحَلْقَةُ فِي الْهَوَاءِ بِنَبِيِّكُمْ، وَالْمُسْلِمُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ مُعْجَزَةٌ لِنَبِيِّهِمْ. قُلْتُ لَهُ: هَلْ يَجُوزُ فِي دِينِكُمْ لِاحِدٍ أَنْ يَكْذِبَ، وَإِنْ كَانَ بَنِيَّةً تَقْبِيحَ دِينَ غَيْرِهِ لِتَحْسِينِ دِينِهِ وَتَرْبِيَةِ لَأَهْلِ مِلَّتِهِ؟ قَالَ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ!

قُلْتُ: النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ أَذْنَبُوا ذَنْبًا كَبِيرًا فِي دِينِكُمْ. قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ هُوَ بِمَكَّةَ وَلَيْسَ هُوَ فِي حَلْقَةٍ حَدِيدٍ؛ بَلْ هُوَ مَذْفُونٌ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرَةٌ

١ يبدو أن الحجري لم يكن واثقاً من اللفظة فكتبها: «حَجَر» وأضاف «ا» بعد الجيم لتبدو

«حِجَار».

أَيَّامٍ؛ وَالْمُسْلِمُونَ يَزُورُونَ الْكَعْبَةَ لِأَنَّهَا دَارٌ^١ مُبَارَكَةٌ بَنَاهَا سَيِّدُنَا
(٥٦ ب) إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

قَالَ: زُرْتَهَا أَنْتَ وَرَأَيْتَ قَبْرَ نَبِيِّكَ تَحْتَ الْأَرْضِ؟
قُلْتُ لَهُ: لَا، وَلَكِنَّ الَّذِينَ مَشَوْا مِنْ عِنْدِنَا يَقُولُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ
إِخْتِلَافٍ؛ وَهِيَ مَسْئَلَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا .

قَالَ: عِنْدَكُمْ مَسْئَلَةٌ أُخْرَى؛ أَنْكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا
وَيَشْرَبُونَ وَيَتَتَعَمَّوْنَ بِنِعَمٍ مِثْلَ مَا فِي الدُّنْيَا!

قُلْتُ لَهُ: أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَلَمْ يَنْكُرْ ذَلِكَ إِذْ قَالَ فِي
الْإِنْجِيلِ: «أَمَّا مَاءُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - أَعْطَى مَاءَ الْكَرْمَةِ - فَإِنِّي لَمْ
نَشْرَبْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ أَشْرَبَهُ مَعَكُمْ فِي الْمَلَكُوتِ» .

قُلْتُ لَهُ: هُوَ هَذَا فِي إِنْجِيلِكُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: وَكَيْفَ تَتَكْرَرُونَ ذَلِكَ؟ لَأَنَّ نَعَايِمَ الدُّنْيَا دَالَّةٌ عَلَى نَعَايِمِ الْجَنَّةِ إِلَّا
أَنَّ أُمُورَ الْجَنَّةِ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ؛ وَفِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛ وَسَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
ذَكَرَ الشَّرْبَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا كَانَ يَعْلَمُهُ وَيَعْتَقِدُهُ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ أَكْلًا
وَشَرْبًا .

وَبَقِيَ الْقَاضِي يُفَتِّشُ فِي نَفْسِهِ مَا يَقُولُهُ؛ وَلَمْ يَجِدْ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ
عُلَمَائِهِمْ .

^١ في الأصل: "دار مباركة"، وكسب الحجرى "بيت" تحت كلمة "دار" ولم يغير "مباركة" إلى "مبارك" .

وَهَذَا هُوَ النَّصُّ فِي الْإِنْجِيلِ (١٥٧) قَالَ مَتَّى فِي الْبَابِ الثَّاسِعِ وَثَمَانِينَ: «وَقِيمَا هُم يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: خُذُوا كُلُّوا هُوَ جَسَدِي؛ وَأَخَذَ كَاساً وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: اشْرَبُوا مِنْ هَذَا كُلُّكُمْ لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي؛ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ الَّذِي يُهْرَقُ عَنْ كَثِيرٍ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا؛ وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَصِيرِ هَذِهِ الْكَرْمَةِ حَتَّى إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي». ٠ وَأَيْضاً قَالَ مَرْقُسٌ فِي بَابِ سِتِّتِ وَأَرْبَعِينَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَصِيرِ هَذِهِ الْكَرْمَةِ حَتَّى إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَ نَشْرَبُهُ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ» ١ أَنْتَهَى ٠

وَعِنْدَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ أَيْضاً: قَالَ أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى وَجْهِ الضَّادِّ لَهُ، وَسَأَلُوهُ؛ قَالَ لَقَا الْمُنْجِيلِي فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالسَّبْعِينَ؛ قَالَ: «قَالَ الْيَهُودُ امْرَأَةً تَزَوَّجَهَا سَبْعَةُ إِخْوَةٍ؛ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمَاتَتِ الْمَرْأَةُ؛ فَبِئْسَ الْقِيَامَةُ لِمَنْ (٥٧ ب) مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لَأَنَّ السَّبْعَةَ قَدْ تَزَوَّجُوهَا، فَقَالَ لَهُمْ سَيِّدُنَا عِيسَى: أَمَّا بَنُوا هَذَا الدَّهْرَ فَيَتَزَوَّجُونَ وَيَزَوَّجُونَ؛ وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا ذَلِكَ الدَّهْرَ وَالْقِيَامَةَ، الْأَمْوَاتُ، لَا يَتَزَوَّجُونَ وَلَا يَزَوَّجُونَ لِأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ بَلْ يَصِيرُونَ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ؛ وَيَصِيرُونَ أَبْنَاءَ اللَّهِ وَبَنِي الْقِيَامَةِ» أَنْتَهَى ٠

هَذَا السَّوَالُ كَمَا يُقَالُ أَنَّ إِبْلِيسَ - لَعْنَهُ اللَّهُ - سَأَلَ سَيِّدِنَا إِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: هَلْ يَسْتَطِيعُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي قَشْرَةِ بَيْضَةٍ؟ وَعَرَفَهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجَابَهُ عَلَى

مُقْتَضَى عِنَادِهِ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ جَوَابُ سَيِّدَتَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
لِلْيَهُودِ. وَالنَّصَارَى الْمُشْرِكُونَ أَخَذُوا بِهَذَا الْجَوَابِ وَتَرَكُوا النَّصْ
الْأَوَّلَ.

ثُمَّ قَالَ لِي الْقَاضِي: أَعْلَمُ إِنَّ لِي شَيْخًا كَبِيرًا وَهُوَ قَاضِي بَقِي فِي
بِلَادِكُمْ سِنِينَ وَقَالَ لِي: أَنَا أَقُولُ لَكَ تَمْشِي عَنْدَهُ؛ وَكَدَّ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ؛
قُلْتُ لَهُ: تَمْشِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَبَعْدَ (١٥٨) ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَالَ لِي: لَا بُدَّ أَنْ
تَمْشِي عَنْدَهُ؛ فَمَشَيْتُ عَلَى غَرَضِهِ وَالتَّقَيْتُ بِهِ فِي دَارِهِ؛ وَهُوَ مِنْ
نَحْوِ الثَّمَانِينَ سَنَةً.

فَلَمَّا عَرَفَنِي قَالَ لِي - بَعْدَ أَنْ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَظَهَرَ الْفَرَحَ وَجَلَسْتُ مَعَهُ
- قَالَ لِي: كُنْتُ بِبِلَادِكُمْ نَحْوَ الْخَمْسِ سِنِينَ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ؛
وَسَأَلْتُ عَنْ نَبِيِّكُمْ وَذَمُّوهُ لِي!

قُلْتُ: لِمَنْ سَأَلْتَ عَنْهُ؟ لَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْدَهُمْ خَبْرَةٌ مِنْ حِينَ خُلِقَ
وَمَنْ أَرْضَعَتْهُ مِنَ النِّسَاءِ وَأَيْنَ مَكَثَ وَآلَى آيٍ بَلَدٍ سَافَرَ وَمَا عَمَلَ
مِنَ الْغَزَوَاتِ وَمَا قَالَ مِنْ أَحَادِيثٍ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْوَصَايَا وَمَا
عَمَلَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَمَعَ مَنْ تَزَوَّجَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ مَاتَ؛ وَأَنْتُمْ
لَيْسَ لَكُمْ خَبَرُ سَيِّدَتَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَيْنَ كَانَ وَأَيْنَ سَافَرَ مِنْ
بَعْدِ أَنْ بَلَغَ ثَلَاثَةَ عَشْرَةِ سَنَةً إِلَى ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ؛ الَّتِي تَقُولُونَ أَنَّهُ
صَلَّبَ.

قَالِي: دِينُنَا هُوَ دِينُ الْحَقِّ لِأَنَّهُ مَاتَ لِيُخْلَصَ الذَّنْبُ الْأَوَّلَ عَنْ سَيِّدَتَا
آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَنِ الْجَمِيعِ بِسَبَبِ الْفَاكِهَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهَا فَآكَلَهَا.

قُلْتُ: نَحْنُ عِنْدَنَا خَلَاصٌ لِمَا وَرَثْنَا مِنَ الْفَاكِهَةِ خَيْرٌ مِنْ خَلَاصِكُمْ (٥٨ب) لَا تَكُمُ تَقُولُونَ أَنْ وَاحِدًا وَهُوَ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَلَّصَ عَنِ الْجَمِيعِ؛ وَنَحْنُ نَخْلُصُ كُلَّ وَاحِدٍ عَنِ نَفْسِهِ.

قَالَ: كَيْفَ هُوَ خَلَاصُكُمْ؟

قُلْتُ لَهُ: أَبُونَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ فِي الْجَنَّةِ وَمَا كَانَ يَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْفَضَلَاتِ حَتَّى أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أُمِرَ بِتَرْكِهَا صَارَ يَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ مَا لَا كَانَ لَهُ قَبْلَ.

قَالَ: نَعَمْ؟

قُلْتُ: فَهَذِهِ الْفَضَلَاتُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَّا هِيَ الَّتِي وَرَثْنَا بِسَبَبِ الشَّجَرَةِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّهُ فَرَضَ فِي دِينِنَا عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بَالِغٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى؛ أَنَّهُ يَصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ؛ وَمِنْ شُرُوطِ فَرَائِضِهَا أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا بَوْضُوءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ لِحَضْرَةِ الْمَوْلَى إِلَّا بَوْضُوءٍ؛ وَالْبَوْضُوءُ مُطَهَّرٌ لِلْجَسَدِ مِمَّا وَرِثَ مِنَ الْفَاكِهَةِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَأَخَذْتُ فِي الْجَسَدِ النَّجَاسَاتِ فَيَغْسِلُ الْإِنْسَانُ مَوَاضِعَ النَّجَاسَةِ فِي الْجَسَدِ؛ ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ لِأَجْلِ أَنْ أَبَانَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْفَاكِهَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ عَنْهَا؛ وَقَمَهُ لِأَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا؛ وَأَنْفَهُ (١٥٩) لِأَنَّهُ اسْتَشْشَقَ الْفَاكِهَةَ؛ وَوَجْهَهُ لِأَنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا؛ وَيَمْسَحُ بِرَأْسِهِ لِأَنَّهُ دَخَلَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ وَأُذُنَيْهِ لِأَنَّهُ سَمِعَ بِهِمَا مَا قِيلَ لَهُ فِي الْفَاكِهَةِ عَكْسَ مَا قِيلَ لَهُ أَوَّلًا؛ وَرَجْلَيْهِ لِأَنَّهُ سَعَى بِهِمَا إِلَى الشَّجَرَةِ؛ وَالْمَوَاضِعَ كُلَّهَا يَغْسِلُهَا بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ لِأَنَّ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ شَيْءٌ لِلطَّهَارَةِ مِثْلَهُ؛ حِينَئِذٍ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ فِي الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ أَبُونَا آدَمُ قَبْلَ أَنْ أَكَلَ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ. وَتَدُومُ هَذِهِ الطَّهَارَةُ

حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ مِمَّا وَرِثَ؛ فَيَحْتَاجُ يَتَوَضَّأَ؛ وَهَذَا خَلَّاصٌ خَيْرٌ مِنْ خَلَّاصِكُمْ، وَأَنْتَ قَاضِي تَذَرِكُ الْحَقَّ بِعَقْلِكَ؛ فَالَّذِي يُخَلِّصُ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ بِهَذَا الْعَمَلِ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، وَمَنْ لَا يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ يُطَلَّبُ بِذَلِكَ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: أَنْ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُخَلِّصَ عَنِ الْجَمِيعِ.

فَتَعَجَّبَ الْقَاضِي وَقَالَ: أَبَدًا مَا سَمِعْتُ مَنْ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَكَلَّمْنَا؛ وَلَمْ نُثَبِّتْ إِلَّا لِهَذَا.

وَالسِّرُّ فِي الْوَضُوءِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْتُ؛ كُنْتُ قَرَأْتُ ذَلِكَ (٥٩ ب) بِيَلَادِ الْإِنْدَلُسِ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا فِي كِتَابٍ يُسَمَّى: بِمُخْتَصَرِ جَبْرِيلَ وَكَانَ فِيهِ أَنَّ الْمَنِيَّ وَجَدَ فِي آبِينَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ أَنْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ؛ وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ كُلِّ وَبَرَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْجَسَدِ؛ وَلِذَلِكَ وَجَبَ غُسْلُهُ جَمِيعًا.

ثُمَّ التَّقِيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامِ بَابِنِ أَخِي الْقَاضِي - وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي أَنْ أَمْشِيَ إِلَى عَمِّهِ - وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ قَالَ لِي: رُدَّ بِالِكَ، أَنْ عَمِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ فَدَعَا عَلَى دِينِهِ لَا تَرُدَّهُ مُسْلِمًا! قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ أَكَدْتَ عَلَيَّ الْقُدُومَ إِلَيْهِ!

قَالَ: هُوَ يَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَمْشِيَ لَهُ وَلَكِنْ رَأَيْتُ وَصِيَّتَكَ؛ وَلَا أَذْرِي الْآنَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَيْهِ أَمْ لَا.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلَامٌ بِالْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ مَعَ رَجُلٍ مُفْتِيٍّ؛ قَالَ لِي يَوْمًا: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قُلْتُ: أَنَّهُ نَبِيُّ رَسُولِ اللَّهِ!

قَالَ: مَا تَقُولُونَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً؟

قُلْتُ لَهُ: مَا نَقُولُ ذَلِكَ!

قَالَ: فَمَنْ كَانَ أَبُوهُ؟

قُلْتُ: الَّتِي كَانَتْ أُمُّ حَوَى كَانَ أَبُوهُ!

قَالَ: بَيِّنْ مَا قُلْتَ لِأَنِّي مَا فَهِمْتُ مَا قُلْتَهُ عَنْ أُمَّنَا حَوَى!

قُلْتُ لَهُ: أَعْلَمُ أَنَّ الْخَلْقَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ (١٦٠) وَتَعَالَى أَبَانَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ غَيْرِ أَبَوَيْنِ؛ وَخَلَقَ أُمَّنَا حَوَى مِنْ غَيْرِ أُمٍّ؛ وَخَلَقَ سَائِرَ النَّاسِ مِنْ أَبَوَيْنِ؛ وَخَلَقَ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ أُمٍّ لَيْسَ لَهُ أَبٌ؛ كَمَا خَلَقَ أُمَّنَا حَوَى لَيْسَ لَهَا أُمٌّ؛ وَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكَ حِينَ سَأَلْتَنِي: مَنْ كَانَ أَبُوهُ؟ قُلْتُ: أَنَّ الَّتِي كَانَتْ أُمُّ حَوَى كَانَ أَبُوهُ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ تَرَى أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى صَالِحَةٌ لَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا؟

قَالَ: نَعَمْ!

حِينَئِذٍ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنَ النَّصَارَى: أَنْ يَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ نَصْرَانِي يَأْمَنُ بِكُلِّ مَا فِي دِينِهِمْ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي رُومَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ أَقُولُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ الْمُسْلِمُ فِيهِ مَا يُسْمَعُ وَهُوَ كَلَامٌ عَظِيمٌ؛ أَوْ قَالَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُ الْحَاضِرُونَ مِنَ النَّصَارَى: لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ. فَزَادَ عَلَيْهِمْ هُوَ بِمَا بَانَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ.

وَأَيْضًا كُنْتُ لَيْلَةً بِيَابَ طَبِيبِ صَيْدَلَانَ - لِأَنَّ بَيْتَكَ الْبِلَادِ؛ بَلْ بِيَلَادِ النَّصَارَى كُلِّهَا؛ جَمِيعُ دُكَاكِينِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ (٦٠ب) لَمْ يَسُدُّوْهَا إِلَى

أَنْ يَجُوزَ وَقْتُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ - وَكَانَ بَعْضُ النَّصَارَى فِي كَلَامٍ
مَعِيَ فِي الدِّينِ وَفِي مُعْجَزَاتِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قُلْتُ لَهُمْ: الْمُعْجِزَةُ هِيَ خَارِقَةُ لِلْعَادَةِ؛ يَخْلُقُهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيِ
الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكُفَّارِ: الْمُعْجِزَاتُ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيِ
سَيِّدِنَا عِيسَى هُوَ كَانَ يَعْمَلُهَا!

وَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِي خَرَجَ مِنْ بَيْتِنَا بِسُرْعَةٍ؛ فَسَأَلْتُهُ
بَعْدَ ذَلِكَ لِمَذَا خَرَجَ وَذَهَبَ؟ قَالَ: لَأَنِّي حِينَ سَمِعْتُ النَّصْرَانِي يَقُولُ
أَنْ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
هُوَ عَمَلُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ خِفْتُ مِنَ الدَّارِ الْعَالِيَةِ الَّتِي كُنَّا بَبَابِهَا أَنْ
تَقَعَ عَلَيْنَا بِسَبَبِ مَا قَالَ.

وَقَدْ قَالَ بَدْرُ بْنُ الَّذِي كَتَبَ رُبْعَ الْأَنْجِيلِ فِي رِسَالَتِهِ فِي الْبَابِ
الثَّانِي فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى
النَّصَارِيُّ ذَكَرَ مُزَكَّى مِنَ اللَّهِ بَيْتَكُمْ فِي مُعْجَزَاتٍ وَعَلَامَاتٍ عَمَلَهَا
(١٦١) اللَّهُ فِيمَا بَيْتَكُمْ عَلَى يَدَيْهِ كَمَا فِي عِلْمِكُمْ؛ أَنْتَهَى. أَنْظُرْ هَذَا
الْقَوْلَ الصَّرِيحَ الْمُوَافِقَ لِدِينِنَا وَاعْتِقَادِنَا الَّذِي قَالَهُ مَنْ كَتَبَ رُبْعَ
الْأَنْجِيلِ بِخِلَافِ نَصَارَى هَذَا الزَّمَنِ.

وَقَدْ مَشَيْتُ إِلَى مَدِينَةِ طُلُوشَةِ، وَهِيَ مِنَ الْمُدُنِ الْكِبَارِ بِفَرَسَيْنِ عَلَى
شَاطِئِي النَّهْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَمُرُّ مِنْهَا إِلَى بُرْصِيُوشَ وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ
نَحْوُ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ وَعَزَمْتُ نَوَلِّي مِنْهَا إِلَى بُرْصِيُوشَ عَلَى النَّهْرِ فِي
قَارِبِ. وَلَيْلَةً قَبْلَ يَوْمِ السَّفَرِ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ جَمَاعَةً شَيَاطِينٍ تَدُورُ
بِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ: "فَلَمْ يَمُوتِ أَحَدٌ" وَأَشِيرُ إِلَيْهِمْ فَتَهْرَبُ

الشَّيَاطِينُ عَنِّي ثُمَّ تَرْجِعْ إِلَيَّ وَأَنَا أَعِيدُ قِرَاءَةَ السُّورَةِ وَتَذْهَبُ عَنِّي .
فَأَصْبَحْتُ مُتَغَيِّرًا مِنْ أَجْلِ الرَّعْيَا؛ وَقُلْتُ: الشَّيَاطِينُ أَعْدَاءُ فِي
التَّوِيلِ، وَرَكَبْتُ فِي الْقَارِبِ وَنَوَيْتُ نَقْرًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُورَةَ "قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ" أَلْفَ مَرَّةٍ؛ وَنَذَعُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِبِرْكَتِهَا يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ
الْأَعْدَاءِ .

وَكَانَ الْقَارِبُ عَامِرًا بِالرِّجَالِ وَيَتَنَّهُمْ قَسِيسَانِ مُتَرَهِّيانَ؛ وَعَرَفَنِي
وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَارِبِ (٦١ب) وَكُنْتُ - كَمَا تَقَدَّمَ - مِنْ
حِينَ دَخَلْتُ رَوَانَا لِبَسْتِ لِلضَّرُورَةِ لِيَاسَ الْفَرَنْجِ؛ وَذَكَرَنِي لِلْقَسِيسِ؛
فَنَادَانِي وَقَالَ لِي: أَجْلِسْ بِإِزَائِي فَجَلَسْتُ.

فَقَالَ لِي: أَنْتَ مُسْلِمٌ؟

قُلْتُ: مُسْلِمٌ لِلَّهِ الْحَمْدُ!

وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الطُّلِّيَّانِ وَهُوَ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ لِسَانِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
الْعَجَمِي .

قَالَ لِي: لَقِيتُ فِي الْبُنْدُوقِيَّةِ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَعْمَلُونَ شَيْئًا
كَأَنَّهُ عِبْتُ لَا أَصِلَ لَهُ فِي دِينِ .

قُلْتُ: مَاذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ؟

قَالَ: إِذَا نَزَلْتَ نَجَاسَةً أَوْ بَوْلٌ فِي حَوَائِجِهِمْ يَغْسِلُونَ ذَلِكَ الْمَحَلَّ بِمَاءٍ
فَسَأَلْتَهُمْ عَنِ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ عَنْدهُمْ خَيْرًا .

قُلْتُ لَهُ: السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنْ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَيْهِ فَرَضٌ أَنْ يُصَلِّيَ لِلَّهِ
تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ؛ كُلُّ صَلَاةٍ فِي وَقْتِهَا؛ مَا بَيْنَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ؛ وَمِنْ فَرَايِضِ الصَّلَاةِ أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا فِي جَسَدِهِ وَلِيَّاسِهِ
لَأَنَّهُ يُنَاجِي اللَّهَ رَبَّهُ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى أَفْضَلِ حَالَةٍ؛ وَلَمَّا كَانَ

مَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّيْلَيْنِ نَجِسًا بِسَبَبِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا أَبُوْنَا أَدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ فَاكِهِتْهَا وَتَسِي (١٦٢) مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهَا؛ وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ رَجَعَ جَسَدَهُ يَدْفَعُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَا لَا كَانَ قَبْلَ فَوْرَتِنَا ذَلِكَ؛ فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ فِي ثَوْبِهِ أَوْ لَحْمِهِ؛ يَزِيلُهُ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ؛ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ بِحَضْرَةِ مَوْلَاهُ طَاهِرًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ أَمَّا فِي الظَّاهِرِ فَفِي الْجَسَدِ وَمَا يَلْبَسُهُ وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَعْبُدُ فِيهِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَتَفَكَّرُ إِلَّا فِيمَا يَقْرَأُ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ فِي غَسْلِ النَّجَاسَةِ.

فَاسْتَحْسَنَ الْجَوَابَ غَايَةً؛ حَتَّى قَالَ لِلَّذِينَ كَانُوا فِي الْقَارِبِ بِلِسَانِهِمْ كَلَامَ الْخَيْرِ عَنِّي وَبَحَثْنِي فِي مَسَائِلٍ دَقِيقَةٍ وَتَسِيَّتْهَا، وَلَمَّا صَدَرَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِاصْحَابِهِ عَنِّي خَيْرًا وَأَنَا عَلَى غَيْرِ دِينِهِ؛ فَمَا رَأَى فِي نَفْسِهِ مِنَ الرَّأْيِ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُمْ: الْمُسْلِمُونَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَقُولًا وَافِرَةً - كُلُّ ذَلِكَ لِيَكُونَ عَقُوبَتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَقْوَى إِذْ لَمْ يَكُونُوا نَصَارَى؛ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا بِلِسَانِهِمْ وَكُنْتُ أَفْهَمُهُ.

وَكَانَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ أَقُولَ لَهُ حِينَ ذَكَرْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا فِي الْبَاطِنِ؛ بِأَنْ أَقُولَ لَهُ: أَوَّلُ طَهَارَةٍ (٦٢ب) الْقَلْبِ أَنْ لَا يَكُونَ مُشْرِكًا بِاللَّهِ. وَكَانَ مَعَ الرَّاهِبِ صَاحِبُهُ عَلَى الرَّهْبَانِيَّةِ وَمَذْهَبُهُ؛ وَكَانَ يَقُولُ بِلِسَانِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعِيَ بِالتَّثْلِيثِ فِي الْإِلَوهِيَّةِ؛ وَيَجَاوِبُهُ وَيَقُولُ لَهُ: مَا يَلِيْقُ ذَلِكَ.

وَمَشِينَا أَلْيَوْمَ كُلَّهُ؛ وَعِنْدَ الْمَغْرِبِ خَرَجْنَا جَمِيعًا مِنَ الْقَارِبِ إِلَى دَارٍ مَنَزَلَةٍ بِحَاشِيَةِ الْوَادِ؛ وَكُنْتُ فِي أَعْلَى الدَّارِ فِي مَوْضِعٍ خَارِجٍ

عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي نَرَلْنَا فِيهِ أَقْرَأَ لِنْتُمْ أَلْفَ « فَلَهُمُ اللَّهُ أَحَدٌ » • وَبَعَثْتُ
لِلْقَيْسِيِّينَ شَيْئًا مِنَ الْخُبْزِ مَعْجُونًا بِسُكَّرٍ وَبَيِّنُصْ.

وَنَادَانِي وَقَالَ لِي: أَنَا صَائِمٌ هَذِهِ الْإَيَّامَ؛ وَهَذَا الَّذِي بَعَثْتُ لِي فِيهِ
بَيِّنُصْ؛ وَلَا نَأْكُلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ • وَاشْتَغَلَ يَذْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ
مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَأَنَّهُ لَا يَلْبِسُ كِتَانًا وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِهِ دَرَاهِمَ وَلَا يَأْكُلُ
كَثِيرًا • وَآخَذَ فِي مَذْحِ نَفْسِهِ وَمَذْهَبِهِ •

وَقُلْتُ لَهُ: مِثْلَكَ مَا يَجِدُ الشَّيْطَانُ وَلَا النَّفْسُ سَبِيلًا لِلتَّوَسُّوسِ ظَاهِرًا
إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْحَسَنَةِ!

قَالَ: كَيْفَ تَأْتِي مِنْ بَابِ الْحَسَنَاتِ؟ لِأَنِّي مَا فَهِمْتُ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ الْقَيْسِيُّونَ تَزُورُونَ النِّسَاءَ وَتَسْتَخْلُونَ (١٦٣) بِهِنَ
وَهُنَّ يُحْسِنُ إِلَيْكَ بِالصَّدَقَاتِ فَتَقُولُ لَكَ نَفْسُكَ: سِرْ إِلَى فُلَانَةٍ إِنَّهَا
مِنْ أَصَالِحَاتٍ وَأَذْكُرْ لَهَا شَيْئًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْهَمُّهَا إِلَيْهِ وَيَحْصَلَ
لَكَ أَجْرٌ وَحَسَنَةٌ؛ وَهَذَا هُوَ بَابُ الْحَسَنَةِ؛ وَغَرَضُهَا مِنْكَ أَنْ تَقْرُبَ
مِنْهَا حَتَّى تَتِمَّكَنَ الْمَحَبَّةَ مِنْ قُلُوبِكُمَا؛ فَاِمَّا تَغْلِبُكَمَا حَتَّى تَقَعَا فِي
الْمَعْصِيَةِ وَالْحَرَامِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَإِمَّا تَكْثُرُ
الْمَحَبَّةُ بَيْنَكُمَا وَتَشْغَلَكَ حَتَّى إِنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي صَلَاتِكَ تَذْكُرُ بِاللِّسَانِ
وَمَعَهَا قَلْبُكَ، وَهَذَا هُوَ بَابُ نَصِيحَتِهَا.

فَسَكَتَ الْقَسُ وَلَا أَنْكَرَ وَلَا أَنْعَمَ • وَكَانَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَقَالَ لَهُ: مِثْلَكَ
لَا يُؤَسَّوْسُهُ الشَّيْطَانُ وَلَا النَّفْسُ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللَّيْصَ لَا يَقْصُدُ إِلَّا الْبَيْتَ
الْعَامِرَ بِالْخَيْرَاتِ؛ وَمِثْلَكَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ إِمَّا لِكِ الدِّيَانِ وَعَابِدُ الْأَوْثَانِ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُعْظَمَ لَكَ الشَّانُ وَيَزَيْنَ لَكَ الطَّرِيقَ الْأَذَاهِبُ إِلَى
النَّيْرَانِ •

ثُمَّ قَالَ: مَا السَّبَبُ فِي مَنَعِ الْخَمْرِ فِي دِينِكُمْ ؟
 قُلْتُ لَهُ: لِأَنَّهُ مُسَكِّرٌ يَزِيلُ الْعَقْلَ (٦٣ب) الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ مَا
 فِي الْإِنْسَانِ .

قُلْتُ لَهُ: وَإِذَا كُنْتَ صَائِمًا تَقْطَعُ شُرْبَ الْخَمْرِ ؟
 قَالَ: لَا !

ثُمَّ قَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فِي النَّوْمِ - وَكَانَ كَافِرًا
 مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا فِي الْقَارِبِ مَعَنَا - : كَيْفَ أَنْتَ فِي بِلَادِنَا؟ وَمَنْ أَذَنُ
 لَكَ فِي ذَلِكَ؟ وَأَظْهَرَ الْغَضَبَ وَأَكْثَرَ الْكَلَامَ .
 فَأَظْهَرْتُ لَهُمْ كِتَابَ سُلْطَانِهِمْ، وَسَخَّرَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا حَتَّى إِنَّا إِذَا بَلَّغْنَا
 إِلَى دَارٍ مَنَزِلَةٍ الَّتِي نَنْزِلُ فِيهَا لِلْمَيِّتِ فِيهَا فَيُكَلِّمُونَ رَبَّ الدَّارِ
 وَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ تُرْكِي - لَأَنَّ فِي بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ
 سُلْطَانَاتِ النَّصَارَى لَا يُسَمَّوْنَ الْمُسْلِمَ إِلَّا تُرْكِي كَمَا تَقَدَّمَ - وَقَدْ جَاءَ
 مِنْ بِلَادِهِ وَأَذَنَ لَهُ سُلْطَانُنَا فِي قَضَاءِ أَغْرَاضِهِ وَيَسْتَحَقُّ أَنْ تَقُومَ
 بِحَقِّهِ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْخَيْرِ .

وَكَانُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ يَفْرَحُونَ بِنَا فِي الْقَارِبِ فِي الْإِيَّامِ الَّتِي عَبَرْنَا
 فِيهِ عَلَى النَّهْرِ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكَاتِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ؛ خَلَّصَنَا اللَّهُ مِنْ
 شَرِّهِمْ وَعَظَّمْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الْبَابُ الْعَاشِرُ

فِي مَخَاطِرَاتِهِ إِلَى صُوحِ بِلَادِ فَرَنْجِهِ وَفَلَنْضِسِ (١٦٤)

إِعْلَمَ أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ هُمْ بِتِلْكَ الْبِلَادِ كَانَ أَصْلَهُمْ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
وَفِي زَمَنِنَا؛ بِلَادِ الْإِنْدَلُسِ؛ وَأَكْثَرُهُمْ يَبْرُتُقَالُ؛ وَكَانُوا فِي الظَّاهِرِ
نَصَارَى؛ وَفِي خَفَاءٍ مِنْهُمْ يَهُودٌ وَكَانُوا يَخْفُونَ أَنْفُسَهُمْ بَيْنَ
النَّصَارَى أَكْثَرَ مِنَ الْإِنْدَلُسِ؛ وَيَقْرَأُونَ الْعُلُومَ بِالْعَجْمِيَّةِ وَلَا
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِهَا؛ وَيَذَرُكُونَ بِالْعِلْمِ بَعْضَ الْمَرَاتِبِ، وَإِذَا أَدْرَكَ
أَحَدُهُمْ أَمْرًا يَتَحَكَّمُ عَلَى النَّاسِ يَضُرُّ بِهِمْ كَثِيرًا لَا سِيَّمَا بِالْإِنْدَلُسِ؛
حَتَّى أَنَّ النَّاسَ إِذَا الْحَقُّهُمْ ضَرَرَ مِنْ يَحْكُمُ، سِوَاءَ كَانَ الْحُكْمُ عَلَى
النَّصَارَى أَوْ عَلَى الْإِنْدَلُسِ يَبْحَثُونَ عَلَى أَصْلِهِ؛ وَيَجِدُونَهُ يَهُودِيًّا
مَخْفِيًّا أَوْ مِنْ سُلَالَتِهِمْ: أَمَّا مِنَ الْآبَوَيْنِ أَوْ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ؛
لأنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ الرِّيَاسَةِ وَالطَّمَعِ كَانُوا يَخْتَلِطُونَ فِي التَّرْوِيجِ مَعَ
النَّصَارَى، وَيَعْطُونَ بَنَاتَهُمْ وَيَتَزَوَّجُونَ مِنْهُمْ. وَجَمِيعُ الْيَهُودِ فِيهِمْ
مِنَ الْكِبَرِ الْخَفِيِّ مَا لَا كُنْتُ نَظُنُّ فِيهِمْ؛ حَتَّى رَأَيْتُهُمْ بِالْبِلَادِ
الْمَذْكُورَةِ؛ وَهِيَ فَرَنْجَةُ وَفَلَنْضِسِ. وَفِيهَا هُمْ أَشْهَرُ مِمَّا هُمْ بِبِلَادِ
(٦٤ ب) الْفَرَنْجِ لِأَنَّ لَهُمُ الْأَذْنَ فِي نَقْلِ السِّلَاحِ وَاللِّبَاسِ مِثْلُ أَهْلِ
فَلَنْضِسِ.

وَالْتَقَيْتُ فِي مَدِينَةِ بُرْصِيُوشِ بِفَرَنْجَةٍ بَعْضِ عُلَمَاءِهِمْ وَبَلَّغُوا
وَاطَّنَبُوا فِي مَذْهَبِ دِينِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْفِينِي فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ
كُتُبِنَا إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ كُتُبِهِمْ فَهُوَ أَقْوَى وَابْلَغُ كَمَا اتَّفَقَ لِي مَعَ

النصارى، فاتصلت بالتوراة باللسان العجمي الأندلسي؛ ووجدت فيها مسائل كثيرة للرد عليهم منها، ففي التوراة الكتب الخمسة الأولى؛ فهي منسوبة لسيدنا موسى - عليه السلام - وفيها أمور دينهم؛ وجميع كتب التوراة بالخمسة التي ذكرت أربعة وعشرون كتاباً؛ ولم نر في جميعها ذكر جنة ولا نار ولا عذاب الآخرة؛ بل فيها المذح التام لبني إسرائيل حتى قال فيها: "لا تأخذ رباً أو طالعا في المال من أحد من بني إسرائيل ويجوز الأخذ من غيرهم".

ووجدت في أحد الكتب الخمسة إن الرجل إذا جامع زوجته وجب عليهما غسل جميع الجسد بماء طاهر؛ وكذلك من خروج المني، وأن المرأة وجب عليها (١٦٥) من الحيضة أيضاً. ووجدت فيها إن الله يدخل جن الجنة، وسألت علماءهم في تلك البلاد وغيرها على هذا المذكور في التوراة المسمى بجن؛ وأن الله يدخله الجنة، قالوا: لم ندر.

ثم أني بعد أن ولّيت إلى بلاد المسلمين بمدينة مراکش اتصلت بكتاب يسمى بالسيف المحدث في الرد على اليهود لعبد الحق الإسلامي - رحمه الله - قال: أنه كان من أخبار اليهود ووقعه الله تعالى لدين الإسلام؛ وأتى بالنصوص من التوراة بالخط العبراني ويضعها في طرة الكتاب، ثم كتب الألفاظ بالخط العربي في داخل الأسطار؛ ثم تفسير المعنى بآثره، وذكر في مواضع من التوراة اسم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - برموز وحلها بأسرار الحروف، والذي بقي في حظي واحد منها؛ واكتفيت به عن غيره؛ وهو كاف بآين:

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِي التَّوْرَةِ فِي بَابٍ: «يَدْخُلُ اللَّهُ جَنَ الْجَنَّةِ»
 فَأَمَّا جَن فَهُوَ اسْمُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى (٦٥ ب) اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فَهُوَ اسْمُهُ أَحْمَدُ؛ لِأَنَّ النَّونَ تَنْقُطُ خَمْسِينَ بِالْحِسَابِ الْمَشْرِقِيِّ
 وَالْمَغْرِبِيِّ؛ وَكَذَلِكَ الْجِيمُ ثَلَاثَةٌ؛ وَالْمَجْمُوعُ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ، وَهُوَ مَا
 تَنْقُطُ حُرُوفُ أَحْمَدَ بِالِاصْطِلَاحِ الْمَشْرِقِيِّ وَالْمَغْرِبِيِّ؛ فَأَمَّا الْأَلِفُ
 فَوَاحِدٌ وَالْحَاءُ ثَمَانِيَةٌ وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ وَالْدَّالُّ أَرْبَعَةٌ؛ فَالْمَجْمُوعُ ثَلَاثَةٌ
 وَخَمْسُونَ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ وَدَلِيلٌ قَطْعِيٌّ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَذْكُورُ اسْمِهِ فِي التَّوْرَةِ إِلَى الْآنَ.

وَوَجَدْتُ فِيهَا أَيْضًا أَنَّ الْأَتْنَى عَشَرَ سَبْطًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 السَّبْعَةَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ كُلُّ وَاحِدَةٍ أُمٌّ وَلَدًا وَلَيْسَ بِزَوْجَةٍ نِكَاحٍ.

وَمِنْ الْمَسَائِلِ الَّتِي قَالُوا لِي الْيَهُودُ: أَنَّ أَصْلَنَا الْقَدِيمُ مِنْ سَيِّدِنَا
 إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنَّ أُمَّهُ لَيْسَتْ كَأُمِّ سَيِّدِنَا إِسْحَاقَ - عَلَيْهِ
 السَّلَامُ - لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأُمُّ
 إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَمْلُوكَةٌ.

قُلْتُ لَهُمْ: كُلُّ مَا فَعَلَ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا
 أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟

ثُمَّ نَسْتَلْهُمْ عَنِ الْإِتْنَى (١٦٦) عَشَرَ سَبْطًا.

فَيَقُولُونَ: هُمْ الْأَصْلُ فِي الدِّينِ؛ وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ الْمَقْبُولُونَ عِنْدَ اللَّهِ
 تَعَالَى!

ثُمَّ أَقُولُ لَهُمْ: فَالْسَّبْعَةُ مِنْهُمْ لَمْ تَكُنْ أُمَّهَاتِهِمْ زَوْجَةً نِكَاحٍ؛ وَكَمَا هُمْ
 عِنْدَكُمْ فِي مَقَامٍ مَحْمُودٍ كَذَلِكَ كَانَ مَقَامُ سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ
 السَّلَامُ - وَلَا يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَسْتَفْصُوهُ بِسَبَبِ أُمَّهِ.

ثُمَّ يَسْتَلُونِي سُؤَالًا؛ وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَنْ أَحَدًا لَا يَجِدُ مَا يُجَاوِبُ عَلَيْهِ؛
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِي: الَّذِي الَّذِي أَتَى بِهِ سَيِّدُنَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ
- كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، مَا بَيَّنَّنَا نِزَاعٌ فِي هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ.

قَالُوا: سَلَاطِينُ الدُّنْيَا يَرْجِعُونَ فِيمَا أَعْطَوْا مِنْ كُتُبِهِمْ مُعَلِّمَةً مِنْهُمْ.
قُلْتُ: لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا فِيمَا يَظْهَرُ أَنَّهُ يُلِيقُ بِهِمْ، وَفِي بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ؛
وَنَحْنُ عِنْدُنَا فِي دِينِنَا ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمْرُ الْكِتَابِ﴾ .
قَالُوا: لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدُنَا!

قُلْتُ لَهُمْ: عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ مَسْئَلَةٌ مِثْلُ مَا قَالَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ
يَمْحُو وَيُنَبِّتُ.

قَالُوا: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ فِي التَّوْرَةِ؟

قُلْنَا: فِي الْبَابِ الْعِشْرِينَ مِنْ (٦٦ب) الْكِتَابِ الثَّانِي لِلْسَلَاطِينِ؛ قَالَ:
أَنَّ السُّلْطَانَ حَزَكِيَّةَ مَرَضَ بِمَرَضِ الْمَوْتِ؛ وَجَاءَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ يَشْعِيَّةُ
إِبْنُ النَّبِيِّ مُزٌّ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ دَارِكَ؛ إِنَّكَ تَمُوتُ وَلَا
تَعِيشُ؛ فَدَعَا وَبَكَأَ شَدِيدًا، ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَادِقَةً؛ ثُمَّ بَعَثَ
اللَّهُ النَّبِيَّ يَشْعِيَّةَ: ارْجِعْ إِلَى سُلْطَانِ بِلَادِي وَقُلْ لَهُ: رَأَيْتُ بُكَاءَكَ
وَقَبِلْتُ دُعَاءَكَ؛ وَفِي ثَالِثِ يَوْمٍ يَأْتِي إِلَى بَيْتِي وَنَزِيدُ فِي عُمُرِهِ خَمْسَ
عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَنُنَجِّيهِ مِنْ سُلْطَانِ شُومٍ؛ وَتَحْقِظُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ، أَنْتَهَى .

فَكُلُّ مَنْ نَسَنَلَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ عَنْ هَذَا: هَلْ هُوَ فِي التَّوْرَةِ؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَأَقُولُ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ كَانَ كَلَامَ اللَّهِ؛
وَقَالَ: يَمُوتُ مِنْ مَرَضِهِ؛ وَالْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ قَالَ: يَزِيدُ فِي عُمُرِهِ خَمْسَ
عَشْرَةَ سَنَةً؛ فَمَحَى الْكَلَامَ الْأَوَّلَ وَأَثْبَتَ الثَّانِي .

وَهَذَا بُرْهَانٌ لَا يَرُدُّهُ أَحَدٌ؛ وَكَذَلِكَ مَحَى اللَّهُ دِينَ الْيَهُودِ فِي
الْعِبَادَاتِ وَاثْبَتَ دِينَ الْإِسْلَامِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ بَعَثَ رَسُولًا إِلَى
قَوْمِهِ وَأَمَرَهُمْ بِكِتَابِهِ أَنْ (١٦٧) يَفْعَلُوا كَذَا؛ ثُمَّ بَعَثَ كِتَابًا آخَرَ يَزِيدُ
أَوْ يَنْقُصُ عَنِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ؛ فَمَنْ عَمِلَ بِالْأَمْرِ الْآخِرِ فَهُوَ طَائِعٌ؛
وَالَّذِي تَمَسَّكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ وَقَالَ: مَا نَعْمَلُ إِلَّا بِمَا آتَانَا بِهِ رَسُولُهُ
فُلَانٌ بِكِتَابِهِ فَهُوَ عَاصٍ مِثْلُ الْيَهُودِ. وَكَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالتَّخْتَيْنِ هُوَ وَابْنَتُهُ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ
- وَمَنْ بَعْدَهُ؛ وَلَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ،
فَكَانُوا الْيَهُودُ لَا يَجِدُونَ مَا يُجَاوِبُونَ بِهِ.

وَذَكَرَ فِي التَّوْرَةِ إِنَّ السَّرَّ فِي التَّخْتَيْنِ مِثْلُ عَلَامَةٍ يَعْمَلُهَا
الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يُوقِي بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ؛ وَتَشْهَدُ النَّصَارَى: إِنَّ سَيِّدَنَا
عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَخْتَنَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يَنْبَرٍ؛ ثُمَّ أَنَّهُمْ
أَسْقَطُوا ذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ أَمْرِهِ؛ بَلْ قَالُوا: إِنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَلَصَ عَنِ الْجَمِيعِ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ. وَأَبَاحُوا أَكْلَ لَحْمِ
الْخَنَزِيرِ - وَهُوَ مَمْنُوعٌ فِي التَّوْرَةِ - وَالْخَبَائِثِ.

وَقَدْ بَحَثْتُ الْيَهُودَ فِي مَسْئَلَةٍ أُخْرَى؛ قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتُمْ
مَأْمُورُونَ بِهِ فِي كِتَابِكُمْ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا جَامَعَ زَوْجَتَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهَا الْغَسْلُ (٦٧ب) لِجَمِيعِ الْجَسَدِ بِمَاءٍ طَاهِرٍ؛ هَلْ تَصْنَعُونَ ذَلِكَ
أَمْ لَا؟

قَالُوا جَمِيعًا: لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ؛ وَلَا كُنَّ النِّسَاءُ تَغْتَسِلْنَ مِنَ الْحَيْضَةِ؛
وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لِلنِّسَاءِ غُسْلٌ مِنَ الْجِمَاعِ.

قُلْتُ لَهُمْ: مَنْ أَسْقَطَ عَنْكُمْ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ وَأَنْتُمْ مَأْمُورُونَ بِهَا فِي كِتَابِكُمْ؟

قَالُوا: ذَلِكَ الْأَمْرُ كَانَ حِينَ كُنَّا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ!

قُلْتُ لَهُمْ: الْأَمْرُ لَيْسَ هُوَ مُرْتَبِطاً بِشَرْطٍ، لِأَنَّهُ مَا قَالَ هَذَا الْأَمْرُ لِلْغُسْلِ فَرَضٌ عَلَيْكُمْ مَا دُمْتُمْ بِيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ كَانَتْ لَكُمْ حُجَّةٌ مَقْبُولَةٌ بِمَا تَقُولُونَ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ بِأَنَّهُمْ جَمِيعُ الْيَهُودِ بِنَاجِسَةٍ مَوْرُوثَةٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ؛ وَعِلْمَانُهُمْ مَلْعُونِينَ بِإِبَاحَتِهِمْ فِي تَرْكِ فَرَضٍ مِنْ فَرَائِضِهِمْ.

وَأَمَّا الْفَرَضُ لَهُمْ فِي تَرْكِ الْأَسْبَابِ يَوْمَ السَّبْتِ حَيْثُ هُوَ أَمْرٌ مُوَافِقٌ لِشَهْوَةِ النَّفْسِ لِأَنَّهَا تُحِبُّ الرَّاحَةَ؛ فَهَذَا يَقُولُونَ بِحَقِّهِ وَيُظْهِرُونَ مِنَ الْوَرَعِ جَمِيعَهُمْ بِالْقِيَامِ بِحَقُوقِ السَّبْتِ؛ وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ فِيهِ كَذًا وَكَذًا، وَيَتْرَكُونَ الطَّهَارَةَ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ فِي الْعِبَادَاتِ؛ وَكَذَلِكَ النَّصَارَى لَا يَقْرُبُونَ الْمَاءَ أَبَدًا (١٦٨) إِلَّا مَرَّةً فِي الْعُمْرِ وَهُوَ الْغُسْلُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي دِينِ النَّصَارَى؛ الْمُسَمَّى بِالْمَاءِ الْمَعْمَدَانِ.

وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ يَقُومُ مِنْ فِرَاشِهِ عِنْدَ السَّحَرِ فِي أَيَّامِ الْبَرْدِ وَلَا يَجِدُ سَبِيلًا لِتَسْخِينِ الْمَاءِ وَيَغْتَسِلُ بِهِ بَارِدًا لِنَلَا تَفَوُّتِهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ؛ وَالْمُوَاضِبُونَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا فَلَا يَنَامُونَ إِلَّا بَعْدَ أَدَاءِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَيَتْرَكُونَ مَضَاجِعَهُمْ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ؛ وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَجَلَّيْ جُنُودَهُ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ مِنْهَا خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتِ لَهُ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ

صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا قَامَ نِصْفُ لَيْلَةٍ؛ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَهُ صَلَّيَ اللَّيْلَ كُلَّهُ^١ . فَبِيرَكْتِهِمْ لَمْ يَزَلْ الْعِزُّ لِلْإِسْلَامِ فِي الدُّنْيَا وَبِبَرَكَاتِهِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي قَالَ: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"؛ وَقَالَ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَذُقُ بَابَ الْجَنَّةِ"؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِي التَّوْرَةِ: "يَدْخُلُ اللَّهُ جَنَ الْجَنَّةِ"؛ إِذْ هُوَ (٦٨ب) أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا وَبَعْدَهُ مَنْ كَانَ مِنَ السَّعْدَاءِ .

وَفِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّوْرَةِ فِي الْبَابِ السَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ قَالَ: "إِنَّ سَيِّدَنَا يَعْقُوبُ كَانَ يَذْكُرُ لِأَوْلَادِهِ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ وَقَالَ عَلَى الْيَهُودِ: يَكُونُ لَهُمُ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ شِلْوُهُ؛ وَالنَّصَارَى تَقُولُ: أَنْ شِلْوُهُ كَانَ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَلِكُ كَانَ لَهُمْ بَعْدَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَفِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَزَلْ بِالْكَلِيَّةِ إِلَى أَنْ جَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ وَقَعَ لَهُمْ مَعَهُ حَرْبٌ وَشَرٌّ بِخَيْرٍ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ الْيَهُودَ حَارَبُوا أَحَدًا .

وَفِي التَّوْرَةِ؛ فِي الْكِتَابِ الْمُسَمَّى ذَوْتَرْتَمِي فِي الْبَابِ الْأَرْبَعِينَ، قَالَ: أَرْعُوا أَرْوَاحَكُمْ؛ لَا تَزُورُوا أَصْنَامًا؛ وَقَالَ أَيْضًا: لَا تَقْطَعُوا وَتَصْنَعُوا لَكُمْ صُورًا وَلَا أَصْنَامًا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الصُّوَرِ: صُورَةَ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى؛ وَلَا صُورَةَ دَوَابِّ الْأَرْضِ؛ وَلَا صُورَةَ طَيْرٍ مِنَ السَّمَاءِ تَطِيرُ فِي السَّمَاءِ وَلَا صُورَةَ دَابَّةٍ تَنْجَرُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا صُورَةَ حَيَاتَانِ الْمَاءِ وَلَا تَسْجُدُوا وَلَا تَعْبُدُوا الْقَمَرَ وَلَا النُّجُومَ .

١ المعجم الكبير للطبراني ٩٢/١ .

وَقَالَ فِي الْكِتَابِ (١٦٩) الْمُسَمَّى بِلَيْتَقُ مِنْ كُتُبِ التَّوْرَةِ فِي
الْبَابِ الْعَاشِرِ: وَكَلَّمَ اللَّهُ لِهَارُونَ وَقَالَ: أَنْتَ وَلَا أَوْلَدَكَ؛ لَا تَشْرَبُوا
خَمْرًا وَلَا مِزْرًا - يَعْنِي: مُسْكِرًا - إِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ فِي الْجَامِعِ
لِيَتَنَبَّهَ الطَّاهِرُ مِنَ النَّجِسِ وَلَا تَمُوتْ؛ عَهْدٌ لِلأَبَدِ يَكُونُ لِمَنْ يَتَسَلَّ
مِنْكَ.

وفي كتاب آخر يسمى بِذَوْتَرْتَمِي؛ فِي الْبَابِ السَّادِسِ؛ لِسَيِّدِنَا
مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: "نَبِيٌّ مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ يَظْهَرُهُ
اللَّهُ مِنْهُ تَسْمَعُونَ". وَقَالَ فِي كِتَابِ السِّيَقِ الْمَخْذُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى
الْيَهُودِ فِي هَذَا الْمَعْنَى: نَبِيٌّ مِنْ بَنِي إِخْوَانِكُمْ مِنْهُ تَسْمَعُونَ. وَفِي
كِتَابِ الْقَضَاةِ مِنْ كُتُبِ التَّوْرَةِ فِي الْبَابِ الْخَامِسِ، قَالَ: "نَبِيٌّ نَقِضُهُ
مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِهِمْ مِثْلَكَ؛ وَأَنَا نَضَعُ كَلَامِي فِي فَمِهِ؛ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا
نَأْمُرُ؛ وَمَنْ لَا يَسْمَعُ مِنْ كَلَامِي^١ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنِّي أَنَا نَحَاسِيهِ". فَهَذَا^٢
دَلِيلٌ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي كِتَابِ أَسْكِيلٍ مِنَ التَّوْرَةِ قَالَ دَانِيَالُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "أَكْسِرْ" (٦٩ب) الْأَصْنَامَ وَيَخْمَدُ وَيَفْنِي الْكُفْرَ؛ وَفِي
الْعَامِ الثَّانِي مِنْ تَوَلِيَةِ بُخْتِ نَصَرَ الْمَمْلَكَةَ رَأَى رُءْيَا بُخْتِ نَصَرَ
وَنَسِيَهَا؛ وَأَمَرَ بِإِخْضَارِ الْكُهَّانِ وَالْمُنْجِمِينَ وَالسَّحَّارَةَ الْقَيْطِيِّينَ^٣
لِيُظْهِرُوا لِلسُّلْطَانِ الرُّءْيَا، وَلَمَّا حَضَرُوا قَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: رَأَيْتُ

^١ هنا تبدأ قطعة باريس، ومن هنا نرمر لها بالحرف: س.

^٢ س: فهذه.

^٣ س: مثل القبطيين.

جَلَمًا وَأَنَا مُتَّفَكِّرٌ لِنَعْلَمَ مَا رَأَيْتُهُ^١، قَالُوا: أَذْكُرُ لَنَا مَا رَأَيْتَ وَنُفَسِّرُهُ؛ قَالَ السُّلْطَانُ لِلْقَبِيطِيِّينَ: ذَهَبَ^٢ عَنِّي مَا رَأَيْتُهُ؛ وَإِذَا لَمْ تَظْهَرُوا الرَّعِيَا نَقْتُلْكُمْ أَشْرَ قَتْلٍ؛ وَإِذَا ذَكَرْتُمُوهَا نَجُودُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا مَرَّةً ثَانِيَةً: أَذْكُرُ مَا رَأَيْتَ نَبِيْنُ تَفْسِيرِهِ، ثُمَّ قَالُوا: لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الَّتِي لَا تَسْكُنُ فِي الْأَجْسَادِ؛ فَغَضِبَ السُّلْطَانُ؛ وَأَمَرَ بِقَتْلِ جَمِيعِ عُلَمَاءِ بَغْدَادِ^٣، وَشَهَرَ الْأَمْرَ؛ وَقَبَضُوا الْعُلَمَاءَ وَطَلَبُوا عَلَى ذَانِيَالٍ وَأَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوهُمْ؛ حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ مَعَ الرَّيُوجِ الْقَبِطَانِ الْمُتَكْفِلِ بِحَرَصِ السُّلْطَانِ وَقَالَ: مَا السَّبَبُ فِي سُرْعَةِ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَبَيَّنَهُ لَهُ، وَدَخَلَ ذَانِيَالٌ، لِلْسُّلْطَانِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْهَلَ عَلَيْهِمْ؛ وَأَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلْسُّلْطَانِ مَا طَلَبَ.

حِينَئِذٍ مَشَى ذَانِيَالٌ^٤ (١٧٠) إِلَى مَنْزِلِهِ وَذَكَرَ الْأَمْرَ لِأَصْحَابِهِ^٥: أَنَانِيشُ وَمَشَايِلُ وَالْيَ قَرِيشُ^٦؛ لِيَطْلُبُوا الرَّحْمَةَ مِنَ إِلَهِ السَّمَاءِ وَاللُّطْفِ لِئَلَّا يَهْلِكَ ذَانِيَالٌ وَأَصْحَابُهُ وَعُلَمَاءُ بَغْدَادٍ؛ حِينَئِذٍ أَوْحَى اللَّهُ الْمَسْتَلَّةَ لِذَانِيَالٍ^٧ بِرُءْيَا فِي اللَّيْلِ^٨؛ وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَقَالَ الْبَرَكَةُ

١ س: ما رأيت.

٢ س: اذهبوا عني ما رأيت.

٣ س: وأمر بقتلهم جميعاً يعني علماء بغداد.

٤ س: عليه السلام.

٥ س: يهمل.

٦ س: عليه السلام.

٧ س: وذكر الأمر على ناتيئ.

٨ س: والي قريش أصحابه.

٩ س: لدانيال عليه السلام.

فِي اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ قَرْنٍ وَزَمَنِ^١؛ لَهُ هِيَ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّةُ؛
وَهُوَ الَّذِي يُبَدِّلُ الْأَزْمِنَةَ؛ وَيَزِيلُ الشَّدَائِدَ وَيَضَعُهَا؛ يُوتِي الْحِكْمَةَ
لِلْحُكَمَاءِ وَالْعِلْمَ لِلْأَفْهَامِ؛ وَهُوَ يُوحِي مَا كَانَ مَسْتُورًا وَمَكْنُونًا؛ يَعْلَمُ^٢
وَيُمَيِّزُ^٣ مَا كَانَ فِي الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ وَمَا فِي هَمَا؛ إِلَيْكَ يَا إِلَهَ آبَائِي
أَشْهَدُ وَأَشْكُرُكَ، إِنَّكَ أَعْطَيْتَنِي عِلْمًا وَأَعْلَمْتَنِي مَا طَلَبْنَا مِنْكَ وَبَيَّنْتَ
لِي أَمْرَ السُّلْطَانِ.

ثُمَّ كَلَّمَ وَزِيرَ السُّلْطَانِ الَّذِي كَانَ لَهُ الْأَمْرُ عَلَى قَتْلِ عُلَمَاءِ بَغْدَادٍ
وَقَالَ لَهُ: لَا تَقْتُلِ الْعُلَمَاءَ وَأَدْخِلْنِي بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ؛ وَأَنَا أُبَيِّنُ لَهُ مَا
طَلَبَ؛ فَالْتَقَى بِهِ وَقَالَ السُّلْطَانُ لِذَانِيَالٍ: - وَكَانَ اسْمُهُ بَلْتَشَرُ، تَقْدِرُ
تُبَيِّنُ لِي الرُّعْيَا وَتُفَسِّرُهَا؟ قَالَ ذَانِيَالٌ: لِلْسُّلْطَانِ: الْأَمْرُ الَّذِي سَأَلْتَ
عَنْهُ لَا يَقْدِرُ (٧٠ب) عَلَى إِظْهَارِهِ عُلَمَاءَ وَلَا مُنْجِمُونَ وَلَا سَحَرَةٌ
وَلَا كُهَّانٌ؛ وَلَا كُنْ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَاحِدٌ الَّذِي يُوحِي الْأَسْرَارَ؛ وَهُوَ
يَعْلَمُ السُّلْطَانُ بُخْتٌ تَصْرُ مَا يَخْذُثُ وَمَا يَكُونُ بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَزْمِنَةٍ.
وَمَا رَأَيْتَ فِي فِرَاشِكَ هُوَ هَذَا: فَأَنْتَ يَا سُلْطَانُ فِي فِرَاشِكَ كَانَ فِي^٤
فِكْرِكَ لَتَعْلَمَ مَاذَا يَكُونُ فِيمَا يَأْتِي؛ وَالَّذِي يُوحِي الْأَسْرَارَ وَالْعَجَائِبَ

^{١٠} س: الليل.

^١ س: وزمان.

^٢ في الأصل: يعرف، وكتب الحجري في الحاشية: «صراه يعلم».

^٣ "مستوراً ومكنونا ويعرف ويميز"، ساقطة من س.

^٤ س: وقال السلطان وكان اسمه.

^٥ س: عليه السلام.

^٦ س: واما.

^٧ س: كان فكريك.

أَظْهَرَ لَكَ الَّذِي يَكُونُ . وَأَمَّا أَنَا فَأَظْهَرَ لِي هَذَا السِّرَّ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْعِلْمِ الَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ^١ أَكْثَرُ مِنَ الْعِبَادِ؛ وَلَا كَيْنَ لِنَظْهِرِ تَفْسِيرَهُ لِلسُّلْطَانِ؛ وَلِتَعْرِفَ مَا كَانَ فِي فِكْرِكَ وَقَلْبِكَ . وَأَنْتَ يَا سُلْطَانُ رَأَيْتَ صَنْمًا عَظِيمًا جِدًّا؛ وَكَانَ لَهُ مَجْدٌ وَهُوَ وَقِفٌ أَمَامَكَ وَيَصْرُهُ قَوِيٌّ؛ أَمَّا رَأْسُ الصَّنَمِ فَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ؛ وَصَدْرُهُ وَعَضْدَاهُ مِنْ فِضَّةٍ؛ وَبَطْنُهُ وَفَخْدَاهُ مِنْ مَعْدِنٍ؛ وَأَرْجُلَاهُ مِنْ حَدِيدٍ وَقَدَمَاهُ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ فَخَّارٍ؛ وَأَنْتَ تَنْظُرُهُ؛ وَرَأَيْتَ حَجْرَةً قُطِعَتْ بِغَيْرِ أَيَادِي وَضُرِبَتْ الصَّنَمُ فِي قَدَمَيْهِ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْفَخَّارِ (١٧١) وَطَحْنَتْهَا غَبْرَةُ الْحَدِيدِ وَالْفَخَّارِ وَالْمَعْدِنِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَرَفَعَهَا الرِّيحُ؛ فَمَا وَجَدَ لَهَا مَوْضِعَ؛ وَلَا كَيْنَ الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ الصَّنَمَ رَجَعَ جَبَلًا عَظِيمًا حَتَّى عَمَرَ وَمَلَأَ جَمِيعَ الْأَرْضِ؛ وَهَذَا هُوَ الْحِلْمُ أَوْ الرُّعْيَا . وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ: نَذْكُرُهُ أَيْضًا بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ:

أَنْتَ يَا سُلْطَانُ، أَنْتَ سُلْطَانُ سَلَاطِينٍ؛ لِأَنَّ إِلَهَ السَّمَاءِ أَعْطَاكَ الْقُدْرَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْعِظَمَةَ، وَكُلَّ مَا عَمَرَ ابْتِاءَ الرِّجَالِ وَدَوَابِّ الْفَخْصِ وَطُيُورِ الْهَوَاءِ؛ وَضَعَهُ فِي يَدِكَ وَجَعَلَكَ أَمِيرًا عَلَى جَمِيعِهِ، وَأَنْتَ هُوَ ذَلِكَ الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ؛ وَبَعْدَكَ تَقُومُ سُلْطَنَةٌ أُخْرَى أَقَلٌّ وَأَصْغَرُ مِنْكَ؛ فَالْصَّدْرُ مِنْ فِضَّةٍ؛ وَسُلْطَنَةٌ ثَالِثَةٌ مِنْ مَعْدِنٍ؛ وَتَتَحَكَّمُ عَلَى جَمِيعِ الْأَرْضِ؛ وَالسُّلْطَنَةُ الرَّابِعَةُ تَكُونُ قَوِيَّةً مِثْلَ الْحَدِيدِ - وَكَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ يَغْلِبُ وَيَقْهَرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ وَيَكْسِرُهَا - فَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ يَكْسِرُهُ وَيَذْقُهُ .

١ س: عندي أكثر من العباد.

٢ هنا يبدأ سقط في س .

وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالْأَصَابِعُ بَعْضُهَا فَخَارٌ وَبَعْضُهَا حَدِيدٌ؛ (٧١ب) فَالْسلْطَنَةُ تَنْقَسِمُ: قِسْمٌ قَوِيٌّ وَقِسْمٌ ضَعِيفٌ؛ وَأَمَّا امْتِزَاجُ الْحَدِيدِ مَعَ شَقَفِ الْفَخَّارِ؛ فَيَتَزَوَّجُونَ وَيَمْتَزِجُونَ الزَّرِّيْعَةَ الْأَدَمِيَّةَ؛ وَلَا كُنْ مَا تَلْتَصِقُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، وَلَا كُنْ فِي أَيَّامِ هَذَا السَّلَاطِينِ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَمْتَزِجُونَ لِتَكُونَ سُلْطَنَةُ قَوِيَّةً؛ الْإِلَهِ السَّمَاءِيِّ يُقِيمُ سُلْطَنَةً لَا تَنْكَسِرُ وَلَا تَفْنَى أَبَدًا. وَهَذِهِ السُّلْطَنَةُ لَا تَتْرَكُ لِغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ؛ وَهِيَ الَّتِي تُهْرَسُ وَتَفْنِي جَمِيعَ هَذِهِ السُّلْطَنَاتِ؛ وَهِيَ تَدُومُ وَتَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، كَمَا رَأَيْتَ أَنَّ مِنَ الْجَبَلِ قُطْعَ الْحَجَرِ بَغَيْرِ يَدَيْنِ وَهَرَسِ الْحَدِيدِ وَالْمَعْدَنَ وَالْفَخَّارَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ؛ الْإِلَهِ الْعَظِيمُ أَظْهَرَ لِلسُّلْطَانِ مَاذَا يَكُونُ فِي الْمَالِ وَالْحِلْمِ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ صِدْقٌ.

حِينَئِذٍ السُّلْطَانُ بُخْتُ نَصَرَ وَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ وَرَكَعَ إِلَى ذَانِيَالٍ؛ وَأَمَرَ بِإِعْطَائِهِ هَدِيَّاتٍ وَتَبَاخُرٍ؛ وَكَلَّمَ السُّلْطَانُ إِلَى ذَانِيَالٍ وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّ إِلَهَكَ هُوَ إِلَهُ الْإِلَهَاتِ وَرَبُّ السَّلَاطِينِ؛ مُظْهِرُ الْعَجَائِبِ وَالْمُعْجَزَاتِ، (١٧٢) حَيْثُ قَدَرْتَ تَنْبِئَنِي بِهِذِهِ الْمُعْجَزَةِ؛ قَالَ ذَانِيَالُ: لِأَنِّي لَا أَعْبُدُ أَصْنَامًا مَصْنُوعَةً بِالْيَدَيْنِ وَلَا كُنْ أَعْبُدُ الْإِلَهِ الْحَيَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَهُ أَمْرٌ عَلَى كُلِّ لَحْمٍ. أَنْتَهَى مَا تَرْجَمَاهُ مِنَ التَّوْرَةِ فِي هَذَا الْبَابِ^١.

قَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ زُرْقٌ - نَفَعَ اللَّهُ بِهِ - فِي هَذَا الْمَعْنَى: فَاَنْظُرْ هَذَا التَّصْرِيحَ الْجَلِيَّ الْمُنَاطِقَ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَهُوَ الَّذِي نُبُوَعُهُ

^١ "في هذا الباب"، أضافه الحجري بخطه في الحاشية.

وَمَلِكُ أُمَّتِهِ أَبَدِيٌّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا نُسْخَ لِشَرْعِهِ الشَّرِيفِ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا؛ وَهُوَ الَّذِي بُعِثَ لِسَائِرِ الْأُمَمِ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا كُلُّهَا وَخَلَطَ بَيْنَ أَجْنَاسِهَا وَجَعَلَهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَذْيَانِهَا وَاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا جِنْسًا وَاحِدًا؛ وَعَلَى لُغَةٍ وَاحِدَةٍ وَدِينٍ وَاحِدٍ؛ إِذْ كُلُّهُمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِلُغَتِ الْعَرَبِ وَبِهَا يُصَلُّونَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّهُمْ يَدِينُونَ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ أَنْتَهَى.

وَأَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ بِيْلَادَ الْأَنْدَلُسِ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا مِرَارًا الْفَقِيسِيِّينَ وَالرُّهْبَانَ يَخْطِطُونَ (٧٢ ب) وَيَذْكُرُونَ الرَّعْيَا الَّذِي رَأَى بُخْتَ نَصَرَ؛

وَمَا فَسَّرَ النَّبِيُّ دَانِيَالُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيَقُولُونَ: أَنْ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الرَّعْيَا؛ وَأَنْ دِينَهُ عَمَرُ الدُّنْيَا؛ وَسُلَاطِينُ دِينِهِ غَلَبُوا سُلَاطِينَ الدُّنْيَا؛ وَكَذَّبَهُمُ الْعَيَانُ بِصِحَّتِ الْبُرْهَانِ بِمَا أَظْهَرَ فِي الدُّنْيَا الْمَلِكُ الدِّيَانُ؛ لَهُ الشُّكْرُ وَالْفَضْلُ وَالْإِمْتِنَانُ عَلَى غُلُوِّ كَلِمَةِ تَوْحِيدِهِ وَالْإِسْلَامِ وَخَالِصِ الْإِيْمَانِ.

أَمَّا السُّلْطَانُ بُخْتَ نَصَرَ فَكَانَ فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ وَالنَّصَارَى لَمْ تَمْلِكْ قَطُّ بَغْدَادَ وَلَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا دَارَ مُلْكٍ كَمَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ. وَإِنْصَافًا أَنْ السُّلْطَانُ رَأَى الْحَجَرَ الَّذِي هَرَسَ الصَّنَمَ وَعَظَّمَ حَتَّى مَلَأَ الدُّنْيَا كُلُّهَا؛ وَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَهْلُ دِينِهِ لِأَنَّهُ هَرَسَ فِي مَكَّةَ الْمُشْرِقَةِ الْأَصْنَامَ - كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ - وَلَمْ يُعْبَذْ صَنَمٌ فِي الْبِلَادِ الَّتِي دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ.

وَأَمَّا النَّصَارَى بَعْدَ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَلَا يَعْبُدُونَ إِلَّا أَصْنَامًا؛ وَمَا مِنْ كَنِيْسَةٍ إِلَّا لَهَا صَنَامٌ أَوْ أَصْنَامٌ كَثِيرَةٌ؛ وَفِي

صَلَاتِهِمْ يَعْبُدُونَ قُرْصَةً مِنْ (١٧٣) خَالِصِ الدَّقِيقِ وَالْخَمَرِ أَيْضًا -
 كَمَا تَقَدَّمَ - وَكَمَا شَاهَدْتُهُ سِنِينَ عَدِيدَةً. وَالرُّعْيَا مُنْبِيئَةٌ عَلَى الْحَجَرِ
 الَّذِي هَرَسَ الصَّنَمَ؛ وَهُوَ الْإِسْلَامُ؛ لَا عَلَى مَنْ أَقَامَ الْأَصْنَامَ وَعَبَدَهَا؛
 وَهُمْ النَّصَارَى الضَّالِّينَ.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ذَانِيَال - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَنْ فِي أَيَّامِ السَّلَاطِينِ
 الْمُتَأَخِّرِينَ يَقِيمُ اللَّهُ سُلْطَنَةً لَا تَنْكَسِرُ؛ وَلَا تَقْنَى أَبَدًا وَهِيَ الَّتِي تَكْسِرُ
 وَتَقْنِي جَمِيعَ هَذِهِ السُّلْطَنَاتِ، وَهِيَ تَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ؛ فَأَيُّنَ مَا ظَهَرَ
 مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْإِسْتِطَاعِ؛ وَأَنَا أَمَرَنِي الشَّيْخُ الْأَثِيرُ الشَّهِيرُ
 بِمِصْرَ وَغَيْرَهَا: أَنْ لَا نَكْتُبَ فِي الْمُخْتَصَرِ إِلَّا مَا وَقَعَ لِي مَعَ الْكُفَّارِ
 مِنَ الْكَلَامِ، فَهَذِهِ بَيِّنَةٌ وَبُرْهَانٌ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ عَمَّرَ أَكْثَرَ بِلَادِ الدُّنْيَا
 الْمَعْرُوفَةِ فِي زَمَنِ الْقَدَمَا الَّذِي وَقَعَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا؛ احْتِرَازًا عَلَى الدُّنْيَا
 الْجَدِيدَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ الْبَعِيدِ؛ حَيْثُ هِيَ الْهُنُودُ
 الْمَغْرِبِيَّةُ الَّتِي لَمْ يَدْخُلْهَا الْإِسْلَامُ؛ وَجَمِيعُ سُكَّانِهَا الْقَدَمَا مَجُوسٌ
 يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ أَكْثَرَهُمْ؛ إِلَى أَنْ ادْخَلَ فِيهَا سُلْطَانُ بِلَادِ الْإِنْدُلُسِ
 أَصْنَامَهُ وَشِرْكُهُ.

وَأَقُولُ: أَنَّ النَّصَارَى تَزْعُمُ أَنَّ الْحَجَرَ الَّذِي هَرَسَ الصَّنَمَ
 (٧٣ب) وَعَظُمَ وَعَمَّرَ الدُّنْيَا كُلَّهَا؛ كَانَ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ
 - وَقَدْ تَحَقَّقْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ وَمِمَّا يُصَوِّرُونَ فِي الْمَبَاتِ وَالْكَوَرِ
 الْآرِضِيَّةِ وَالرَّسَائِلِ الَّتِي قَرَأْتُ عَلَيْهَا.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَدَمَا فِيمَا مَضَى قَسَمُوا الدُّنْيَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ؛ وَكُلُّ قِسْمٍ
 سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ؛ فَسَمَّوْهُ أَوْرُوبَةَ لِلرُّبُعِ الْجَوْفِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَى جِهَةِ
 الْقُطْبِ الشِّمَالِيِّ؛ وَابْتَدَأُوهُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ إِلَى آخِرِ بِلَادِ الْإِنْدُلُسِ؛

وَفِي هَذَا الرَّبْعِ هِيَ الْمَدِينَةُ الْعُظْمَى الشَّهِيرَةُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا أَعْظَمُ
مَدْنِهَا بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمَلَلِ وَالْأَجْنَاسِ الْعَارِفِينَ: وَهِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ،
حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَادَمَ عِزَّهَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا؛
وَالْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الرَّبْعِ عَلَى مَا قِيلَ لِي: نَحْوُ الْخَمْسِينَ يَوْمًا
لِلْمَاشِي الْمُنَوَّسِطِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَمَا عَدَا الْإِسْلَامَ فَهُوَ
لِلنَّصَارَى؛ فَالْمُجَاوِزُ لِلْإِسْلَامِ هُوَ سُلْطَانُ الْإِمَانِيَّةِ؛ وَظَهَرَ لِي إِنَّهُمْ
الْصَّقَالِيَّةُ الْمَذْكُورُونَ فِي التَّوَارِيخِ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ وَبِلَادٍ مُشَقَّوِيَّةِ الْجَوْفِيَّةِ؛
وَبِلَادٍ رُومَةٍ بِإِطَالِيَّةٍ وَبِلَادٍ الْفَرَنْجِ وَفَلَنْضِسَ وَبِلَادٍ الْإِنْجِلِزِ وَبِلَادٍ
الْأَنْدَلُسِ بِمَا (١٧٤) لَهَا مِنْ جُزُرٍ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَالْبَحْرِ الصَّغِيرِ.

وَأَمَّا الرَّبْعُ الثَّانِي فَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِالرَّبْعِ الْإِفْرِيقِيِّ: إِسْمٌ مَأْخُذٌ أَوْ
مُشْتَقٌّ مِنْ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ فِيهَا مَضَى تُسَمَّى بِإِفْرِيقِيَّةٍ وَبِالْمُعْجَمِ
أَفْرِقَةُ. كَانَتْ بِقُرْبِ تُونِسَ الْمَحْرُوسَةِ بِاللَّهِ، وَفِي زَمَانِنَا هَذَا يُسَمَّى
هَذَا الرَّبْعُ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَابْتِدَاءُ هَذَا الرَّبْعِ الثَّانِي مِنْ
بَحْرِ سُوَيْسَ وَالْبَحْرِ الْمُحِيطِ دَائِرٌ بِهِ مِنَ الْقِبْلَةِ وَالْمَغْرِبِ وَالْبَحْرِ
الصَّغِيرِ مِنْ جِهَةِ الْجَوْفِ وَالْمَشْرِقِ، وَفِي هَذَا الرَّبْعِ الْمَغْرِبِيِّ أَكْثَرُ
سُكَّانِهِ الْمُسْلِمُونَ؛ فَأَمَّا مَصْرَ - الْمَحْرُوسَةُ بِاللَّهِ - فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ
مَدُنِ الدُّنْيَا؛ هِيَ مِثْلُ بَرِيَشَ بِفَرَنْصِهِ إِذَا أَضَفْنَا إِلَيْهَا مَصْرَ الْعَتِيقُ
وَبُولُقَ؛ وَهِيَ تَحْتَوِي عَلَى اثْنَيْ عَشْرَةَ أَلْفَ قَرْيَةٍ؛ ثُمَّ مَغْرِبًا عَنْهَا
إِسْكَندَرِيَّةٌ؛ ثُمَّ مَغْرِبًا عَنْهَا مَدِينَةُ طَرَابُلُسَ؛ وَمَغْرِبًا عَنْهَا مَدِينَةُ تُونِسَ
بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ وَبِلَادِ الْجَرِيدِ؛ ثُمَّ مَغْرِبًا عَنْهَا مَدِينَةُ
الْجَزَائِرِ بِمَا تَحْتَ حُكْمِهَا مِنَ الْبِلَادِ؛ ثُمَّ تِلْمَسَانَ - وَإِنْ كَانَتْ تَحْتَ
حُكْمِ الْجَزَائِرِ - فَكَانَتْ فِيهَا تَقْدَّمَ دَارَ مُلُوكِ (٧٤ ب) ثُمَّ مَغْرِبًا عَنْهَا

مَدِينَةُ فَاسَ دَارَ الْمُلُوكِ بِمَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا مِنَ الْبِلَادِ؛ ثُمَّ مَدِينَةُ مَرَاكُشَ فِي صَنْعِهَا قَدْرَ بَرِيْشٍ بِفَرَنْصَةٍ أَوْ أَقَلٍّ: دَارَ سَلَاطِينَ الشَّرَفَاءِ.

وَأَذْرَكْتُ خَمْسَ سِنِينَ مِنْ مُدَّةِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الَّذِي كَانَ مِنْ يَوْمِ مَاتَ سُلْطَانُ بُرْتَقَالِ النَّصْرَانِي - حِينَ أَخْرَكَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِجِيُوشٍ عَظِيمَةٍ - وَمَاتَ هُوَ وَبَقِيَ جَيْشُهُ هُوَ أَسَارَى بِأَيْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَبَقِيَ مَوْلَايَ أَحْمَدُ فِي الْمَمْلَكَةِ خَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ مَاتَ عَامَ اثْنَتَيْ عَشَرَ وَآلْفًا. وَكَانَتْ تَحْتَ طَاعَتِهِ سُلْطَنَةُ مَرَاكُشَ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ وَسُلْطَنَةُ فَاسَ وَسُلْطَنَةُ سُوسَ الْأَقْصَى وَسُلْطَنَةُ سِجْلَمَاسَةَ الْمَعْرُوفَةَ الْآنَ بِتَافِلَتَ؛ وَبِلَادَ دَرْعَةَ أَقْرَبَ مِنْهَا إِلَى مَرَاكُشَ؛ وَبِلَادَ تَوَاتَ. وَكَانَ لَهُ بِبِلَادِ السُّودَانِ سِلْطَنَتَانِ اسْتَفْتَحَهَا هُوَ - أَعْنِي السُّلْطَانُ الْمَذْكُورَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهِيَ مَدِينَةُ تَنْبُكْتُ بِمَا تَحْتَ حُكْمِهَا؛ وَمَدِينَةُ جَاغَ وَكُكِي؛ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ إِلَّا نَحْوُ عَشْرِ دَرَجٍ مِنَ الْعَرَضِ؛ وَفِي بِلَادِ السُّودَانِ بِلَادَ (١٧٥) كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهَا سُلْطَنَةُ مَلِي وَهِيَ تَمْتَدُّ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ؛ ثُمَّ سُلْطَنَةُ عَظِيمَةُ بِالسُّودَانِ لِسُلْطَانِ بُرْنُ، وَبِلَادَ كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مُمْتَدَّةٌ مِنْ سُلْطَنَةِ بُرْنُ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَةٌ وَمَشْرِقًا عَنْهَا؛ وَمَا بَقِيَ فِي هَذَا الرُّبْعِ فَهُوَ أَقْلُهُ فِيهِ مَجُوسٌ وَآيْضًا سُلْطَانُ نَصْرَانِي.

وَأَمَّا مَا تَقُولُهُ الْعَامَّةُ أَنَّ بَنِي أَدَمَ السُّودَانِيِّينَ أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ الْبَيْضِ فِي الدُّنْيَا؛ فَذَلِكَ بَاطِلٌ وَزُورٌ؛ وَأَظُنُّ أَنَّ السُّودَانِيِّينَ يَكُونُونَ قَدْرَ عَشُورِ الْبَيْضِ؛ وَكَذَلِكَ تَكْذِبُ الْيَهُودُ عَنْ وَادِ السَّنْبِتِ؛ وَأَنَّ وَرَاءَهُ سُلْطَنَةُ عَظِيمَةُ لِلْيَهُودِ؛ وَأَنَّ الْوَادَ لَا يَجْرِي يَوْمَ السَّنْبِتِ. وَقَدْ

عَرَفَتِ النَّاسُ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَائِلِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا؛ فَأَمَّا
الْيَهُودُ فَيُصْبِرُونَ نَفْسَهُمْ عَنْ ذُلِّهِمْ وَخَزْيِهِمْ بِذِكْرِ وَادِ السَّبْتِ، وَإِذَا
سُئِلُوا: فِي أَيِّ قُطْرٍ أَوْ جِهَةٍ مِنَ الدُّنْيَا هُوَ؟ فَلَا يَعْلَمُونَ مَا يَقُولُونَ.

وَيَمْتَدُّ هَذَا الرُّبْعُ الْأَفْرِيقِيُّ إِلَى طَرَفِ حُسْنِ الرَّجَا الَّذِي هُوَ سَبْعُ
وِثْلَاثُونَ دَرَجَةً إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ (٧٥ ب) خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَيَضْنِيقُ
الْأَرْضَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَرُكْنِ وَالْبَحْرِ الْمُحِيطُ دَائِرٌ بِهِ،
وَأَيْضًا الْبَحْرُ الصَّغِيرُ، وَبَحْرُ سَوَيْس، كَمَا ذَكَرْنَا.

وَأَمَّا نِصْفُ الدُّنْيَا تُسَمَّى بِالْعَجَمِيَّةِ بِأَشْيَةٍ؛ وَفِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِلَادٌ
الشَّامُ وَمَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْحِجَازُ وَالْيَمَنُ وَبِلَادُ التُّرْكِ الشَّهِيرَةُ بِرُكْنِهَا
- وَلَا أَعْرِفُ أَقْطَارَهَا - وَعِرْقٌ عَرَبٌ وَعِرْقٌ عَجَمٌ وَبَغْدَادُ وَمَا
تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَبِلَادُ هَرْمُوسَ وَسُلْطَانِ حَضْرَمَوْتِ
وَسُلْطَنَةِ قَشِينِ وَسُلْطَنَةِ ضَفَرِ وَبِلَادُ الْإِمَامِ نُعْمَانَ، ثُمَّ بِلَادُ الْهِنْدِ
وَحَرْسَانَ وَبِلَادُ فَارِسَ وَمَا لَهَا مِنَ الْأَقْطَارِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ
وَسَمَرْقَنْدَ وَبُخَارَةَ وَأُسْبُكَ وَبِلَادَ الطَّطَرِ تَأْخُذُ مِنَ الدُّنْيَا حَاضاً وَافِراً،
وَسُلْطَانُ جَلَالُ الدِّينِ فِي الْهِنْدِ: سُلْطَانٌ عَظِيمٌ الَّذِي يَذْكُرُونَ عَنْهُ
أَنْ لَهُ أَفْيَالاً لِلْحُرُوبِ؛ كَمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ الْهِنْدِيِّينَ فِي جَامِعِ الْأَزْهَرِ
بِمِصْرَ، وَذَكَرَ لِي رَجُلٌ أُنْدَلُسِيٌّ بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةَ: أَنَّهُ خَدَمَ سُلْطَانَيْنِ
مُسْلِمَيْنِ سِنِينَ (١٧٦) غَيْرَ سُلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ.

وَكَمْ مِنْ أَقْطَارٍ وَبِلَادٍ لِلْمُسْلِمِينَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا لِجَهْلِي بِهَا؟ وَكَلَّمَا
ذَكَرْنَا فِيهِ فِي الْأَرْضِ الْكُبْرَى الْمُتَّصِلَةَ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَفِي الْمَبَاتِ اللَّتِي تُصَوِّرُ النَّصَارَى؛ وَالْكُورِ الْأَرْضِيَّةِ فِيهَا: كُلُّ
مَدِينَةٍ مُصَوَّرَةٍ وَمَكْتُوبٌ اسْمُهَا بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا؛ وَكَذَلِكَ الْوَيْدَانِ

وَالْأَبْحُر - كَمَا تَقَدَّمَ -؛ وَفِيهَا فِي الْأَرْضِ الْكُبْرَى الْمُتَّصِلَةَ مِنْ بِلَادِ
لِلْمُسْلِمِينَ؛ بِمَا تَأْخُذُ مِنَ الرَّبْعِ الْمَغْرِبِيِّ وَهِيَ نِصْفُ الدُّنْيَا الَّتِي قُلْنَا
تُسَمَّى بِأَشْيِهِ نَحْوَ الْمِائَةِ وَأَرْبَعِينَ دَرَجَةً أَوْ أَكْثَرُ طُولاً، وَالْمَحْسُوبُ
لِكُلِّ دَرَجَةٍ مِنَ الْأَرْضِ اثْنَانِ وَخَمْسِينَ مِيلًا وَنِصْفُ الْمَاشِي عَلَى
خَطِّ مُسْتَقِيمٍ مِنْ غَيْرِ صُعُودٍ جَبَلٍ وَلَا أَنْجَرَا؛ وَيَكُونُ بِتَقْرِيْبٍ لِكُلِّ
دَرَجَةٍ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لِلْمَاشِي الْمُتَوَسِّطِ، كَمَا قَدَرْنَا لِطُولِ بِلَادِ الْإِنْدَلُسِ
ثَلَاثِينَ رَحْلَةً طُولاً؛ وَدَرَجَ طُولَهَا عَشْرٌ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً
بِحِسَابِ الرُّحَلَاتِ الْمَشْهُورَةِ فَهِيَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا بِتَقْرِيْبٍ؛ وَجَاءَ لِكُلِّ
دَرَجَةٍ (٧٦ ب) ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، كَمَا قُلْنَا؛ وَنَحْسِبُ لِلْأَرْضِ الْمُتَّصِلَةِ
الْعَامِرَةِ بِالْمُسْلِمِينَ أَرْبَعُ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

وَقَدْ جَاءَ رَسُولٌ مِنْ بِلَادِ قَلْمِيْنِكَ إِلَى مَوْلَايَ زَيْدَانَ ابْنِ مَوْلَايَ
أَحْمَدَ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكُشْ؛ وَكَتَابُ رِسَالَتِهِمْ عَجَمِيٌّ؛
وَأَمَرَنِي السُّلْطَانُ أَنْ أُعَرِّبَهُ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ الرَّسُولُ يَظْهَرُ لِي
مَحَبَّةً. وَرَأَيْتُ عِنْدَهُ كُتُبًا بِالْعَرَبِيَّةِ؛ وَهُوَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِهَا؛ فَسَأَلْتُهُ
أَيْنَ تَعْلَمُ ذَلِكَ؟

قَالَ: أَعْلَمُ إِنَّنِي كُنْتُ فِي جَزِيرَةِ كَذَا مِنْ جُزُرِ الْهُنُودِ الْمَشْرِقِيَّةِ الَّتِي
يَأْتُوا مِنْهَا بِالْقَرْقَةِ وَالْقَرْنَفَلِ وَالْجُوزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَبَاظِيرِ وَهِيَ
لِلْمُسْلِمِينَ؛ وَهُنَالِكَ تَعْلَمْتُ نَقْرًا.

قُلْتُ لَهُ: وَهَلْ فِي تِلْكَ الْجُزُرِ مُسْلِمُونَ؟

قَالَ: فِيهَا؛ وَفِي كُلِّ جَزِيرَةٍ سُلْطَانٌ مُسْلِمٌ؛ وَفِي بَعْضِ الْجُزُرِ
سُلْطَانَانِ.

فَاسْتَغْرَبْتُ ذَلِكَ؛ وَحَلَفَ بِيَدَيْهِ وَمَا يَعْبُدُ أَنْ فِي تِلْكَ الْجُزُرِ أَكْثَرَ مِنْ
عَشْرَةِ آلَافِ جَزِيرَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَتَوَقَّفْتُ فِي الْأَمْرِ؛ ثُمَّ قُلْتُ: ثَلَاثُ
مَسَائِلَ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ: الْأُولَى: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ (١٧٧) وَيَكْتُبُ
بِالْعَرَبِيَّةِ؛ وَيَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ سِنِينَ وَلَيْسَ بِفِلَنْضِسَ إِلَّا الَّذِي سَنَذْكُرُهُ
يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَهُمَا رَجُلَانِ فَقَطَ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا وَالْمُلُوكُ
لَا تَبْعَثُ مَنْ هُوَ سَفِيهٌ بِرِسَالَةٍ؛ الثَّالِثَةُ أَنَّهُ نَصْرَانِي عَدُوٌّ فِي الدِّينِ
وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ النَّصَارَى تَعْظِيمُ الْمُسْلِمِينَ؛ وَإِذَا شَهِدَ لَكَ عَدُوُّكَ بِمَا
تُحِبُّ فَيَقْضِي لَكَ بِالْغَلَبِ؛ وَإِذَا قُلْنَا هَذَا زَادَ كَثِيرًا؛ فَنَأْخُذُ الْعَشْرَ مِمَّا
قَالَ وَيَبْقَى مِنَ الْحِسَابِ أَلْفُ جَزِيرَةٍ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ بِسُلْطَانٍ مُسْلِمٍ.

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ النَّصَارَى أَنَّ جُزُرَ الْهُنُودِ الْمَشْرِقِيَّةِ هِيَ
أَكْثَرُ مِنَ أَلْفٍ وَثَلَاثَ مِائَةِ جَزِيرَةٍ.

وَقَدْ طَالَعْتُ كِتَابًا عَجْمِيًّا لِبَذْرِ طَشَايِرَ - نَصْرَانِي؛ وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ
رَكِبَ الْبَحْرَ بِيَلَادِ بَرْتُقَالٍ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَمَشَى إِلَى الْهُنُودِ
الْمَغْرِبِيَّةِ ثُمَّ مَشَى فِي بِلَادِهَا إِلَى أَنْ قَطَعَهَا بَرًّا، ثُمَّ رَكِبَ الْبَحْرَ
الْمُحِيطَ وَمَشَى فِيهِ مَغْرِبًا زَمَنًا فِي الْبَحْرِ بَيْنَ الْجُزُرِ الْمَغْرِبِيَّةِ إِلَى
أَنْ خَرَجَ بِقُرْبِ بَغْدَادِ (٧٧ ب) وَجَاءَ فِي الْبَرِّ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ
إِلَى بَحْرِ الرُّومِ - أَظُنُّ أَنَّهُ ذَكَرَ إِلَى حَلَبٍ - وَرَكِبَ فِي الْبَحْرِ
وَمَشَى إِلَى بِلَادِ النَّصَارَى؛ وَكَمَلَ سَفَرَهُ بَرًّا وَبَحْرًا إِلَى أَنْ دَارَ
بِالدُّنْيَا دَائِرَةً كَامِلَةً؛ وَكَانَ رَجُلًا حَكِيمًا، وَكُتِبَ مَا رَأَى. وَمِنْ جُمْلَةِ
مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ فِي جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ جُزُرِ الْمَشْرِقِ؛ دَخَلَ
الْإِسْلَامَ فِيهَا قَبْلَ هَذَا الْعَهْدِ بِنَحْوِ الْمِائَةِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً؛ وَالْجَزِيرَةُ

تُسَمَّى بِجَاوِشٍ وَصَارُوا مُسْلِمِينَ؛ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ بَنِي
أَدَمَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَمَنَا وَأَشْرَحَنَا بِعَمَارَةِ أَكْثَرِ الدُّنْيَا أَنَهَا
لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمُ الَّذِينَ لَا يَتَبَدَّلُ مُلْكُهُمْ إِلَى تَمَامِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ هَذَا
مِنَ الْعَجَبِ فِي أَخْذِ تِلْكَ الْجُزْءِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَيْدِ الْكُفَّارِ؛ لَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ
مَامُورُونَ بِالْجِهَادِ لِلْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: «جَامِدُ الْكُفَّارِ
وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ»، فَالْمُسْلِمُونَ مُنْصَرُونَ مِنَ اللَّهِ بِالْجِهَادِ لِلْكَفَّارِ
وَبِتَرْكِهِ يَتَّبِعُهُمُ اللَّهُ فِيمَا يَبْتَغِيهِمْ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
: «مَا تَوَاطَأَتْ قَوْمٌ عَلَى تَرْكِ الْجِهَادِ (١٧٨) إِلَّا ابْتَلاَهُمُ اللَّهُ فِيمَا
يَبْتَغِيهِمْ». وَقَدْ شَاهَدْنَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَبَقِيَ وَاضِحٌ أَنَّ الْحَجَرَ الَّذِي كَسَرَ الصَّنَمَ وَعَظُمَ حَتَّى عَمَرَ الدُّنْيَا
كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَهْلُ دِينِهِ وَلَمْ يَكُنْ
سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَا النَّصَارَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
عَلَى دِينِهِ.

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ سَلَاطِينِ النَّصَارَى يَرْتَعِدُ وَيَخَافُ مِنْ سَلَاطِينِ
الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَهُمْ السَّلَاطِينُ
الْقُضَلَاءُ الْعُظَمَاءُ الْعُثْمَانِيُّونَ التُّرْكِيُّونَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا ذِكْرُ مَا رَأَيْتُ
وَفَهِمْتُ مِنَ النَّصَارَى فِي بِلَادِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ الْعَظِيمِ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ
مِنْهُمْ؛ وَرَأَوْا مُلُوكَ النَّصَارَى أَنَّهُ يُلِيقُ بِهِمْ صُحْبَتَهُمْ عَلَى وَجْهِ اللَّيْنِ
وَاللُّطْفِ. حَتَّى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَبْعَثُ رَسُولَهُ لِيَتَعَدَّ عَلَى الدَّوَامِ
وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى يَطْلُبُ مِنْهُمْ الصَّلَاحَ وَالرِّضَى
عَنْهُمْ؛ وَهُمْ - نَصَرَهُمُ اللَّهُ وَخَلَدَ مُلْكَهُمْ وَجَعَلَ النَّصَارَى وَالْكَفَّارَ

الْأَعْدَا تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ - لَا يَبْعَثُونَ رَسُولًا لِكَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْقُعُودِ فِي بِلَادِهِمْ، وَصَحَّ (٧٨ ب) أَنَّ سُلْطَانَ إِسْبَانِيَّة - وَهِيَ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ - أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ رَسُولًا لِلْقُعُودِ مِثْلَ سَائِرِ مُلُوكِ النَّصَارَى وَلَمْ يَقْبَلُوهُ؛ لَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْ عِدَاوَتِهِ لِلْإِسْلَامِ وَغَدَرِهِ فِيمَا مَضَى مِمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ مَعَ سُلْطَانَ الْهِنُودِ الْمَغْرِبِيَّةِ بِمَدِينَةِ مِشِق^١ الْمُسَمَّى مُتَشَمِّهِ؛ إِذْ مَشُوا إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ وَقَتَلُوهُ. وَالْعُيُودُ الَّذِي عَاهَدَ الْمُسْلِمِينَ الْأَنْدَلُسِ حِينَ أَخَذَ بِلَادَهُمْ ثُمَّ نَكَلَهَا. وَأَنْ حِينَ أَمَرَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ بِالْخُرُوجِ مِنْ بِلَادِهِ؛ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَقَلِّ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ عَنْهُمْ فِي أَخْذِ مَدِينَةِ مِلَانَ. وَلَمْ يَكُنْ لِسُلَاطِينَ الْمُسْلِمِينَ أَعْدَا وَلَا أَضْرَ مِنْ سُلَاطِينَ إِسْبَانِيَّة. وَيَضُرُّونَ سُلَاطِينَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَذَلِكَ بِمَا لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ بِالْمَالِ. نَسْتَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِبَرَكَاتِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ - أَنْ يَنْصُرَ سُلَاطِينَ الْمُسْلِمِينَ^٢ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ نَصْرًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْجَنَشِيشِ مِنْ كُتُبِ التَّوْرِيَّةِ (١٧٩) فِي الْبَابِ الْسَّادِسِ عَشَرَ؛ قَالَ: "وَكَلَّمَ الْمَلِكُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِهَاجَرَ فِي الْبَرِيَّةِ بِقُرْبِ عَيْنِ مَاءٍ؛ قَرِيبًا مِنْ عَيْنِ طَرِيقِ الْقِبْلَةِ، وَقَالَ لَهَا: يَا هَاجَرَ مِنْ أَيْنَ جِئْتِ وَأَيْنَ تَمْشِي؟ قَالَتْ: هَرَبْتُ مِنْ شَرِّ سَيِّدَتِي. قَالَ لَهَا الْمَلِكُ: أَرْجِعِي إِلَى سَيِّدَتِكَ وَأَخْضَعِي إِلَيْهَا؛ وَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: تَكُونِ

^١ يريد: المكسيك.

^٢ هنا ينتهي السقط.

زَرَّيْعَتِكَ حَتَّى لَا يُحْصَى عَدَدُهَا مِنْ كَثَرَتِهَا؛ وَقَالَ لَهَا: أَنْتِ حَمَلَتْ
وَتَلِدُ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ^١ إِسْمَاعِيلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَمِعَ حَزَنَكَ؛ وَيَكُونُ رَجُلًا
قَوِيًّا؛ يَدُهُ عَكْسُ الْكُلِّ وَأَيْدِي الْجَمِيعِ عَكْسَةٌ. وَيَسْكُنُ قُدَّامَ جَمِيعِ
إِخْوَانِهِ".

وَوَلَدَتْ هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ^٢ وَسَمَّى ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ.
وَلَمَّا بَلَغَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ مِائَةَ سَنَةٍ وَلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ^٣ مِنْ سَارَةَ. وَقَالَ فِي
الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ فِي الْبَابِ الْوَاحِدِ وَالْعِشْرِينَ: "وَقَامَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ
مِنَ الصُّبْحِ وَأَخَذَ خُبْرًا وَجَلَدَ مَاءً وَأَعْطَاهُ إِلَى هَاجَرَ وَوَضَعَ الْطِفْلَ
ابْنَهُ عَلَى كَتِفِهَا وَبَعَثَهَا وَمَشَتْ وَتَلَفَّتْ فِي فَحْصِ بَرَشْبَاوَقَرَّغَ لَهَا
الْمَاءُ مِنَ الْجَلْدِ وَتَرَكَّتْ (٧٩ ب) الْطِفْلَ؛ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَذَهَبَتْ؛
وَجَلَسَتْ قِبَالَتَهُ عَلَى بُعْدِ رَمِي قَوْسٍ؛ وَهِيَ تَقُولُ: مَا نَرَى إِلَّا الْطِفْلَ.
يَمُوتُ". وَجَلَسَتْ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ^٤؛ وَسَمِعَ اللَّهُ صَوْتَ الْطِفْلِ
وَقَالَ مَلَكُ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ: مَالِكِ يَا هَاجَرَ؟ لَا تَخَافِي إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ
صَوْتَ الْطِفْلِ مِنْ حَيْثُ هُوَ؛ فَقُمْ وَارْفَعِي ابْنَكَ؛ وَخُذْهُ^٥ مِنْ يَدِهِ لِأَنَّهُ فِي

^١ س: وسميه.

^٢ س: عليه السلام.

^٣ س: عليه السلام.

^٤ كتب الحجري "الولد" فوق كلمة "الطفل".

^٥ كتب الحجري أيضاً كلمة "الولد" فوق كلمة "الطفل".

^٦ س: بالبكاء.

^٧ س: فلا.

^٨ س: فقمي وارفعي ابنك وخذي.

كَبِيرٍ قَوْمٍ يَكُونُ^١. حِينَئِذٍ فَتَحَ اللَّهُ عَيْنَيْهَا وَأَبْصَرَتْ عَيْنَ مَاءٍ وَعَمَرَتْ
الْجُلْدَ مِنَ الْمَاءِ وَأَعْطَتْ الْوَلَدَ يَشْرُبُ؛ وَأَصْلَحَ اللَّهُ الْوَلَدَ؛ وَكَبَرَ فِي
الْخَلَاءِ؛ وَكَانَ رَامِيًا بِالْقَوْسِ".

وَقَالَ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ فِي بَابِ خَمْسَ وَعَشْرِينَ: "وَهَذِهِ أَسْمَاءُ
أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: أَوَّلُ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ كَانَ: نَبِيُّو
فَتَحَ وَأَسْدَرَ وَأَذَبَ وَالْإِمْبِشَمَ وَمَشَ وَمَيْدُ مَشْمَشًا أَدَّ اتَهُمَا أَجْتَهَرَ
وَنَافِشَ وَوَسَدَمًا. فَهِيَ أَسْمَاءُهُمْ؛ فَكَانُوا فِي بِلَادِهِمْ وَدِيَارِهِمْ اثْنَا
عَشَرَ: جَمِيعُ الْإِخْوَانِ وَكُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ قَبِيلَةً وَبَلَدًا^٢ (١٨٠) وَخَذَهُ"،
انْتَهَى.

وَذَكَرَ فِي التَّوْرَةِ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي لِلْمُلُوكِ فِي الْبَابِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ: "أَنَّ السُّلْطَانَ يُشَيِّسُ كَانَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ؛ بَقِيَ بِهِ سُلْطَانًا
أَخَذَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشَرَ بَعَثَ السُّلْطَانُ لِشَافِنَ
بَنَ أَرْزَلِيَّةَ - مِنَ الْكِتَابِ - لِلْبَيْتِ الْمَقْدَسِ لِيَبْنُوا وَيَصْلَحُوا مَا فَسَدَ
فِيهَا. وَقَالَ الْحَبْرُ حَلَكُهُ لِشَافِنَ^٣: وَجَدْتُ كِتَابَ الدِّينِ فِي بَيْتِ اللَّهِ
وَهُوَ هَذَا أَعْطَاهُ؛ لِلْسُّلْطَانِ. فَقَالَ: حَلَكُهُ الْحَبْرُ أَعْطَانِي هَذَا الْكِتَابَ.
وَقَرَأَهُ السُّلْطَانُ؛ وَلَمَّا سَمِعَهُ قَطَعَ اللَّبَاسَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِكَسْرِ
الْأَصْنَامِ. وَأَمَرَ جَمِيعَ النَّاسِ أَنْ يَعْمَلُوا عِيدًا. وَلَمْ يَعْمَلْ مِثْلَهُ فِي
زَمَنٍ السُّلَاطِينِ إِلَّا فِي زَمَنِ الْحُكَّامِ حِينَ كَانُوا فِي الْتِيَّةِ".

^١ س: لأن نجعله في كبير قوم.

^٢ س: بلدًا.

^٣ س: لشافن الكاتب.

^٤ س: فأعطاه السلطان.

^٥ س: زمان.

وَيُظْهِرُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوْرِيَّةَ لَيْسَ كَانَتْ عِنْدَ النَّاسِ فِي تِلْكَ
الْأَزْمِنَةِ؛ وَكَيْفَ يُثَبِّتُونَ أَنَّ هَذَا هِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَنِ سَيِّدِنَا
مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ أَنَّ الْقُرَّاءَانَ الْعَزِيزِ
كَانَ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مَوْجُودًا؛ وَكَانَ عِنْدَنَا^١ بِبِلَادِ
(٨٠ ب) الْإِنْدُلُسِ مَعَ الْحُكْمِ الْقَوِي وَالْحِرْصِ الشَّدِيدِ مِنَ الْكُفَّارِ عَلَى
مَنْ يَظْهَرُ عِنْدَهُ يَقْتُلُونَهُ وَيَأْخُذُونَ مَالَهُ^٢ وَيَحْرِقُونَهُ. وَمَضَتْ أَكْثَرُ
مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ حِينَ مَنَعُوهُ وَهُوَ مَوْجُودٌ. وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ؛
قَوْلُهُ تَعَالَى: "خُنِ نَزْلُ الْقُرْآنِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"^٣. وَتَقَدَّمَ لَنَا^٤ أَنَّ فِي الْكِتَابِ
الْمُسَمَّى بِلَيْتِقٍ مِنْ كُتُبِ التَّوْرِيَّةِ فِي الْبَابِ الْعَاشِرِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ،
قَالَ: "كَلَّمَ اللَّهُ هَارُونَ قَائِلًا: أَنْتَ وَأَوْلَادُكَ مَعَكُمْ لَا تَشْرَبُوا خَمْرًا
وَلَا مُسْكِرًا إِذَا أَرَدْتُمْ الدُّخُولَ فِي الْجَامِعِ وَمَا تَمُوتُونَ؛ هَذَا أَمْرٌ إِلَى
الْأَبَدِ لِكُلِّ مَنْ يَتَنَسَّلَ مِنْكُمْ. هَذَا لِيَتَفَرَّقُوا وَتُمَيِّزُوا بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ
وَبَيْنَ الطَّاهِرِ وَالنَّجِسِ وَلِتَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَبَيَّنَ لَهُمْ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ
بِهِ عَلَى يَدَيِ مُوسَى".

فَانْظُرْ هَذَا الْقَوْلَ الصَّرِيحَ عَلَى الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ أَنَّهُ نَجِسٌ وَأَنَّهُ
مُفْسِدٌ، وَجَمِيعُ الْيَهُودِ يَشْرَبُونَهُ. وَانْظُرْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمَلِكِ الَّذِي
جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ لَهُ: أَنَّ
اللَّهَ قَبْلَ دُعَاكَ وَأَمْرَاتِكَ الْيَاصِبَاتِ (١٨١) تَلِدُ ابْنًا يُدْعَى بِاسْمِهِ

^١ س: يتبت .

^٢ ناقصة في س .

^٣ "ويأخذون ماله" ، ناقصة في س .

^٤ الصراب: "نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون".

^٥ "لنا" ، ناقصة في س .

يُوحَنَّا - وَعِنْدَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ اسْمُهُ يَحْيَى^١ - وَيَكُونُ لَهُ فَرَحٌ عَظِيمٌ وَتَهْلِيلٌ؛ وَكَثِيرٌ يَفْرَحُونَ بِمَوْلَدِهِ؛ وَيَكُونُ^٢ عَظِيمًا قُدَّامَ الرَّبِّ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا مُسْكِرًا^٣، وَهَذَا فِي الْإِنْجِيلِ.

فَالْيَهُودُ^٤ تَتَعَامَى عَلَى مَا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْمَنَعِ وَالتَّنْبِيهِ
إِنَّهُ نَجِسٌ؛ وَيَحْلُلُونَهُ لِنَفْسِهِمُ النَّجِسَةَ. وَالنَّصَارَى تَقْرَأُ هَذَا النَّصَّ فِي
التَّوْرَةِ وَتَقْرَأُ أَيْضًا مَا فِي^٥ الْإِنْجِيلِ مِنْ قَوْلِ الْمَلِكِ عَنْ يَحْيَى -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّهُ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا مُسْكِرًا. وَتَعْتَقِدُ الْحَلِيَّةَ
وَالطَّهَارَةَ فِي الْخَمْرِ؛ حَتَّى لَا تَجُوزَ الصَّلَاةُ عِنْدَهُمْ إِلَّا بِهِ. فَاشْكُرْ
اللَّهَ أَيُّهَا الْآخُ الْحَبِيبُ عَلَى مَا وَجَدْتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ التَّنْبِيهِ
عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ خَيْرُ الْأَدْيَانِ.

وَالْتَقَيْتُ بِمُسْتَرْضَمٍ بِفَلَنْضِسٍ بِحَبْرٍ مُفْتِي الْيَهُودِ؛ مَشَى إِلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِ
الْمَشْرِقِ. وَقَالَ لِي: - فِي إِثْنَاءِ الْكَلَامِ عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - أَنَّهُ عَمَلٌ ذَنْبًا عَظِيمًا^٦.

قُلْتُ لَهُ: الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمْ (٨١ ب) السَّلَامُ - مُنْزَهُونَ عَنِ الذُّنُوبِ؛
وَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ هَذَا الْكَلَامَ؟

١ س: تلد ابنا لك يدعى يحيى ويكون لك فرح كثير عظيم وتهليل.

٢ أعاد الحنجري كتابة "لك فرح عظيم وتهليل وكنت" هنا وشطب عليها.

٣ س: فأما اليهود.

٤ س: نجس ومفسد.

٥ س: تقرأ أيضا في الإنجيل.

٦ س: جاء إليهم.

٧ س: كبيرا.

قَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّهُ كَانَ يُوَبِّخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ وَيَقُولُ فِيهِمْ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ قَاسِحُونَ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ اللَّهِ، وَلَا عِلَّتْ دَرَجَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِسَبَبِهِمْ.

وَهَذَا بُرْهَانٌ فِي مَا^١ قُلْنَا: أَنَّ فِيهِمْ الْكِبْرَ، حَتَّى أَنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ لِي هُنَاكَ يَهُودِيٌّ آخَرُ: أَنَّ دِينَ^٢ الْإِسْلَامِ يَتِمُّ فِيمَا هُوَ قَرِيبٌ.

قُلْتُ لَهُ: مَنْ قَالَ هَذَا؟

قَالَ: التَّوْرِيَّةُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَأْتِي بِدَعْوَةٍ بَاطِلَةٍ لَمْ تَبْلُغْ وَلَا تَدُومُ أَلْفَ سَنَةٍ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ دَعْوَةَ نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَازَتْ أَلْفَ سَنَةٍ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً!

فَلَمَّا أَنْ سَمِعَ ذَلِكَ نَزَلَ عَلَيْهِ الذُّلُّ وَالْخِزْيُ وَالتَّغْيِيرُ وَخَابَ ظَنُّهُ فِيمَا كَانَ يَرْجُوهُ^٣.

وَقَدْ وَصَّى عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْلَامِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ الْمُسَمَّى: بِالسَّيْفِ الْمَحْدُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ - لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَحَفَّظُوا مِنْ أَطْعَمَةِ الْيَهُودِ بِمَا عَلِمَ مِنْ غُشِّهِمْ.

^١ س: لما قلنا.

^٢ س: قلت .

^٣ س: آخر ودين الإسلام.

^٤ س: باطلة لا تبلغ الف سنة.

^٥ س: الف .

^٦ س: يرجوه وينتظر .

أَيْضاً فِي كِتَابِ نَسَبِ اسْمِ مُؤَلِّفِهِ مِنْ كُتُبِ (١٨٢) الْمُسْلِمِينَ طَلَبَ مِنِّي وَاحِدٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْإِنْدُلُسِ أَنْ أَرْجِمَهُ لَهُ بِالْعَجْمِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِي بِسَلَا بِالْمَغْرِبِ، وَذَكَرَ فِيهِ مِنْ غُشِّ الْيَهُودِ شَيْئاً كَثِيراً؛ وَحِكَايَاتٍ مِمَّا وَقَعَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ تَرَكَّتْهَا لِلتَّطْوِيلِ، وَنَذَكَّرُ^١ مَا ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِمِصْرَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ يَعْرِفُهُ^٢.

قَالَ: أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي إِلَى حَوْمَةِ دِيَارِ الْيَهُودِ لِدَارِ حَبْرِ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَائِهِمْ^٣ يَقْرَأُ عَلَيْهِ عِلْمَ الْمَنْطِقِ، لِأَنَّهُ كَانَ بَالِغاً فِيهِ. وَمَشَى يَوْمَاً كَمَا كَانَتْ مِنْ عَادَتِهِ؛ فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ خَرَجَ إِلَيْهِ الْيَهُودِي وَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارِهِ بِسُرْعَةٍ وَسَدَّ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ. وَمَشَى الْعَالِمُ مُتَعَجِّباً وَمُتَغَيِّراً^٤ مِمَّا وَقَعَ لَهُ. ثُمَّ لَقِيَهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَهُودِي؛ وَقَالَ لَهُ فِي سِرٍّ: لَا تَأْخُذْ عَلَيَّ فِيمَا عَمِلْتُ مَعَكَ؛ لِأَنَّنَا عِنْدَنَا فِي دِينِنَا إِنْ الْيَهُودِي الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِهِ^٥ وَلَا يَقْتُلُهُ فَهُوَ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِ الْيَهُودِ، وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي جِئْتَ إِلَى دَارِي

١ س: ونذكر هنا .

٢ س: يعرفه هو .

٣ س: اكابر العلماء اليهود .

٤ س: كانت عادته .

٥ س: فلما ان دخل من الباب .

٦ لم ترد اللفظة في س .

٧ س: على دينه من غير أن يلحقه ضرر من الحكام ولا يقتله .

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الدَّارِ^١ وَكُنْتُ قَادِرٌ عَلَى قَتْلِكَ لَوْ دَخَلْتَ عِنْدِي
وَأَسْرَعْتُ (٨٢ ب) بِرَدِّكَ لِنَلَّا نَقْتُلَكَ أَوْ نَرْتُدُّ^٢.

فَانْظُرْ وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا تَأْمَنْهُمْ فِي شَيْءٍ؛ لَا سِيَّمَا أَنْ
تُنَادِي طَبِيبًا مِنْهُمْ يُعَالِجُكَ؛ أَوْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ دَوَاءً لِأَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَيْهِ^٣ قَتْلُ
الْعَلِيلِ وَلَا يَلْزِمُهُ شَيْءٌ^٤. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَضُرُّ
بِالْإِنْسَانِ، أَنْتَهَى الْكَلَامَ عَلَى الْيَهُودِ^٥؛

وَأَمَّا الْحَوَايِجُ الَّتِي كَانَتْ مَطْرُوحَةً بِبِرْضِيُوشِ الَّتِي نَهَبَ الرَّائِسُ
لَاهْلِ الْحَجَرِ الْأَخْمَرِ؛ فَاتَّصَلْتُ بِهَا بَعْدَ أَنْ جَازَ عَلَيْنَا نَحْوُ الْعَامِ
وَنِصْفِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ كُلَّ مَنْ وَكَلَّنِي مِنْ جَمِيعِ الْإِنْدَلِيسِ وَصَلَ إِلَيْهِ
شَيْءٌ مِنَ الدَّرَاهِمِز.

وَلَمَّا تَقَضَّيْنَا مِنْ أُمُورِنَا بِبِرْضِيُوشِ وَلَيْنَا إِلَى بَرِّيشِ، بَلَدِ
السُّلْطَانِ، وَالتَّقَيْتُ هُنَاكَ بِأَكْبَرِ الْمُنَجِّمِينَ فِي الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَقَالَ
لِي: هَذَا الْعِلْمُ لَمْ نَرْ لَهُ نَتِيجَةً أَبَدًا فِي الْأَحْكَامِ، وَقَدْ جَرَّبْتُ كَثِيرًا مِنْ
الْإِخْتِيَارَاتِ، وَلَمْ يَصْدَقْ فِيهَا وَاحِدٌ؛ وَلَمْ نَتْرِكْ شَيْئًا مِنَ التَّحْقِيقِ فِي
النُّصَبَاتِ وَأَخَذَ الْارْتِفَاعَ لِلْبُرُوجِ فِي الطَّالِعِ مِمَّا قَالَ الْمُؤَلَّفُونَ
لِلْكِتَابِ؛ وَعِنْدِي أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ تَأْلِيفٍ فِي الْفَنِّ، وَنَفَهُمْ مَا فِيهَا. وَلَمَّا

^١ س: داري لم يكن فيها أحد وكنت .

^٢ س: لئلا نرتد او نقتبك .

^٣ س: عليهم .

^٤ زيادة تظهر في نسخة باريس هي: "ولما تحققت ببلد فرنجة وفرنسس من الكبر الذي في اليهود
قلت: اذا وليت الى بلد المسلمين ونرى مسلما يضرب يهوديا فلا نغيثه ابد .

^٥ س: ارتفاع البرج .

قُتِلَ السُّلْطَانُ بِيرِيشْ أَبُو لُوشْ^١ الَّذِي هُوَ (١٨٣) الْآنَ سُلْطَانٌ؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي: الشَّمْسُ الَّتِي يُنْسَبُ الْحُكْمُ إِلَيْهَا عَلَى السَّلَاطِينِ^٢ تَكُونُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا مُتَّصِلَةٌ بِنَحْسٍ. وَلَمَّا نَضَرْتُ^٣ ذَلِكَ وَجَدْتُهَا مَعَ الزَّهْرَاءِ وَهِيَ سَعْدٌ وَلَا يَحْكُمُ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ إِلَّا بِسَعْدٍ إِذَا كَانَتْ الزَّهْرَةُ مُقْتَرِنَةً أَوْ مُتَّصِلَةً بِالشَّمْسِ؛ وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ وَالْأَقَاوِيلَ وَالْأَحْكَامَ فَلَا نَتِيجَةَ بَعْدَ الْعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَى أَقْوَالِهِمْ بَلْ نَجِدُ الْمَسْئَلَةَ بِالْعَكْسِ مِمَّا قَالُوا، أَنْتَهَى.

وَأَقُولُ: أَعْلَمْتُ إِنِّي كُنْتُ قَرَأْتُ شَيْئاً فِي عِلْمِ الْأَحْكَامِ عَلَى الْفَقِيهِ أَحْمَدَ الْمُصِيبِ الْفَاسِي الْأَنْدَلُسِيِّ نَسَباً، وَكَانَ بِالْغَا فِي الْفَنِّ فِي عِلْمِ التَّنْجِيمِ وَالْخَاطِ الرِّمْلِيِّ وَعِلْمِ الْجَدُولِ الْعَدْدِيِّ وَالْحَرْفِيِّ. وَكَانَتْ لَهُ مِنْ الْكُتُبِ فِي تِلْكَ الْفُنُونِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، لَأَنَّ السُّلْطَانَ مَوْلَايَ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ظَهَرَ لِي^٤ أَنَّهُ - كَانَ يَمُدُّهُ بِالْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِ الَّتِي قَالُوا: نِهَآيَةُ كُتُبِهَا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ كِتَاباً^٥؛ وَقَالَ لِي الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِرَاراً^٦ إِذَا سَأَلَنِي السُّلْطَانُ شَيْئاً فِي الْأُمُورِ الْمُغَيَّبَاتِ نَتْرُكُ الْكِتَابَ كُلَّهَا وَنَعْمَلُ جَدُولاً مُحْصِئاً وَنَعْمَرُهُ (٨٣ ب) بِخَمْسَةِ

١ س: يُلُوشْ.

٢ س: السلطان.

٣ س: ونظرت.

٤ س: والخط.

٥ س: والحروفي.

٦ س: اظن انه كان عمده.

٧ س: كتاب.

٨ اللفظة لم ترد في س.

أَسْمَاءٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ: الْهَادِي، الْخَبِيرُ، الْأَمِينُ، عَلَامُ
الْغُيُوبِ، بِالتَّدَاخُلِ فِي الصَّنْعَةِ بِحَيْثُ يُقْرَأُ طَوْلًا وَعَرْضًا وَقُطْرًا
عَلَى هَذَا النَّعْتِ:

الْهَادِي	لِخَبِيرِ	الْأَمِينِ	عَلَامِ	الْغُيُوبِ
عَلَامِ	الْغُيُوبِ	الْهَادِي	لِخَبِيرِ	الْأَمِينِ
لِخَبِيرِ	الْأَمِينِ	عَلَامِ	الْغُيُوبِ	الْهَادِي
الْغُيُوبِ	الْهَادِي	لِخَبِيرِ	الْأَمِينِ	عَلَامِ
الْأَمِينِ	عَلَامِ	الْغُيُوبِ	الْهَادِي	لِخَبِيرِ

ثُمَّ نَقَرْنَا مَا تَنْقُطُ جَمِيعُ الْحُرُوفِ بِالْجَزْمِ الْكَبِيرِ^١ وَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ
الْقِرَاءَةِ فِي اللَّيْلِ قَبْلَ النَّوْمِ؛ فَنَضَعُ الْجَدُولَ تَحْتَ رَأْسِي، وَيَأْتِينِي فِي
النَّوْمِ مَنْ يَخْبِرُنِي بِالْجَوَابِ مِمَّا اضْمَرَّتُهُ فِي نَفْسِي نَذْكُرُ حَاجَتِي
جَهْرًا. قَالَ: أَنَّهُ يَصْدَقُ فِيمَا يُجَوِّبُ بِهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ
نَصَبَةً عَلَى الْمَسْئَلَةِ وَيُظْهِرُهَا لِيُظَنَّ أَنَّ الْجَوَابَ اسْتَخْرَجَهُ مِنْهَا.

وَقَدْ حَكَمَ عَلَى تَارِيخٍ وَلَادَتِي بِاشْتِبَالِ زَوْجٍ مِنْ أَكَابِرِ الْمُتَجَمِّينَ
بِأَنِّ عُمْرِي يَكُونُ مِنْ أَرْبَعِينَ إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً، وَوَجَدَ فِي مَرَاكُشْ

^١ زيادة في نسخة باريس هي: "واذا نقرا ما تنقط جميع الحروف في الليل قبل النوم فنضع الجدول تحت رأسي ويأتي في النوم من يخبرني بالجواب مما ذكرت وطلبت واضمرته في نفسي".

الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْمُصْتَوْبُ سَتَّ وَسِتِّينَ سَنَةً وَالْيَوْمُ بَلَغْتُ إِلَى أَرْبَعٍ
وَسَبْعِينَ سَنَةً قَمَرِيَّةً وَمَا زُلْنَا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ١ .
وَمِمَّا رَأَيْتُ (١٨٤) بِبَرِيشَ امْرَأَتَيْنِ تَرْكِيَّتَيْنِ: إِحْدَهُمَا عَجُوزَةٌ
وَالْأُخْرَى مِنْ نَحْوِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِالْإشْغَالِ الْعَجِيبَةِ ٢
لِلسُّلْطَانَةِ. وَكَانَتْ النِّسَاءُ جَمِيعاً تَتَعَجَّبْنَ مِنْ حُسْنِ شُغْلِهَا وَظَرْفِهَا فِي
الرَّقْمِ. وَكَانَتْ تَأْخُذُ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانَةِ كُلَّ يَوْمٍ رِيَالَةً كَبِيرَةً ٣ . وَسَأَلْتُهَا
عَنِ السَّبَبِ الَّذِي جَاءَ بِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ٤ إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ .
قَالَتْ: كُنَّا فِي الْبَحْرِ قَاصِدِينَ الْحَجِّ وَآخِذْنَا النَّصَارَى وَآتَوْا بِنَا إِلَى
الْبُنْدُوقِيَّةِ. وَكَتَبَ رَسُولُ سُلْطَانِ فَرَنْجَةِ وَأَعْلَمَ السُّلْطَانَةَ بِشُغْلِنَا؛ وَبَعَثَتْ
لَهُ أَنْ يُرْسِلَنَا إِلَيْهَا؛ ثُمَّ أَنَّ السُّلْطَانَةَ وَنِسَاءَ الْأَكَابِرِ دَعَوْهَا إِلَى دِينِهِمْ
وَدَخَلَتْ فِيهِ .

قُلْتُ لَهَا مَا أَلْهَمَنِي اللَّهُ فِي أُمُورِ الْإِدْيَانِ؛ وَإِنَّهُ لَا يَنْجُو الْآنَ أَحَدٌ
إِلَّا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ وَآتَيْتُ لَهَا بِبَرَاهِينٍ عَلَى ذَلِكَ. وَهِيَ كَانَتْ تَقْرَأُ
بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْعَجُوزُ كَذَلِكَ؛ قَالَتْ: أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الدَّارِ الْكَرِيمَةِ
لِلسُّلْطَانِ بِإِسْطَنْبُولٍ ٥؛ وَنَادَتْني يَوْمَئِذٍ؛ وَبَعْدَ الطَّعَامِ الْعَجِيبِ قَالَتْ
لِي: أَطْلُبُ مِنْكَ حَاجَةً لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْتُ لَهَا: أَذْكَرِي حَاجَتَكَ!

قَالَتْ لِي: تَدْبُرْ عَلَيَّ لِنَمْشِي إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ .

١ " وقد حكم رحمة الله تعالى " ، أضافها المحري في الحاشية ولم ترد في س .

٢ س: العجمية .

٣ س: جاء بها من بلدها على بلاد الفرنج .

٤ س: وقالت انها كانت تقرأ بالعربية

٥ س: بلسطنطينية .

قُلْتُ لَهَا (٨٤ ب) : وَتَسْمَحُ لَكَ السُّلْطَانَةُ فِي الْإِنْتِقَالِ؟

قَالَتْ : مَا تَسْمَحُ لِي أَبَدًا!

قُلْتُ لَهَا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُدَبِّرُ عَلَيْكُمَا حَتَّى تَرْجِعَا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،

حِينَئِذٍ وَدَعْتُهُمَا . وَسَيَّاتِي الْكَلَامُ فِي شَأْنِهِمَا .

فَمَشَيْتَا مِنْ بَرِيشَ إِلَى مَدِينَةِ رُوانَ؛ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى مَرَسَى الْبَرَكَةِ أَيْنَ

كَانَ نَزُولُنَا مِنَ الْبَحْرِ حِينَ جِئْنَا إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ، وَرَكَبْنَا الْبَحْرَ

وَمَشَيْتَا إِلَى فَلَنْضِيسَ، وَبَلَّغْنَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أَوْ أَكْثَرَ. وَكُنَّا فِي

مُرُورِنَا ذَاهِبِينَ إِلَى جِهَةِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ، وَبِلَادِ فَرَنْجَةَ عَنْ يَمِينِنَا

وَبِلَادِ الْإِنْجِلِزَ عَنْ يَسَارِنَا وَنَرَوْ الْبَرَّيْنِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ .

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي دُخْرِ بِلَادِ فُلَنْزِسْ

اعْلَمْ إِنَّا مَشِينَا وَقَصَدْنَا تِلْكَ الْبِلَادَ وَهِيَ أَبْعَدُ عَن بِلَادِنَا مِنْ بِلَادِ
الْفَرَنْجِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَسْتَعِيدُوا مِنْ غَيْرِهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ.
وَلَمَّا رَأَيْتُ وَتَحَقَّقْتُ مِنْ عَمَلِ الْفَرَنْجِ الْبَحْرِيَّةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: لَمْ
نُوَلِّ إِلَى بِلَادِنَا فِي سَفْنِهِمْ؛ بَلْ نَمْشِي إِلَى فُلَنْزِسْ لِأَنَّهُمْ لَا
يَضُرُّونَ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ يَحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ - كَمَا سَيَأْتِي.

وَلَمَّا أَنْ بَلَّغْنَا إِلَى مَدِينَةِ مُسْتَرْضَامْ؛ رَأَيْتُ الْعَجَبَ (١٨٥) فِي
حُسْنِ بُنْيَانِهَا وَنَفَائِهَا وَكَثْرَةِ مَخْلُوقَاتِهَا؛ كَادَ أَنْ تَكُونَ فِي الْعِمَارَةِ مِثْلُ
مَدِينَةِ بَرِيشْ بِفَرَنْجَةٍ. وَلَمْ تَكُنْ فِي الدُّنْيَا مَدِينَةً بِكَثْرَةِ السُّفُنِ مِثْلَهَا.
قِيلَ: إِنَّ فِي جَمِيعِ سَفْنِهَا؛ صِغَارًا وَكِبَارًا؛ سِتَّةَ أَلْفِ سَفِينَةٍ. وَأَمَّا
الدِّيَارُ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مَرْسُومَةٌ وَمَزُوقَةٌ مِنْ أَغْلَاهَا إِلَى اسْتِقْلَاهَا بِأَلْوَانِ
الْعَجِيبَةِ؛ وَلَنْ تُشْبِهَ وَاحِدَةً أُخْرَى فِي صُنْعِ رَقْمِهَا؛ وَالْأَزَقَةُ كُلُّهَا
بِالْأَخْجَارِ الْمُنْبَتَّةِ. وَالتَّقِيْتُ بِمَنْ رَأَى بِلَادَ الْمَشْرِقِ وَبِلَادَ الْإِسْقَالِيَّةِ
وَرُومَةَ وَغَيْرُهَا مِنْ بِلَادِ الدُّنْيَا وَقَالَ لِي: أَنَّهُ مَا رَأَى مِثْلَهَا فِي الزَّيْنِ
وَالْمَلَاخَةِ.

وَأَعْلَمْ أَنَّ هَذَا فُلَنْزِسْ؛ هِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ جَزِيرَةً، وَجَمِيعُهَا كَانَتْ
لِسُلْطَانِ بِلَادِ الْإِنْدُلُسْ. وَبَعْدَ أَنْ ظَهَرَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ رَجُلٌ عَالِمٌ

١ س : يستفيد .

٢ س : بلدنا .

عِنْدَهُمْ يُسَمَّى بِلَطْرِي وَعَالِمٌ آخَرُ يُسَمَّى بِقَلْبِنَ ، وَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا ظَهَرَ لَهُ فِي دِينِ النَّصَارَى عَنِ التَّخْرِيفِ وَالْخُرُوجِ عَنِ دِينِ سَيِّدِنَا عِيسَى وَالْإِنْجِيلِ ، وَأَنَّ الْبَابَا بِرُومَةَ يَضِلُّونَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَبِمَا (٨٥ ب) يَزِيدُونَ فِي الدِّينِ بِمَنْعِ الْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانِ مِنَ التَّزْوِيجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَدَخَلَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ جَمِيعُ أَهْلِ فِلَنْسِيسْ - أَعْتَى الْجُزُرُ السَّبْعَةَ - وَقَامُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ إِلَى الْآنَ . وَهُمْ أَيْضًا عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ أَهْلُ سُلْطَنَةِ الْإِنْجِلِزْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ بِفَرَنْجَةِ وَحَذَرَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ مِنَ الْبَابَةِ وَمِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَأَنْ لَا يَنْغَضُوا الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ سَيَفُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . وَيَسَبِّبُ ذَلِكَ لَهُمْ مِثْلٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ . وَأَمَّا السَّبْعَةُ عَشْرَةُ جَزِيرَةٌ ، فَالْسَّبْعُ مِنْهَا قَامَةٌ^١ عَلَى سُلْطَانِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ قَبْلَ هَذَا الْعَهْدِ بَنَحُوا السَّبْعِينَ سَنَةً . وَمَا قَدَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْسَ مِنْهُمْ . وَهُمْ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ النَّصَارَى فِي الْبَحْرِ بِالسُّفُنِ . وَكُلُّ جَزِيرَةِ الْبَحْرِ دَائِرٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَهُوَ الْمُحِيطُ^٢ .

وَلَمَّا أَدْخَلْنَا مَدِينَةَ لَيْدَا^٣ رَأَيْنَا فِيهَا مَدَارِسَ لِقِرَاءَةِ الْعُلُومِ . وَوَجَدْتُ فِيهَا رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَيَقْرَأُ بِهَا غَيْرَهُ وَيَأْخُذُ رَأْيًا عَلَى ذَلِكَ ؛ وَكُنْتُ عَرَفْتُهُ (١٨٦) بِفَرَنْجَةِ ؛ وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِهِ . وَكَانَ يَتَكَلَّمُ مَعِيَ بِالْعَرَبِيَّةِ - يَعْرَبُ الْأَسْمَاءَ وَيُصَرِّفُ الْأَفْعَالَ - وَكَانَ لَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَتِهَا الْقُرْءَانُ الْعَزِيزُ . فَأَخَذْنَا فِي

^١ س: قامت .

^٢ س: وكل جزيرة من السبعة في البحر المحيط وهو دابر بها من كل جانب وهو ليس بمالح كثيرا .

^٣ س: فلما ان دخلنا مدينة ليدا والتقينا فيها رجلاً يقرأ بالعربية ويقرئ بها غيره .

الْكَلَامَ ؛ وَهُوَ يُنَبِّتُ قَوْلَهُ بِالتَّثْلِيثِ فِي الْإِلَوهِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي ذَلِكَ مَعَ الْبَابِ وَاتَّبَاعِهِمْ^١. وَكَانَ يَشْكُرُ وَيَمْدَحُ دِينَهُ كَثِيرًا بِالْمِدْحِ التَّامِّ لِسَيِّدِنَا عِيسَى .

قُلْتُ لَهُ: كُلُّمَا تَقُولُ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِدْحٍ؛ فَنَحْنُ مُتَّفِقُونَ مَعَكُمْ فِيهِ إِلَّا قَوْلَكَ أَنَّهُ إِلَهٌ؛ أَوْ ابْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً.

وَذَكَرَ أَيْضًا الرُّوحَ الْقُدُسَ . قُلْتُ لَهُ: الرُّوحُ الْقُدُسُ هُوَ الْبَارَقْلَيْطُ الْمَذْكُورُ فِي الْإِنْجِيلِ؟

قَالَ: نَعَمْ ! هُوَ،

قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ تَعْرِفُ الْأَلْسَنَ وَاللُّغَاتِ؛ مَا مَعْنَى الْبَارَقْلَيْطِ؟

قَالَ: هِيَ كَلِمَةٌ لَيْسَتْ مِنْ لُغَةِ اللَّطِينِ، إِنَّمَا هِيَ مِنْ لُغَةِ الْيُونَانِ؛ وَمَعْنَاهَا بِالْعَرَبِيَّةِ: شَفِيعٌ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا مِنْ أَسْمَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ وَهَذَا إِسْمٌ يَدُلُّ عَلَى إِسْمِ شَخْصٍ؟

قَالَ: نَعَمْ !

قُلْتُ: وَلِمَاذَا تَجْعَلُونَهُ إِلَّاهًا (٨٦ ب) وَتَقُولُونَ ثَلَاثَةً وَوَاحِدٌ مَعْنَى شَيْءٍ وَاحِدٌ ؟

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ حَكِيمٌ مَشْهُورٌ فِي الطَّبِّ وَالْعُلُومِ . قَالَ لِي : نَحْنُ عِنْدَنَا الْقُرَّاءُ مُتَرَجِّمٌ بِاللَّطِينِ وَلَيْسَ فِيهِ مُعْجَزَاتٌ لِنَبِيِّكُمْ كَمَا عِنْدَنَا فِي الْإِنْجِيلِ! وَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ كُتُبٌ فِي مُعْجَزَاتِ نَبِيِّكُمْ ؟

قُلْتُ: عِنْدَنَا! وَوَاحِدٌ مِنَ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ فِي ذَلِكَ لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ، وَذَكَرْتُ لَهُ شَيْئًا؛ وَأَنَّ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ؛ وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ

^١ س: مع الباب واهل مذهبه.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْمَلُهَا بِحَضْرَةِ أَقْوَامٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمَّا رَأَتْ النَّاسُ فَضْلَهُ
وَبَرَكَاتَهُ وَصِدْقَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَتَوْحِيدِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ يَقْرَأُ،
فَدَخَلَتْ النَّاسُ فِي دِينِهِ . وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْصُرُ الْحَقَّ حَتَّى أَظْهَرَ
دِينَهُ عَلَى الْآذْيَانِ . وَكَثُرَ مَعْمُورُ الدُّنْيَا عَلَى دِينِهِ .
قَالَ الْحَكِيمُ: وَاللَّهِ إِنَّا تَمَنَّيْتُ نَقْرَأَ هَذَا الْكِتَابَ! ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ
الْمُعْجَزَاتُ فِيهَا إِحْتِمَالَاتٌ، لِأَنَّ كَثِيرًا يَصْنَعُونَ مَسَائِلًا بِوَاسِطَةِ
الشَّيْطَانِ!

قُلْتُ: وَلَيْسَ فِي عِلْمِكُمْ بِمَا تَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ (١٨٧) النَّبَوِيَّةِ
الرَّبَّانِيَّةِ أَوْ الشَّيْطَانِيَّةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ أَوْ بِالشَّعْوَذَةِ ؟
قَالَ لِي: أَذْكَرُ لِي أَنْتَ كَيْفَ يُعْرِفُ ذَلِكَ ؟
قُلْتُ : أَمَّا النَّبِيُّ فَلَمْ يَعْمَلْ مُعْجِزَةً إِلَّا إِذَا طُلِبَتْ مِنْهُ وَغَالِيًا يُنْتَجُ مِنْهَا
نَفْعٌ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ. أَمَّا الْبَاطِنُ: حُصُولُ الْيَقِينِ فِي الْقُلُوبِ وَالصَّدَقِ
لِمَا ذَكَرَ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا رَهُمْ^٢ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ. وَأَمَّا
الظَّاهِرُ: يَكُونُ فِيهِ نَفْعٌ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ^٣. مِثَالُ ذَلِكَ أَنْ يَغِيثَ جَيْشًا مِنْ
مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ؛ تَعَالَى بِالْمَاءِ أَوْ بِالطَّعَامِ. وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمَاتُوا
جَمِيعًا؛ كَمَا وَقَعَ لِنَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِرَارًا، فَهَذَا نَفْعٌ
ظَاهِرٌ، أَوْ يَطْلُبُ الْمَطَرُ، أَوْ يَشْقِي مَرِيضًا. وَأَمَّا مَا يَكُونُ مُسْتَعْمَلًا^٤
مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ النَّفْعُ إِلَّا عَلَى خَاصَّةٍ نَفْسِهِ لَا لِغَيْرِهِ.

١ س: للناس .

٢ س: وأمرهم به .

٣ س: وأما الظاهر يكون النفع للناس .

٤ س: من خلق الله .

٥ س: مستعملًا .

وَأَمَّا بِالشَّعْوَذَةِ: فَإِنَّهُمْ يَصْتَعُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُمْ وَلَا يَخْصُلَ مِنْهَا نَفْعٌ حَقِيقِي أَبَدًا - لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا - وَهُمْ الَّذِينَ يَجْذِبُونَ النَّاسَ (٨٧ ب) لِيَرَوْا مَا يَعْمَلُونَهُ^١. وَإِذَا طَلَبَهُمْ أَحَدًا^٢ أَنْ يَصْنَعُوا شَيْئًا مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ غَيْرِ الَّذِي يَظْهَرُونَ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا. وَصَاحِبُ الشَّعْوَذَةِ يَعْمَلُ الْعَجَائِبَ لَعَلَّهُ بِذَلِكَ يُفْرِخُ النَّاضِرِينَ^٣ وَيَعْطُونَهُ شَيْئًا لِيَعِيشَ بِهِ. وَلَوْ قِيلَ لَهُ: عَلَّمْتَنِي هَذَا الَّذِي أَنْتَ تَعْمَلُهُ وَأَعْطَيْتَكَ دَرَاهِمَ فَيُعَلِّمُهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَهُ فِي الْعَمَلِ. حِينَئِذٍ قَالَ الْحَكِيمُ: صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ! هَذَا هُوَ الْحَقُّ. وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ هُنَالِكَ؛ اتَّوَنِي بِكِتَابِ عَرَبِي، قَالُوا: لِي: اتَّعَرَّفْ تُقْرَأُ هَذَا؟

فَلَمَّا طَالَعْتُهُ، كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي التَّصَوُّفِ؛ وَأَنْ بَعْضَ الصَّالِحِينَ لَمْ^٤ يَتَكَلَّمْ فِي الْجَامِعِ مَعَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ^٥، وَإِذَا أَحْتَاجَ أَنْ يَرُدَّ الْجَوَابَ يَخْرُجُ إِلَى بَابِ الْجَامِعِ، وَيَرُدُّهُ. قُلْتُ لَهُمْ: فَهَمْتُ مَا فِيهِ؛ وَأَقْدِرُ أَنْ أَرْجِمَهُ بِالْأَعْجَمِيَّةِ.

^١ س: يعملون .

^٢ س: احد للسحارين واهل الحيات ان يصنعوا .

^٣ س: يفرح الناس الناظرين .

^٤ لم ترد في س .

^٥ س: وقالوا .

^٦ س: فلما طالعه كان مكتوبا بالعربية يتكلم في التصوف .

^٧ س: كان لم .

^٨ س: الناس في امور الدنيا .

فَتَعَجَّبُوا فِيْمَا بَيَّنَّهُمْ، وَقَالُوا لِي: هَذَا الْكِتَابُ سَاقُوهُ مِنْ جَزِيرَةٍ كَذَا مِنْ
الْهُنُودِ الْمَشْرِقِيَّةِ الَّتِي بَيَّنَّا وَبَيَّنَّهَا فِي الْبَحْرِ زَمَنٌ طَوِيلٌ؛ أَقَلَّ مِنْ
سَنَةِ فِي الْبُلُوغِ إِلَيْهَا. وَهَذَا عَجَبٌ! لَأَنَّ بَيْنَ بِلَادِكَ وَبَيْنَهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ
وَأَنْتَ تَفْهَمُ مَا (١٨٨) فِي الْكِتَابِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لِسَانَ
وَاحِدٍ عَامٍّ فِي كُلِّ بَلَدٍ. وَكَلَامُنَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مُخْتَلِفٌ لِسَانِ
الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ فِي بِلَادِ الْإِنْجِلِزِ كَلَامٌ وَاحِدٌ؛ وَأَهْلُ فَرَنْجَةِ بَلُغَةَ أُخْرَى،
وَكَذَلِكَ بِلَادِ الْإِنْدُلُسِ عَجْمِيَّةٌ أُخْرَى، وَكَذَلِكَ فِي إِطَالِيَّةِ وَالْإِمَانِيَّةِ
وَمُشْقِيَّةِ^١. وَكُلُّ لِسَانٍ مُخْتَلَفٌ عَنْ غَيْرِهِ. وَهَذَا الْعَرَبِيَّةُ وَاحِدَةٌ فِي
الدُّنْيَا.

وَقَالُوا الْحَقَّ فِي ذَلِكَ فَهُوَ كَلَامٌ مُبَارَكٌ؛ وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَا لَا بُدَّ يَذْكُرُ
اللَّهَ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مِنَ الْإِنْدُلُسِ: لَا عَرَبِيَّةَ بِلَا اللَّهِ وَلَا
عَجْمِيَّةَ بِلَا شَيْطَانٍ؛ لِأَنَّ النَّصَارَى يَذْكُرُونَهُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ. وَلَا
يَكْرَهُ الْعَرَبِيَّةَ وَالْكَلَامَ بِهَا إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ فَضْلَهَا وَبَرَكَتَهَا^٢؛ أَنْتَهَى.
وَصَحَّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي آتَوْا بِهِ مِنَ الْجَزْرِ الْمَشْرِقِيَّةِ أَنَّهُمْ
سُكَّانُهَا مُسْلِمُونَ.

ثُمَّ مَشَيْنَا مِنْ مَدِينَةٍ لَيْذَا إِلَى مَدِينَةِ الْهَائِيَّةِ، فِيهَا دَارُ أَمِيرِهِمْ
وَالْدِيَّوَانِ، وَالتَّقِيْتُ هُنَالِكَ بِرَسُولِ الْأَمِيرِ، كُنْتُ عَرَفْتُهُ^٣ بِمَرَاكُشْ،
وَكَانَ شَاكِرًا لِي كَثِيرٌ؛ عَلَى مَا وَقَفْتُ مَعَهُ فِي سَجَّتِهِ حَتَّى خَلَصْتُهُ

^١ س: ومسقويه .

^٢ س: فضلها قالت الصالحة مريم عليها السلام في كتاب مواهب الثواب لعباد الله المؤمنين فضل
لسان العربية على ساير اللسان كنفضل الشمس على دراري السماء ثم مشينا الى الهايه .

^٣ س: اعرفه .

^٤ لم ترد في س .

مِنْهُ. وَسَبَبُ قُدُومِهِ إِلَى مَرَّاكُش^١؛ أَنَّ سُلْطَانَ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ بَعَثَ
الْأَغْرِبَةَ إِلَى الْجَزُرِ الَّتِي قُلْنَا أَنَّهَا عَلَى غَيْرِ (٨٨ ب) طَاعَتِهِ؛ فَخَرَجَ
إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَزُرِ وَأَخَذُوا الْأَغْرِبَةَ^٢؛ وَرَمَوْا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ
النَّصَارَى فِي الْبَحْرِ - كَذَا قِيلَ^٣ - وَفَكُّوا كُلَّ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ؛ وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةٍ؛ وَجَعَلُوهُمْ فِي سَفِينَةٍ عَظِيمَةٍ
وَبَعَثَهُمْ أَهْلَ فُلَنْزِيسَ هَدِيَّةً إِلَى سُلْطَانِ مَرَّاكُشَ - وَكَانَ ابْنُ مَوْلَايَ
أَحْمَدَ أَسْمُهُ بُو فَارِسَ وَكَانَ ذَلِكَ؛ فِي نَحْوِ أَرْبَعَةِ عَشْرَةِ سَنَةً وَآلَفُ.
وَمَشَى بِهِمْ رَسُولًا بَذَرُ مَرَّتَيْنِ الَّذِي التَّقَيْنْتُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ظَنٍّ
وَذَلِكَ بِالْهَائِيَةِ؛ وَهِيَ بِلَادُهُ. وَبَعْدَ أَنْ جَلَسَ هَذَا الرَّسُولُ بِمَرَّاكُشَ
سَنِينَ فِي زَمَنِ الْهَرَجِ وَالشَّرِّ، ثُمَّ ثَبَّتَ فِي الْمَمْلَكَةِ السُّلْطَانَ مَوْلَايَ
زَيْدَانَ، فَسَجَنَ^٤ هَذَا الرَّسُولَ لِأَنَّهُ مَا مَشَى بِالْهَدِيَّةِ فِي زَمَانِهِ؛ وَبَعْدَ
أَنْ جَازَ زَمَنَ عَلَى الرَّسُولِ فِي سِجْنِهِ، بَلَغَنِي الْخَبَرُ وَتَذَكَّرْتُ الْخَيْرَ
الَّذِي عَمِلُوا لِلْمُسْلِمِينَ حِينَ بَعَثُوهُمْ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكِهِمْ. وَوَقَفْتُ وَدَبَّرْتُ
وَكَلَّمْتُ الْمُفْتِيَّ الْعَالِمَ الشَّهِيرَ مُحَمَّدَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؛ وَكَلَّمَ السُّلْطَانَ
وَأَنْظَلَقَ مِنَ السَّجْنِ.

فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بِبِلَادِهِ مَشَى إِلَى الْأَمِيرِ وَأَعْلَمَهُ وَحَمَلَنِي إِلَى عِنْدِهِ،
وَأَسْمُ (١٨٩) الْأَمِيرِ مَوْرِسِي - وَأَقْبَلَ عَلَيَّ؛ وَعَرَّ رَأْسَهُ وَأَخَذَ بِيَدِي

١ س: الى بلد المسلمين .

٢ س: واخذوا خمسين من الأغرابة .

٣ س: قيل لي .

٤ لم ترد في س .

٥ لم ترد في س .

٦ س: فسجن .

وَأَجَلَسَنِي مَعَهُ؛ وَزُرْتُهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ . وَبَعْدَ أَنْ جَلَسْتُ يَوْمًا قَالَ لِي:

مَاذَا تَعْرِفُ مِنَ الْأَلْسَانِ؟

قُلْتُ لَهُ: الْعَرَبِيَّةَ وَلِسَانَ إِشْبَانِيَّةَ وَلِسَانَ أَهْلِ بُرْتُقَال؛ وَكَلَامَ الْفَرَنْجِ
نَفْهَمُهُ وَلَا كُنْ مَا نَعْرِفُ نَتَكَلَّمُ بِهِ.

قَالَ لِي: فَأَنَا نَعْرِفُ كَلَامَ الْفَرَنْجِ وَنَفْهَمُ كَلَامَ أَشْبَانِيَّةَ - وَهُوَ كَلَامُ
أَهْلِ بِلَادِ الْإِنْدُلُسِ كَمَا قُلْنَا مِرَارًا - وَلَا أَعْرِفُ أَتَكَلَّمُ بِهِ؛ وَإِلَى هَذَا
فَأَكَلَمُكَ بِالْفَرَنْجِ وَتُكَلِّمُنِي بِلِسَانِ أَهْلِ بِلَادِ الْإِنْدُلُسِ الْعَجَمِي .
قُلْتُ: نَعَمْ!

قَالَ لِي: مَا السَّبَبُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حَمَلُ سُلْطَانِ إِشْبَانِيَّةَ عَلَى إِخْرَاجِ
الْإِنْدُلُسِ مِنْ بِلَادِهِ؟

قُلْتُ: أَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْدُلُسَ كَانُوا مُسْلِمِينَ فِي خَفَاءٍ مِنَ النَّصَارَى، وَلَا كُنْ
تَارَةً يَظْهَرُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامُ؛ وَيَحْكُمُونَ فِيهِمْ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ مِنْهُمْ ذَلِكَ لَمْ
يَأْمَنْ فِيهِمْ؛ وَلَا كَانَ يَحْمَلُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَى الْخُرُوبِ وَهِيَ الَّتِي تَفْنِي
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . وَكَانَ أَيْضًا يَمْتَنِعُهُمْ مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِئَلَّا
يَهْرَبُوا إِلَى أَهْلِ مِلَّتِهِمْ . وَالْبَحْرُ يَفْنِي كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ . وَأَيْضًا فِي
النَّصَارَى كَثِيرُونَ (٨٩ ب) قَسِيسُونَ وَرُهَبَانٌ وَمُتْرَهِيَّاتٌ؛ وَبِتَرَكِهِمْ
الزَّوْاجُ يَنْقَطِعُ فِيهِمُ النَّسْلُ؛ وَفِي الْإِنْدُلُسِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ قَسِيسُونَ وَلَا
رُهَبَانٌ وَلَا مُتْرَهِيَّاتٌ إِلَّا جَمِيعُهُمْ يَتَزَوَّجُونَ وَيَزَادُ عِدْدُهُمْ بِالْوِلَادِ
وَبِتَرَكِ الْخُرُوبِ وَرُكُوبِ الْبَحْرِ . وَهَذَا الَّذِي ظَهَرَ لِي حَمَلُهُ عَلَى
إِخْرَاجِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ بِطُولِ الزَّمَنِ يَكْتَثِرُونَ .

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَتَفْهَمُ كَلَامِي؟

قَالَ لِي بِالْفَرَنْجِ: كُلَّمَا قُلْتُ فَهِمْتُهُ وَمَا ذَكَرْتَ هُوَ الْحَقُّ.
 قَالَ لِي: لَوْ اتَّفَقْنَا مَعَ كِبَرَاءِ الْإِنْدَلُسِ وَتَبَعْتُ لَهُمْ عِمَارَةً مِنْ سَفْنِ
 كَبِيرَةٍ لَيُرْكَبُوا فِيهَا مَعَ جُنُودِنَا نَأْخُذُ إِشْبَانِيَّةً؟
 قُلْتُ: لَا يُمْكِنُ لِلْإِنْدَلُسِ أَنْ يَتَّفَقُوا عَلَى هَذَا إِلَّا بِإِذْنِ السُّلَاطِينِ الَّذِينَ
 خَرَجُوا بِبِلَادِهِمْ وَسَكَنُوا بِهَا.
 قَالَ: لَوْ كُنَّا نَتَّفَقُ مَعَ سُلْطَانِ مَرَاكُشٍ وَتَبَعْتُ لِلْسَيِّدِ الْكَبِيرِ - أَعْنِي
 السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ وَالْدِّينِ - وَتَتَّفَقُ جَمِيعًا عَلَى سُلْطَانِ
 إِشْبَانِيَّةٍ نَظْفَرُ بِهِ وَنَأْخُذُ بِلَادَهُ.
 قُلْتُ لَهُ: هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ لَوْ حَصَلَ وَفِي تَخْصِيلِهِ شَكٌّ. وَأَمَّا لَوْ كَانَ
 هَذَا الْإِتِّفَاقُ فَيَأْخُذُونَ بِلَادَ الْإِنْدَلُسِ - أَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ!
 وَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَكْتُبْ رَمْزًا فِي الْحُرُوفِ (١٩٠) وَأَعْطِهِ نُسْخَةً لِتَكُونَ
 الْمَكَاتِبَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. وَأَعْطَانِي نُسْخَةً.
 ثُمَّ قَالَ لِي: تَمَنَّى عَلَيَّ مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ: أَطْلُبُ مَا تُحِبُّ مِنِّي؛ -
 وَهِيَ عَادَةٌ عِنْدَ مُلُوكِ النَّصَارَى - إِنْ قَالُوا لِلْإِنْسَانِ أَطْلُبْ مِنِّي مَا
 شِئْتَ: إِنَّهُمْ يُعْطُونَهُ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ؛ وَلَا يَقُولُونَ ذَلِكَ إِلَّا نَادِرًا لِمَنْ
 رَضُوا عَنْهُ غَايَةَ الرِّضَا.
 قُلْتُ فِي نَفْسِي: النَّصَارَى يَقُولُ عَنْ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ طَمَاعُونَ كَثِيرًا
 فِي مَتَاعِ النَّاسِ؛ وَهَذَا لَمْ يَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ - وَأَنَا
 أَحَدُهُمْ - وَلِيَعْلَمَ وَيَتَحَقَّقَ أَنَّ الَّذِي يَقُولُونَهُ فِيهِمْ. لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَأَنَّ
 فِيهِمْ مَنْ لَا يَطْمَعُ فِي مَالِهِ، فَلَا نَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا.
 قُلْتُ لَهُ: أَطْلُبُ مِنْ فَضْلِكُمْ مَسْئَلَةً أَوْ شَيْئًا.

١ لعل الصواب كان: «لا اطلب» فسقطت لفظة «لا».

قَالَ: مَا تَطْلُبُ ؟

قُلْتُ: أَنْ تَوْصِي بِنَا رَأِيسَ السَّفِينَةِ الَّتِي نَمْشِي فِيهَا .

قَالَ: هَذَا فَقَطْ ؟

قُلْتُ: نَعَمْ !

قَالَ: فَابْحَثْ حَتَّى تَتَحَقَّقَ مِنَ السَّفِينَةِ الَّتِي تَمْشِي وَاعْرِفْ اسْمَ

الرَّائِسِ وَابْحَثْ اسْمَ التَّاجِرِ مَوْلَا السَّفِينَةِ؛ وَأْتِنِي .

فَاخْبَرْتُهُ بِأَسْمَائِهِمَا، وَأَمَرَ لِكَاتِبِ السِّرِّ أَنْ يَكْتُبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بَرَاءَةً

بِالْوَصِيَّةِ عَلَيْنَا وَعَلَّمَ عَلَيْنَا، وَفَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ (٩٠ ب) بِكِتَابِهِ؛

فَالتَّاجِرُ اسْتَعْمَلَ لَنَا مِنَ السُّكْرِ أَنْوَاعًا مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَأَعْطَانَا حَتَّى

الْتَمَزَ الَّتِي هِيَ غَرِيبَةٌ عِنْدَهُمْ، لِأَنَّهَا مَجْلُوبَةٌ مِنَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ

لَيْسَ هِيَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي بِلَادِهِمْ .

وَأَمَّا الرَّسُولُ الَّذِي فَرَحَ بِي فِي بِلَادِهِ؛ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ^١ تَرْكِيبَيْنِ بِيَلَادِ

الْفَرَنْجِ: بِيرِيشٌ وَاتَّفَقَ لَهُمَا بِأَنْ دَخَلْنَا فِي دِينِ النَّصَارَى؛ وَطَلَبْنَا مِنِّي

أَنْ أَدْبَرُ عَلَيْهِمَا حَتَّى تَرْجِعَا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَى

مَرَآكُشَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَيْفَ يَكُونُ التَّدْبِيرُ

عَلَيْهِمَا؟

قَالَ: أَكْتُبُ لَهُمَا تَأْتِيَانِ إِلَى دَارِي؛ وَأَنَا أُدْبِرُ عَلَيْهِمَا حَتَّى تَرْجِعَا إِلَى

بِلَادِهِمَا .

وَكَتَبْتُ لَهُمَا بِذَلِكَ، وَبَعَثْتُ الْبَرَاءَةَ إِلَى رَجُلٍ أَنْدَلُسِيِّ؛ وَبَلَّغَهَا لَهُمَا؛

وَسَتَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْفَرَنْجِ حَتَّى بَلَّغْتَا إِلَى فَلَنْضِسَ .

١ س: لكَاتِبِ سِرِّه .

٢ س: قُلْتُ لَهُ اعْلَمْ أَنَّ .

وَوَقَعَ التَّدْبِيرُ مَعَ الْأَمِيرِ^١ وَبَعَثَهُمَا فِي سَفِينَةٍ تُجَارِ إِلَى إِصْطَنْبُولَ، وَبَلَغَتَا سَالِمَتَانِ. وَصَنِعَ مَعَهُمَا ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ مَشَيْتُ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ وَلَا رَايَتُهُمَا، وَالْخَيْرُ يَأْتِي بِخَيْرٍ. وَأَمَّا الرَّأِيسُ كَانَ يَفْرَحُ بِنَا (١٩١) فِي سَفِينَتِهِ وَذَلِكَ مَقْصُودِنَا.

وَأَمَّا مَدِينَةُ الْهَيْمَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا الْأَمِيرُ؛ فَعَرَضُهَا اثْنَانِ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ فِي الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ مِنَ الدُّنْيَا. وَأَصَابَنَا الْحَالُ وَنَحْنُ فِيهَا فِي أَطْوَلِ أَيَّامِ الْعَامِ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ بِالسَّرَطَانِ وَلَيْسَ طُلُوعُ الشَّمْسِ وَغُرُوبُهَا كَهَذِهِ الْبِلَادِ - أَعْتَبِي مِصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالشَّامَ وَبِلَادِ الْإِنْدَلُسِ - فَالْيَوْمَ هُنَاكَ مِنْ^٢ أَوَّلِ الْفَجْرِ مِنْ نَحْوِ تِسْعَةِ عَشْرَةِ سَاعَةٍ بِتَقْرِيْبٍ؛ وَلَا ظِلْمَةٌ فِي الْيَلِ إِلَّا قَلِيلَةٌ؛ وَغُرُوبُ الشَّمْسِ مُنْحَرِيفٌ، وَتَبْقَى الْحُمْرَةُ فِي السَّمَاءِ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ نِصْفِ الْيَلِ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ وَنِصْفٍ بِتَقْرِيْبٍ نُصَلِّي الصُّبْحَ.

^١ زيادة في س: "بواسطة الرسول وكان قد قال لي الرسول ان المسلمين الذين وجدوا في بلدهم في الاغربة حين اراد الامير ان يبعثهم هدية الى بلد المسلمين جاء التجار اليه وقالوا له ان يبيع لهم المسلمين ليفدوا بهم نصارى اسارى عند المسلمين قال لهم: نبعثهم هدية للمسلمين ليعملوا الخير مع اهل بلدنا الذين يريدون عليه. حينئذ قالوا: المسلمون طماعون ولا يرون بالخير. قال لهم: ان لم يكن فيهم الا واحدا من يرى بهذا الخير لوجه هذا الواحد نعطي هؤلاء الاسارى كلهم. ولما ان وقفنا مع الرسول في مراکش حتى خرج من السجن وردوا له حصانه وغير ذلك قال انه كتب للامير واخبره وقال له هذا ك الواحد الذي قلتم انه يرى بالخير الذي عملتم مع المسلمين الذين بعثتوني بهم قد ظهر وذكر ذلك الخير حتى بلغ السلطان واطلقني من السجن، ولتكذب التجار الذين قالوا العيب في المسلمين ما اردت نطلب شيئا من المال ورضى المسلمين عندي افضل من كل متاع الدنيا".

^٢ س: من انشقاق الفجر على غروب الشمس من نحو تسع عشرة ساعة ولا ظلمة.

وَيَطُولُ الْكَلَامُ عَلَى مَا رَأَيْنَا بِفِلْنِضِسَ، ذَكَّرْنَا شَيْئًا فِي الرِّحْلَةِ،
وَأَيْضًا حِكَايَةَ السَّتِّ رِجَالٍ^٢ الَّذِينَ جَاءُوا فِي سَفِينَتِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْيَوْمُ مِنْ سِتِّ أَشْهُرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ لَا لَيْلَ فِيهَا.
وَبِعَكْسِ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ لَا شَمْسَ فِيهَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ الزَّمَنِ مِنَ
الشِّتَاءِ^٣.

وَأَمَّا مَا ذَكَّرْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ (٩١ب) مِمَّا جَوَّبْتُ بِهِ لِلْأَمِيرِ فِي شَأْنِ
الْإِسْبَابِ الَّتِي حَمَلَتْ لِسُلْطَانِ النَّصَارَى عَلَى أَخْرَاجِ الْإِنْدَلُسِ مِنْ
بِلَادِهِ، فَذَكَرُ هُنَا شَيْئًا، وَلَمْ نَذْكُرْهُ فِي النُّسخِ الَّتِي سَبَقَتْ لِهَذَا
الْمُخْتَصَرِ.

أَعْلَمُ أَنَّ سُلْطَانَ الْبِلَادِ الْمُسَمَّى: بِفِلْبِ الثَّانِي، مِنْ إِسْمِهِ - أَعْتِيَ مِنْ
سُمِّيَ مِنَ السَّلَاطِينِ بِفِلْبٍ - وَبَيَّنْتُ هَذَا لِأَنِّي طَالَعْتُ بَعْضَ كُتُبِ
التَّوَارِيخِ لِلْمُسْلِمِينَ فِيمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ الْخُرُوبِ مَعَ سُلْطَانِ الْبِلَادِ
الْمُسَمَّى بِالْفُنْشِ؛ وَلَمْ يُبَيِّنُوا أَيُّهُمْ كَانَ؟ لِأَنَّ بِلَادَ الْإِنْدَلُسِ كَانَ فِيهَا
أَكْثَرُ مِنْ اثْنَا عَشَرَ سُلْطَانًا مِنْ سُمِّيَ بِالْفُنْشِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ كُلَّ
وَاحِدٍ بِحِسَابِهِ مِنَ الْأَسْمِ، مِثْلُ أَنْ يَقُولُوا: الْفُنْشُ الرَّابِعُ أَوْ الثَّلَاثِينَ أَوْ
الْعَاشِيرَ. وَالْمُؤَرِّخُونَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَذْكُرُونَ دَرَجَةَ لِلْأَسْمِ. وَهَذَا فِلْبُ
الثَّانِي أَمَرَ فِي بِلَادِهِ كُلِّهَا قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا أَنْ يَزْمُمُوا جَمِيعَ

١ س: ذكرنا شيئاً كم ذلك في الرحلة.

٢ س: وايضا حكايات ستة رجال.

٣ س زيادة هي: " في ذلك الزمان ولنذكر هنا ما قال سلطان بلد الاندلس في كتابه انه سبب اخراج
الاندلس من بلده وترجمتها للسلطان مولاي زيدان رحمه الله اعلم ان من التيسير لخروج المسلمين
الاندلس من بين الكفار المشركين على بلد المسلمين امر سلطان البلد المسمى فلب الثالث اسمه اعني
من سمي من سلاطين النصارى بفلب في بلده كلها ان يزمو جميع الاندلس ...

الْأَنْدَلُسُ صِغَارًا وَكِبَارًا؛ حَتَّى الَّتِي فِي رَحِمِ النِّسَاءِ بِظُهُورِ الْجَمَلِ.
وَلَا عِلْمَ أَحَدِ السَّرِّ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَنَحُوا السَّبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً عَمَلُوا زَمَانًا آخَرَ مِثْلُ الْأَوَّلِ -
كَمَا أَعْلَمُونِي (١٩٢) بِمَرَاكُشَ - وَلَمْ يَذَرِ أَحَدُ السَّرِّ فِي ذَلِكَ حَقِيقَةً؛
وَلَا كُنْ قَالَ لِسَانَ الْحَالِ: أَنَّهُمْ أَرَادُوا يَعْلَمُوا هَلْ كَانُوا فِي زِيَادَةٍ أَمْ
لَا؟ وَلَمَّا وَجَدُوا زِيَادَةً كَثِيرَةً أَمَرُوا بِقُرْبِ ذَلِكَ بِإِخْرَاجِهِمْ. وَكَتَبَ
السُّلْطَانُ فِلِبُّو التَّالِثُ - مَنْ إِسْمِهِ - كِتَابًا لِقَرِيبِهِ وَخَلِيفَتِهِ بِمَدِينَةِ
بِلَنْسِيَةِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَشْرَعَ فِي إِخْرَاجِ الْإَنْدَلُسِ. وَتَرَجَمَتْ نُسْخَةٌ مِنْ
الْبَرَاءَةِ لِلْسُّلْطَانِ مَوْلَايَ زَيْدَانَ ابْنِ السُّلْطَانِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ بِمَرَاكُشَ،
وَكَانَ تَارِيخُ الْكِتَابِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - فِي أَوَّلِ عَامِ ثَمَانِ عَشْرَةِ وَآلْفٍ
مِنْ الْهَجْرَةِ^١، قَالَ فِيهِ:

"مَرَكُشُ ذَا قَرَسِنَا قَرِيبُنَا وَخَلِيفَتُنَا فِي سِلْطَنَتِنَا بِلَنْسِيَةِ سَلَامٌ!
قَدْ عَلِمْتَ مَا صَنِعَ وَعَمِلَ مَعَ النَّصَارَى الْجُدُودِ الْإَنْدَلُسُ أَهْلُ تِلْكَ
السُّلْطَنَةِ وَقَسْتَالَةَ عَلَى طُولِ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ الْمَاضِيَةِ مِنَ التَّخْرِيطِ
وَالْإِرْشَادِ لِإِثْبَاتِهِمْ فِي دِينِنَا الْمَجِيدِ وَإِيمَانِنَا. وَلَا نَفْعَ مَعَهُمْ قَلِيلًا وَلَا
كَثِيرًا لِأَنَّهُ لَمْ يُجَدْ فِيهِمْ وَاحِدٌ مِنْ هُوَ نَصْرَانِي حَقِيقَةً. وَالْغَرَرُ وَالشَّرُّ
الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ (٩٢ ب) بِسَبَبِ مَا تَعَامَيْتَا عَلَيْهِمْ؛ قَدْ ذَكَرَهُ
إِلَيْنَا رِجَالٌ عُلَمَاءُ وَصَلَحَاءُ وَأَنَّهُ لَزِمَنَا إِصْلَاحُ ذَلِكَ الْأَمْرِ لِنَرْضَى
بِهِ اللَّهُ؛ وَنَزَلَ غَضَبُهُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَافْتَوَا فِيهِمْ أَنَّهُ يَجُوزُ لَنَا
مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنْ نَعَاقِبَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؛ لِأَنَّ الْأَسْتِمْرَارَ عَلَى
سُوءِ أَفْعَالِهِمْ خَتَمَ وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مُنَاقِقُونَ وَأَعْدَاءُ لِلْمَقَامِ الْإِلَهِيِّ

^١ س: من حسابنا .

وَالْإِنْسَانِي، وَهَبَ إِنَّا قَادِرٌ عَلَى أَنْ نُجْزِيَهُمْ وَنُعَاقِبَهُمْ بِمَا أَوْجَبَ
سُوءَ فِعْلِهِمْ وَلَوْ مَتَّعْنَاهُمْ. فَمَعَ ذَلِكَ اخْتَرْتُ مُعَامَلَتَهُمْ عَلَى طُرُوقِ الْحِلْمِ
وَاللَّيْنِ وَتَرَكْتُ الْمُوَاخَذَةَ. وَبَسَبَبِ ذَلِكَ أَمَرْنَا بِاجْتِمَاعِ الْمُحَقَّلِ الَّذِي
حَضَرَتْ فِيهِ مَعَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَكَابِرِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ لَعَلِّي نَجِدُ سَبِيلًا
لِتَرْكِ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَمْلَكَتِنَا؛ وَنَحْنُ فِي هَذَا تَحَقُّقًا وَصَحٌّ مِنْ وَجُوهٍ:
إِنَّهُمْ بَعَثُوا لِلتُّرْكِيِّ الْكَبِيرِ بِإِصْطِنْبُولِ وَمَوْلَايَ زَيْدَانَ بِمَرَاكُشَ رُسُلَهُمْ
يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَنْجِدُوهُمْ وَأَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ رَجُلًا
مُسْلِمُونَ؛ مِثْلَ الَّذِينَ بِلِلَادِ الْمَغْرِبِ الْآفَرِاقِيَّةِ؛ وَأَيْضًا بَعَثُوا لِأَعْدَائِنَا
(١٩٣) الْبَحْرِيَّةِ بِالْجَهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الَّتِي تَحْتَ الْقُطْبِ^٢ وَأَنَعَمُوا أَنَّهُمْ
يَعِينُهُمْ بِسُفُونِهِمْ. وَأَمَّا سُلْطَانُ إِصْطِنْبُولِ قَدْ أَصْطَلَحَ مَعَ سُلْطَانِ
الْفَرَسِ لِأَنَّهُ كَانَ يُشْغَلُهُ؛ وَأَمَّا سُلْطَانُ مَرَاكُشَ فَقَدْ عَزَمَ عَلَى تَذْوِيخِ
الْبِلَادِ وَتَسْكِينِهَا؛ وَإِذَا اتَّفَقُوا جَمِيعًا مَعَ هَؤُلَاءِ نَرَوْا نَفُوسَنَا فِي الْأَمْرِ
الَّذِي لَا يَخْفَى.

وَاللِّقْيَامِ بِمَا لَزِمَنَا مِنْ حِفْظِ مَمْلَكَتِنَا، وَدَفْعِ مَا يَغْرُضُ لَهَا اتَّفَقَ
نَظَرُنَا - بَعْدَ أَنْ دَعَوْتُ اللَّهَ وَأَمَرْتُ بِالِدَّعَا لَهُ طَامِعًا وَمَتَوَكِّلًا فِي
تَأْيِيدِهِ وَتَنْصَرِهِ لِمَا يَجِبُ لِمَجْدِهِ وَفَضْلِهِ - عَلَى اخْرَاجِ جَمِيعِ الْإِنْدُلُسِ
الَّذِينَ هُمْ فِي تِلْكَ السُّلْطَنَةِ لِأَنَّهُمْ أَقْرَابُ لِلْغُرَرِ؛ وَالْإِنْجَازِ بِذَلِكَ أَمَرْنَا
بِإِشْهَارِ هَذَا الْأَمْرِ وَيُنَادَى بِهِ.

فَأَوَّلًا يُعْرَفُ مِنْهُ أَنَّ جَمِيعَ الْإِنْدُلُسِ الَّتِي فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ رِجَالًا
وِنِسَاءً بِأَوْلَادِهِمْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرَةِ هَذَا الْأَمْرِ بِالْبِلَادِ الَّتِي هُمْ

١ هنا يبدأ سقط آخر في س.

٢ يعني: الجمهورية الهولندية.

سَاكِنُونَ أَنْ يَخْرُجُوا وَيَمْشُوا لِيَرْكَبُوا الْبَحْرَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُومَرُ بِهِ؛ وَأَنْ يَحْمِلُوا مِنَ الْعُرُوضِ وَالْآثَاتِ مَا يَسْتَطِيعُونَ عَلَيْهِ؛ لِيَرْكَبُوا فِي السُّفُنِ وَالْأَغْرِيَةِ (٩٣ ب) الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ لِحَمْلِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ؛ وَيَنْزِلُونَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ لِأَحَدٍ فِي النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَيَعْطُونَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ مَا دَامُوا فِيهَا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ لِنَفْسِهِ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فَلْيَفْعَلْ. وَمَنْ يَتَعَدَّى عَنْ هَذَا الْأَمْرِ فَلْيُقْتَلْ فِي الْحِينِ.

وَأَنْ كُلَّ مَنْ يُوجَدُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ الَّتِي يُنَادَى بِالْأَمْرِ خَارِجًا عَنْ بَلَدِهِ؛ يَجُوزُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ أَنْ يَنْهَبَ مَا عِنْدَهُ؛ وَيُسَلِّمَهُ لِلْحُكَّامِ^١ وَإِنْ أَمْتَعَ يَجُوزُ لَهُ قَتْلُهُ.

وَأَنْ كُلَّ مَنْ يَسْمَعُ النِّدَا لَا يَخْرُجُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَمْشِيَ مَعَ مَنْ يَقُودُهُمْ إِلَى رُكُوبِ الْبَحْرِ.

وَأَنْ كُلَّ مَنْ يَدْفَنُ شَيْئًا مِنْ أَمْتَعَتِهِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الرَّقُودَ مَعَهُ؛ أَوْ يَحْرِقَ شَيْئًا مِنَ الزَّرْعِ أَوْ الْأَشْجَارِ، أَنْ يَقْتُلَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَأَمْرًا جِيرَانَهُ بِتَنْفِيزِ الْحُكْمِ فِيهِمْ.

وَلَمَّا يُصْلِحُ بِالْبِلَادِ فِي مَعَاصِرِ السُّكْرِ وَالرُّوزِ وَسَقَى الْبِلَادَ لِيَعْلَمُوا السُّكَّانُ الْجُدُودَ؛ أَمْرًا بِقُعُودِ سِتِّتٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ بِأَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَزَوَّجُوا، فِي كُلِّ بَلَدٍ يَكُونُ مِنْ مِائَةِ دَارٍ وَالْأَمْرِ فِي ذَلِكَ لِتَعْيِينِهِمْ فَهُوَ لِمَوْلٍ كُلِّ بَلَدٍ وَيَكُونُ مِنَ الْفَلَّاحِينَ الْقَدَمَاءِ الَّذِينَ (١٩٤) ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْقُرْبُ وَالْمِيلُ لِدِينِنَا، وَيَرْجَى فِيهِمُ النَّبَاتُ عَلَيْهِ.

^١ يريد: حكام محاكم التفتيش.

وَإِنَّ الرُّمَّةَ وَالنَّصَارَى الْقُدَمَا لَا يَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَلَا يَقْرُبُوا إِلَى نِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَلَا يَكْتُمُ مِنْهُمْ أَحَدًا فِي دَارِهِ؛ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُجْعَلْ فِي مَقْدَفِ الْأَغْرِبَةِ سِتًّا سِنِينَ وَيَزَادُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَظْهَرُ لَنَا.

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ السُّلْطَانَ^١ مَا مَرَّادُهُ إِلَّا إِخْرَاجُهُمْ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ؛ فَلَا يَضُرُّهُمْ أَحَدٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ وَأَنَّهُ يَنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَيَحْمِلُهُمْ فِي سَفِينِهِ، وَإِذَا بَلَغُوا فَلْيَرْجِعُوا عَشْرًا مِنْهُمْ لِيَعْلَمُوا لِغَيْرِهِمْ وَكُِبْرَاءِ الْأَغْرِبَةِ وَالسُّفُنِ فَلْيَعْمَلُوا بِهَذَا الْأَمْرِ.

وَأَنَّ الصِّبْيَانَ وَالْأَيَّامَ مِنْ أَقَلِّ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ؛ إِذَا أَرَادُوا الْقَعُودَ بِرِضَاءٍ وَكُلَّائِهِمْ وَالْأَوْصِيَاءَ؛ فَلْيَقْعُدُوا.

وَأَنَّ الصِّبْيَانَ الَّذِينَ يَكُونُ أَوْلَادُ نَصَارَى لَا يُخْرَجُوا وَلَا لَامَهَاتِهِمْ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ أَنْدَلُسِيَّةً. وَإِنْ كَانَ أَبُوهُمْ أَنْدَلُسِيًّا وَأُمُّهُمْ نَصْرَانِيَّةً فَتَقْعُدُوا^٢ الْمَرْأَةَ بِأَوْلَادِهَا الَّتِي مِنْ سِتِّتٍ فَأَقْلَّ وَهُوَ يَذْهَبُ وَيَخْرُجُ.

وَشَهْرَ هَذَا الْأَمْرِ وَتَوَدِّي بِهِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ (٩٤ب) مِنْ شَهْرِ شَتَّانٍ مِنْ عَامِ تِسْعٍ وَسِتِّ مِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ مِيلَادِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^٣ أَنْتَهَى.

وَبَعْدَ أَنْ خَرَجُوا أَهْلُ سُلْطَنَةِ بِلَنْسِيَّةٍ؛ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ لِلَّذِينَ كَانُوا بِالْأَنْدَلُسِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْقَرِيبَةِ إِلَيْهَا أَنْ يَخْرُجُوا. وَبَعْدَ أَنْ

^١ هنا ينتهي السقط في س.

^٢ س: فتقعد .

^٣ س: ثم بعد ذلك أمر أمراً عكس هذا الذي فرعنا منه ان كل من يكرى سفينة للخروج في بلد المسلمين ياخذ اولاده كل من كان من نحو العشر سنين او سبعة واخذوا منهم شيئا كثيرا من الاولاد والبنات واخرجوا من عشرين سفينة كل من كان فيها من الاولاد واخذوا لأهل الحجر الأحمر...

أَكْتَرُوا السُّفُنَ - وَهُمْ فِي وَادِ إِشْبِيلِيَه - بَعَثَ السُّلْطَانُ أَمْرًا عَكْسَ
 الْأَوَّلِ؛ وَقَالَ: أَنْ كُلُّ مَنْ أَكْتَرَى سَفِينَةً لِيَمْتَشِيَ لَيْلَادَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ
 يَأْخُذُوا لَهُمْ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَقَلِّ مِنْ سَبْعِ سِنِينَ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ .
 وَأَخْرَجُوا كُلُّ مَنْ كَانَ فِي عِشْرِينَ سَفِينَةً. وَأَخَذُوا لِأَهْلِ الْحَجَرِ
 الْأَحْمَرَ نَحْوَ أَلْفٍ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَكُلُّ مَنْ جَازَ عَلَى طَنْجَه وَسَبْتَه،
 فَأَخَذُوا لَهُمْ أَوْلَادَهُمْ مِثْلَ الْآخَرِينَ. وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى اخْذِ الْحَقِّ
 مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى يَدَيِ مَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ وَأَخْتَارَهُ مِنْ سَلَاطِينَ
 الْمُسْلِمِينَ^١ .

^١ س: انه على ذلك قدير انه نعم المولى ونعم النصير .

الباب الثاني عشر

فِيمَا أَتَمَّقَ لَنَا فِي مِصْرَ مَعَ رَاصِبِ مَالِهِ حَانَ بِالْعَا فِي قُنُونِ الْعِلْمِ وَبَعَثَا
وَالْعَرَبِيَّةِ. وَأَيْضًا مَا وَفَّعَ لِي مِنَ الْمَقَاتِبَةِ لِرَاصِبِ مِنَ أَحَابِرِ عُلَمَاءِ
النَّصَارَى بِمَرَاخِشِ

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْبَحْرِ (١٩٥) فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْهُنُودِ قَاصِدًا إِلَى بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ، لِيَحْضَرَ فِي الدِّيْوَانِ الْكَبِيرِ لِلْقَسِيسِيِّنَ لِيَنْعَثُوا الرُّهْبَانَ
لِاقْطَارِ الدُّنْيَا، كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَتْرَكُونَهُمْ^١ لِلْسُكْنَى فِي
الْبِلَادِ الَّتِي يَمْشُونَ إِلَيْهَا إِلَّا نَحْوَ الْعَامِينَ أَوْ ثَلَاثَ^٢؛ ثُمَّ يَرْحَلُونَهُمْ
إِلَى بِلَادٍ غَيْرِهَا.

وَرَأْسُ السَّفِينَةِ جَاءَ إِلَى مَرَسَى أَرْمُورٍ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَظَنَّ
أَنَهَا مِنْ بِلَادِ النَّصَارَى، وَدَخَلَ فِيهَا وَبَقِيَ أَسِيرًا هُوَ وَجَمِيعُ مَنْ كَانَ
فِي السَّفِينَةِ؛ وَمِنْ جُمْلَتِهِمُ الرَّاهِبُ الْكَبِيرُ؛ وَأَتَوْا^٣ بِالْجَمِيعِ إِلَى
مَرَاكُشَ؛ وَقَبْلَ أَنْ جَاءَ كُنْتُ تَكَلَّمْتُ مَعَ السُّلْطَانِ مَوْلَايَ زَيْدَانَ -
رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي فِدَاءِ رَاهِبٍ أَسِيرٍ؛ وَدَفَعَ الْمَالَ فِي فِدَائِهِ؛ وَذَهَبَ
إِلَى بِلَادِهِ وَفَرِحْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُنْبِتُ كُلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ النَّصَارَى
فِي دِينِ الْكُفَّارِ فِي خِفَاءٍ مِنَ النَّاسِ؛ وَلَوْ تَحَقَّقَ سَلَاطِينُ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ سُوءِ فِعْلِ الْقَسِيسِيِّنَ وَالرُّهْبَانِ وَأَنَّهُمْ يَحْتَالُونَ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ

١ س: لا قطار بلدهم.

٢ س: لا يتركون.

٣ س: او ثلاث سنين.

٤ س: يرحلون.

يَرْجِعَ مُسْلِمًا مِنَ النَّصَارَى^١ لِيَرْتَدَّ فِي خَفَاءٍ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ وَأَنْ يَكُونَ عَدُوًّا لِلْمُسْلِمِينَ؛ لَا يَتْرُكُونَ أَبَدًا وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي بِلَادِهِمْ. وَهَذِهِ نَصِيحَةٌ (٩٥ب) مِنِّي إِلَيْهِمْ؛ وَمَا قُلْتُ فِيهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ لِأَشْكَ فِيهِ.

ثُمَّ أَنَّ الرَّاهِبَ الَّذِي جَاءَ مِنَ الْهُنُودِ بَلَغَهُ الْخَبَرُ بِأَنِّي تَكَلَّمْتُ فِي فِدَاءِ الرَّاهِبِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وَانْقِذًا وَمَشَى. وَبَعَثَ لِي كِتَابًا بِالْأَعْجَمِيَّةِ^٢ يَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أَكَلِّمَ السُّلْطَانَ فِي فِدَائِهِ، وَقَرَأْتُ الرُّسَالَةَ؛ وَبَانَ لِي مِمَّا كَتَبَ أَنَّهُ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَائِهِمْ. وَكَانَ فِي أَعْلَى الْبَرَاءَةِ صَلِيبٌ مَكْتُوبٌ كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ. فَكَتَبْتُ لَهُ الْجَوَابَ وَقُلْتُ لَهُ: أَنْ يَصْبِرَ حَتَّى نَجِدَ مَفْصَلًا^٣ لِلْكَلَامِ مَعَ السُّلْطَانَ؛ وَلَمَّا أَنَّهُ صَدَّرَ فِي أَعْلَى كِتَابِهِ الشَّرْكَ بِصُورَةِ الصَّلِيبِ الَّذِي يَعْبُدُونَهُ؛ كَتَبْتُ أَنَا فِي أَعْلَى الْكِتَابِ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ ضِدُّ الشَّرْكَ؛ وَكَتَبْتُ بِالْأَعْجَمِيَّةِ: بِسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ فِي ذَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي أَعْمَالِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ قَرَأَ الْجَوَابَ كَتَبَ لِي بَرَاءَةً ثَانِيَةً؛ وَذَكَرَ فِيهَا كَلَامًا عَنْ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ؛ مُوَافِقًا لِتَوْحِيدِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى هَيْئَتِهِ أَوْ عَلَى مِثَالِهِ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ إِبْتِدَاءُ شِرْكِهِمْ، لِأَنَّ مُرَادَهُمْ بِالشَّيْبَةِ أَنْ سَيِّدَنَا (١٩٦) عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَهُ أَصْلٌ فِي ذَلِكَ الْخَلْقَةِ لِلْأُلُوهِيَّةِ الَّتِي يَقُولُونَ فِيهِ - لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَآخَرَاهُمْ!

^١ لعله يعني بعض الاندلسيين المهجَّرين، فإن المعروف أن بعضهم بقي على نصرانيته.

^٢ س: بالعجمية.

^٣ س: موصلًا.

ثُمَّ كَتَبْتُ لَهُ الْجَوَابَ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ؛ وَقُلْتُ لَهُ:
 اللَّهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنِ الشَّبِيهِ وَالْمِثَالِ؛ وَبُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَانَا آدَمَ -
 عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَا شَيْءَ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَلَا تَشَبَهُ إِلَى اللَّهِ
 تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ. أَمَّا ذَاتُ الْإِنْسَانِ فَهِيَ
 حَادِثَةٌ؛ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدِيمٌ وَالْإِنْسَانُ فَنَانٌ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى بَاقٍ
 عَلَى الدَّوَامِ؛ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ أَبَدًا إِلَى الْمَحَلِّ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْهُ
 وَقَائِمٌ بِنَفْسِهِ؛ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ أَبَدًا وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْغَنِيُّ؛
 وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلَهُ صِفَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ لِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالْإِنْسَانُ لَهُ
 سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَكَلَامٌ وَقُدْرَةٌ حَادِثَةٌ وَعِلْمٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ. أَمَّا
 السَّمْعُ فَيَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ قَرِيبًا مِنْهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ
 النَّاسِ فِي حِينٍ وَاحِدٍ فَلَا يَفْهَمُ مَا يَقُولُونَ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ
 وَحْدَهُ؛ وَيَكُونُ الْكَلَامُ بِاللُّغَةِ الَّتِي يَعْرِفُ هُوَ؛ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 يَسْمَعُ (٩٦ب) الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ، وَمَا تَقُولُهُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ بِلِسَانِ
 الْمَقَالِ وَلِسَانِ الْحَالِ وَمَا فِي الضَّمَائِرِ فِي حِينٍ وَاحِدٍ؛ وَلَا يُشْغِلُهُ
 شَيْءٌ عَنِ شَيْءٍ.

وَأَمَّا الْبَصَرُ فَالْإِنْسَانُ يَبْصُرُ الْقَرِيبَ بِشَرْوْطٍ مِثْلِ الضُّوْءِ، وَأَنْ لَا
 يَكُونَ حَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْظَرِ^١ إِلَيْهِ. وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرَى الْبَعِيدَ
 وَالْقَرِيبَ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَمَا فِي دَاخِلِ الْأَحْرَامِ^٢. وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلَا
 يَعْلَمُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَكَذَلِكَ

١ س: المنظور إليه .

٢ س: الارحام .

سَائِرُ الصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا نَاقِصَةٌ مَخْدُودَةٌ عَاجِزَةٌ فَاثِيَّةٌ؛ كُلُّهَا مُخْتَلِفَةٌ لِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَمَّا فِعْلُ الْإِنْسَانِ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ عَادَتِهِ فِي الْأَعْمَالِ إِلَّا نَادِرًا، حَتَّى أَنْ الْخَطُّ الَّذِي يَكْتُبُ يَكُونُ مَعْرُوفًا لَهُ حَتَّى تَشْهَدَ النَّاسُ وَتَقُولُ: هَذَا خَطُّ فُلَانٍ؛ وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْعَمَالَاتِ وَالصَّنَائِعِ. وَانْظُرْ وَتَأَمَّلْ فِي أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَالِقِ الْعَظِيمِ؛ إِنَّ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ لَا يَشْبَهُ لَحْدًا أَحَدًا؛ وَلَوْ اجْتَمَعَ كُلُّ مَنْ خَلَقَ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَمَا يَخْلُقُ، فَلَا يَشْبَهُ إِنْسَانًا آخَرَ غَيْرَهُ، وَإِذَا شَبَّهَهُ فِي بَعْضِ الْأَعْضَاءِ (١٩٧) لَا بُدَّ أَنْ يَخْتَلِفَ عَنْ غَيْرِهِ فِي شَيْءٍ؛ أَمَّا فِي الصَّوْتِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ لَا شَبَّهَ لَهُ .

وَنَزِيدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْئًا؛ وَلَا تَذَكَّرْتُ هَلْ كَتَبْتُهُ فِي الْبَرَاءَةِ أَمْ لَا؟ وَهُوَ أَنَّ^١ إِذَا دَخَلَ فِي غَايَةِ أَشْجَارٍ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ مِثْلَ السُّنُوبَرِ أَوْ قَسْطَلٍ أَوْ بُلُوطٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ وَيَنْتَظِرُ فِي الْأَشْجَارِ فَيَرَى كُلَّ شَجَرَةٍ مُخْتَلِفَةً عَنْ جَمِيعِهَا فِي الطُّوْلِ أَوْ الْعَرْضِ أَوْ بَعْضِ الْأَغْصَانِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَهَذَا ظَاهِرٌ لِلْعَيَانِ؛ ذَلَّ هَذَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا نِهْيَةً وَلَا حَدَّ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ .

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَيُخَالِفُ ذَلِكَ فِي فِعْلِهِ وَعَمَلِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمًا رَجُلًا اشْتَرَى بَعْضَ الصَّبَابِيطِ^٢ أَوْ رَوَاجِي صِغَارًا لِصِبْيَانِهِ؛ وَفِي الزُّنْقَةِ^٣ التَّقَى بِمُعَلِّمٍ خَرَّازٍ؛ قَالَ لَهُ: هَذَا الصَّبَابِيطُ^٢ مِنْ دُكَانِي؟ قَالَ لَهُ: وَكَمْ

^١ س: ان الإنسان اذا دخل .

^٢ لم ترد في س .

^٣ س: هذه السبابط هي من دكاني .

مِنْ حَوَانِتٍ فِي مَرَاكِشٍ عَامِرَةٍ بِمِثْلِ هَذَا! قَالَ الْخِرَازُ: لَوْ كَانَ شُغْلِي بَيْنَ مِائَةِ مِثْلِهِ أَعْرِفُهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ فَخَّارٌ: كُنَّا نَخْدُمُ نَحْوَ الثَّمَانِيَةِ مِنَ الصَّنَاعِ فِي (٩٧ب) عَمَلِ الْقِلَلِ أَوْ قُدُورٍ^١ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاعِينِ مِنْ عَجَبَةٍ وَاحِدَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الطَّيْنُ وَالْمَاءُ. وَالْمَوَاعِينِ عَلَى مِقْدَارٍ وَاحِدٍ؛ وَبَعْدَ الْعَمَلِ؛ فَتَعْرِفُ وَتُمَيِّزُ شُغْلَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي عَمَلُهُ مِنَ الصَّنَاعِ. وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ خَطِّ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَعْرِفُ كَاتِبَهُ.

وَبَعْدَ أَنْ فَرَّغْتُ مِنَ الْجَوَابِ لِلرَّاهِبِ، كَتَبْتُ لَهُ سَوَالًا فِي دِينِهِ - لِمَا عَلِمْتُ مِنْ سُوءِ إِعْتِقَادِهِمْ - وَهَذَا مَعْنَاهُ: مَا قَوْلُكُمْ فِي دِينِكُمْ فِي رَجُلٍ زَنَا بِامْرَأَةٍ مُحْصَنَةٍ وَحَمَلَتْ مِنْهُ وَوَلَدَتْ، وَزَوْجُ الْمَرْأَةِ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَوْلُودَ كَانَ أَبْنَاهُ حَتَّى كَبُرَ زَوْجُهُ وَأَعْطَاهُ حِطًّا مِنْ مَالِهِ؛ وَاشْتَكَى يَوْمَ الْحِسَابِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَمِمَّنْ زَنَى بِهَا وَالْمَالِ الَّذِي أَنْفَقَ وَأَعْطَى لِابْنِ الَّذِي زَنَى بِهَا؛ فَأَحْضِرَ الزَّانِي وَالزَّانِيَةَ، وَقِيلَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَنَا ذَكَرْتُ ذَنْبِي لِلْقَسِيسِ الْفُلَانِي وَغَفَرَ لِي؛ وَقَالَ الزَّانِي: أَنَّهُ ذَكَرَ ذَنْبَهُ لِقَسِيسٍ فِي الدُّنْيَا وَغَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ. وَالسُّؤَالُ (١٩٨) مِنْكُمْ - أَيُّهَا الرَّاهِبُ الْعَالِمُ فِي دِينِهِ - هَلْ بَقِيَ لِلرَّجُلِ الْمَظْلُومِ مَا يَطْلُبُ أَمْ لَا؟

وَكَتَبَ الْجَوَابَ وَقَالَ: لَيْسَ لِلرَّجُلِ مَا يَطْلُبُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَلَا مِمَّنْ زَنَى بِهَا بَعْدَ اسْتِفْرَارِهِمَا فِي الدُّنْيَا لِلْقَسِيسِ مِنَ الذُّنُوبِ لِأَنَّهُ غَفَرَ لَهُمَا؛ وَلَمْ يَبْقَ لِلزَّوْجِ حَقٌّ عَلَيْهِمَا؛ أَنْتَهَى.

١ س: في عمل واحد قِلل وقُدور وغير ذلك.

فَانْظُرْ هَذَا الْإِعْتِقَادَ الْفَاسِدَ الَّذِي عِنْدَهُمْ فِي دِينِهِمْ؛ الْأَصْلُ فِيهِ يَقُولُونَ بِالْوَهْيَةِ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنَّ الْبَابَ خَلِيفَتَهُ وَجَمِيعَ أَيْمَةِ دِينِهِمْ كُلُّ وَاحِدٍ خَلِيفَةُ الْبَابِ^١. وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ فِي كُلِّ عَامٍ فِي أَيَّامِ صِيَامِهِمْ أَنْ يَمْشِيَ كُلُّ مَنْ هُوَ بَالِغٌ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى إِلَى الْكَنِيسَةِ؛ وَيَذْكُرُ لِلْقَسِيسِ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَيُعْطِيهِ بَرَاءَةً بِالْمَغْفِرَةِ وَيَأْخُذُ الذَّرَاهِمَ عَلَيْهَا. حِينَئِذٍ يَذْهَبُ مَغْفُورًا لَهُ. وَفِي سَائِرِ الْأَيَّامِ إِذَا كَانَ مَرِيضًا يَمْشِي إِلَيْهِ الْقَسِيسُ إِلَى بَيْتِهِ وَيَغْفِرُ لَهُ وَيَأْخُذُ أَجْرَتَهُ دَرَاهِمَ^٢. وَقَدْ طَالَعْتُ كِتَابَ التَّرْجُمَانِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقَالَ فِي الْقَاعِدَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ كِتَابِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى، وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا (٩٨ب). وَإِنِّي أَعْطَيْتُ دَرَاهِمَ سَنِينَ عَدِيدَةٍ فِي بَرَوَاتِ الْغُفْرَانِ مُعْتَقِدًا فِي كُفْرِهِمْ، وَلَاكِنْ كَانُوا يَطْلُبُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بَرَاءَتَهُ بَعْدَ أَيَّامِ الصِّيَامِ مَكْتُوبٌ فِيهَا أَنْ فَلَانًا اسْتَقَرَّ لِلْقَسِيسِ الْفُلَانِي بِذُنُوبِهِ وَأَنَّهُ غَفَرَ لَهُ؛ وَيُعَلِّمُ بَرَاءَتَهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ الْبَرَاءَةُ يُحْكَمُ فِيهِ^٣.

وَأَمَّا رَاهِبُ مِصْرَ؛ كَانَ يَقْرَأَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ الْقَامُوسُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْعَجَمِيَّةِ. وَقَدْ التَّقَيْتُ بِهِ مِنْ أَجْلِ كِتَابِ تَعْدِيلِ الْكَوَاكِبِ؛ لِنَعْرِفَ مِنْهُ فِي أَيِّ يَوْمٍ تَكُونُ الْوَقْفَةُ بِعَرَفَةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي أَيَّامٍ

^١ س: اليابا .

^٢ لم ترد في س.

^٣ في س: وهم بهذا الاعتقاد الفاسد يعينون الرجال والنساء على الفساد لان اذا علم الانسان ان الذنب الكبير يغفره له القسيس فيسهل عليه عمله.

^٤ كتاب تعديل الكواكب لعمر بن محمد بن خالد المروروذي، الذي كان حيا في النصف الاول من القرن الثالث للهجرة انظر: سركين ١٥٩/٦ .

الْأَهْلَةَ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِقَوْلِ الْمُتَجَمِّينَ فِي الْأَهْلَةِ إِلَّا بِالرُّؤْيَةِ لِلْهَلَالِ؛ فَلَا يَضُرُّ النَّظَرُ فِي ذَلِكَ.

وَسَأَلَنِي الرَّاهِبُ عَنْ إِعْتِقَادِنَا فِي الْجَنَّةِ: هَلْ فِيهَا أَكْلٌ وَشُرْبٌ؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ فِيهَا ذَلِكَ وَكَثُرُ مِنْ ذَلِكَ؛ كَمَا شَهِدَ بِهِ الْأَنْجِيلُ الَّذِي عِنْدَكُمْ. لَأَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ مِنْ عَصِيرِ هَذِهِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ فِي مَلَكُوتِ أَبِي. وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي الْأَنْجِيلِ: (١٩٩) "مَلَكُوتُ اللَّهِ". قَالَ الرَّاهِبُ: لَيْسَ ذَلِكَ الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ! وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ؛ كَمَا هُوَ فِي إِعْتِقَادِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - "فِي مَلَكُوتِ أَبِي"، فَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَبُوهُ حَقِيقَةً؛ وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ؛ كَمَا لِيْغِيْرِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ مَوَاضِعٍ مِنَ الْأَنْجِيلِ؛

الْأَوَّلُ: فِي مَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي شَهَادَةِ مَتَّى الَّذِي كَتَبَ رُبْعَ الْأَنْجِيلِ. قَالَ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ: أَنْ إِبْلِيسَ جَاءَ إِلَى سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ لَهُ: هَذَا الْعَالَمُ وَمَجْدُهُ أَعْطِيهِ لَكَ إِنْ سَجَدْتَ لِي؛ قَالَ لَهُ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِذْهَبْ يَا شَيْطَانُ؛ لِلرَّبِّ إِلَهَكَ أَسْجُدُ وَلَهُ وَحْدَهُ أَعْبُدُ، أَنْتَهَى. الْبَرَهَانُ فِي هَذَا الْقَوْلِ: إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَعْبُدُهُ؛ إِذْ هُوَ لَيْسَ بِإِلَهِ.

وَأَمَّا مَا قُلْنَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبُو الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ سَيِّدُنَا عِيسَى؛ مِنْهَا فِي الْفَصْلِ [الخامس] ١ لِمَتَّى قَالَ: قَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى

١ في الأصل وس بياض وهذا ما اراد الحجري.

(٩٩ب) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: طُوبَى لِلنَّقِيَّةِ^١ قُلُوبِهِمْ فَإِنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ، طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامَةِ، فَإِنَّهُمْ يُذْعُونَ أَبْنَاءَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ آخَرَ: هَكَذَا فَلْيُضَيِّءْ نُورُكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِيُرُوا أَعْمَالَكُمْ الصَّالِحَةَ، وَيَمَجِّدُوا آبَاءَكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

وَأَقُولُ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ وَعِبَارَتُهَا هِيَ مِنْ أَنْجِيلٍ مَكْتُوبٍ بِالْعَرَبِيَّةِ كَانَ عِنْدَ الْقَسِيسِ الَّذِي وَقَعَ لِي الْكَلَامُ مَعَهُ بِمَصْرٍ كَتَبْتُ مِنْهُ كَمَا كَانَ. وَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْمَعْنَى^٢.

الْفَصْلُ التَّاسِعُ: أَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَبْغَضَكُمْ، وَصَلُّوا مَنْ يَطْرُدُكُمْ وَيَغْتَصِبُكُمْ، لِكَيْمَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ الَّذِي يَشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، وَيَمْطُرُ عَلَى الصَّادِقِينَ وَالظَّالِمِينَ. وَقَالَ أَيْضًا: كُونُوا أَنْتُمْ مِثْلُ أَبِيكُمْ السَّمَائِيِّ فَهُوَ كَامِلٌ. وَقَالَ أَيْضًا وَصِيَّاتٍ وَفِي آخِرِهَا: أَبُوكَ الَّذِي يَرَى مَا فِي الْخَفَاءِ يَجْزِيكَ عِلَانِيَةً.

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ: صَلِّ لِأَبِيكَ سِرًّا؛ وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى السِّرَّ يَعْطِيكَ (١١٠٠) عِلَانِيَةً.

وَقَالَ أَيْضًا: لَأَنَّ آبَاءَكُمْ عَالِمٌ بِمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ. وَقَالَ أَيْضًا: فَهَكَذَا تَصَلُّونَ أَنْتُمْ؛ أَبُونَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: فَإِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ خَطِيئَاتَكُمْ، غَفَرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ السَّمَاوِيُّ؛ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ خَطِيئَاتِهِمْ، فَلَا أَبُوكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَاتَكُمْ.

^١ س: للنقيين في قلوبهم.

^٢ "المطلوب هو المعنى" لم ترد في س.

وَقَالَ: إِذَا صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا كَالْمُرَائِينَ؛ لَأَنَّهُمْ يُعْبَسُونَ وَجُوهُهُمْ
وَأَنْتَ اغْسِلْ وَجْهَكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَصِيَّاتٍ؛ وَلِيْلًا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ صِيَامُكُمْ، لَكِنْ لِأَيِّكَ
الَّذِي فِي السِّرِّ وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى السِّرَّ يُجَازِيكَ عِلَانِيَةً.
الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ: قَالَ: انْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ وَأَبُوكُمْ
السَّمَاءِ يَقْوَتْهَا.

الْفَصْلُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: قَالَ: "عَصْفَرَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ وَوَاحِدٌ
مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِرَادَةِ أَبِيكُم؛ وَأَنْتُمْ فَشْعُورُ رُؤُسِكُمْ
كُلُّهَا مُحْصَاةٌ، فَلَا تَخَافُوا! فَإِنَّكُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرٍ كَثِيرَةٍ. كُلُّ مَنْ
يَعْرِفَنِي (١٠٠ب) قُدَّامَ النَّاسِ اعْتَرَفُ أَنَا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي
السَّمَاءِ"، أَنْتَهَى.

قَدْ بَانَ فِي سِتِّ عَشَرَ مَوْضِعًا مِمَّا كَتَبْنَا مِنَ الْإِنْجِيلِ إِنَّ سَيِّدَنَا
عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمْ يَخْتَصْ بِإِسْمِهِ: ابْنُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ،
لأنَّهُ كَانَ مَخْلُوقًا مِثْلَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبٌ؛ كَمَا كَانَتْ أُمُّنَا
حَوَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا أُمٌّ.

ثُمَّ أَخَذَ الرَّاهِبُ فِي ذِكْرِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ فِيهِ:
إِنَّهُ إِلَهٌ وَابْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً - تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِ!

وَجِئْتُ إِلَى الدَّارِ؛ وَتِلْكَ اللَّيْلَةُ قَبْلَ لَيْ فِي النَّوْمِ: "كَبُرَتْ كَلِمَةُ خَرَجَ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ"، وَفَقْتُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَفَهِمْتُ أَنَّ الْقَوْلَ كَانَ عَلَى مَا قَالَ
الرَّاهِبُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَهْيَةِ سَيِّدَنَا عِيسَى. وَانْظُرْ مَا فِي الْآيَةِ
الْكَرِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ

١ هنا يبدأ سقط كبير في س يقع في حوالي ١٤ ورقة لم يتنبه له الناسخ.

اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِبَابِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝^١

ثُمَّ مَشَيْتُ عِنْدَهُ بَعْدَ الصَّبْحِ (١٠١)؛ وَتَقَوَّى عَزَمِي مِنْ إِجْلِ
الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ . وَآخَذْنَا فِي الْكَلَامِ،
وَقُلْتُ لَهُ: نَحْنُ فِي دِينِنَا وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ لَمْ
تَذْكُرْ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا، وَأَنْتُمْ تَذْكُرُونَ ثَلَاثَةً؛
قَالَ: أَيْضًا نَقُولُ وَاحِدًا!
قُلْتُ لَهُ: هَذَا الْوَاحِدُ اتَّفَقْنَا فِيهِ لَا خِلَافَ بَيْنَنَا،

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: مَنْ هُمَا الْإِنْتَانِ اللَّذَانِ فِي الْإِلَوهِيَّةِ؟ أَذْكُرْ لِي وَاحِدًا مِنْهُمَا!
وَأَنَا أَعْرِفُ مَاذَا يُجَوِّبُ بِهِ .

قَالَ: سَيِّدُنَا عِيسَى!

قُلْتُ لَهُ: الْإِلَهُ يَجْهَلُ شَيْئًا؟

قَالَ: لَا!

قُلْتُ: هِيَ صِفَةُ الْعِلْمِ فِي الْإِلَوهِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ: إِنَّ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةً مِنْ تَلَامِيذِ سَيِّدِنَا عِيسَى -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - آتَوْا إِلَيْهِ فِي جَبَلٍ الزَّرِّيْتُونَ؛ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا
الْعَالَمَ يَفْتَنِي، قَالُوا: "أَعَلَمْنَا عَلَى وَجْهِ السِّرِّ مَتَى يَكُونُ انْقِضَاءُ الْعَالَمِ؟
قَالَ لَهُمْ: أَمَّا هَذِهِ الْمَسْئَلَةُ فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ، حَتَّى مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، لَا
يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ".

قُلْتُ: هَكَذَا هُوَ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا إِنَّ الْإِلَهَ لَا يَجْهَلُ شَيْئًا. وَهَذَا بُرْهَانٌ قَطْعِي (١٠١ب) وَبَيِّنْ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، وَبِهَذَا تَبَيَّنَ وَاتَّضَحَ أَنَّ أَحَدَ الْاِثْنَيْنِ اللَّذَيْنِ زِدْتَ لِلوَاحِدِ ذَهَبَ. وَذَكَرَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْعِلْمِ، أَنَّهُمْ أَعْلَامٌ مِنْهُ. وَبَقِيَ لَنَا وَاحِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْنِ، مَنْ هُوَ؟

قَالَ: هُوَ الرُّوحُ الْقُدُسُ؛

قُلْتُ: هَذَا رُوحُ الْقُدُسِ هُوَ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْإِنْجِيلِ إِنَّهُ الْبَارَقْلِيطُ؟

قَالَ: نَعَمْ هُوَ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: قَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى: "إِذَا جَاءَ الْبَارَقْلِيطُ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَا يَسْمَعُ وَيُخْبِرُكُمْ بِمَا يَأْتِي".

قُلْتُ لَهُ: هَكَذَا هُوَ فِي الْإِنْجِيلِ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ لَهُ: الْإِلَهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ؛ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ فَهُوَ نَبِيٌّ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ تَعَالَى؛ فَهَذَا أَيْضًا ذَهَبَ بِالْبُرْهَانِ. لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْوَاحِدُ الَّذِي لَا يَزُولُ.

فَخَرَسَ الرَّاهِبُ، وَقَالَ: الْاِنْتِبَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ قَالُوا وَاخْبَرُوا بِهِ - أَعْنِي بِسَيِّدُنَا عِيسَى.

قُلْتُ: لَمْ تَقُلْ الْاِنْتِبَاءُ ذَلِكَ!

وَإِذَا قَالُوا: ابن (١٠٢) الله؛ فَقَدْ تَبَيَّنَ ان من كان مومنا، وعمل صالحا كَانَ يَسْمَى بِابْنِ الله. وقال ايضا في التوراة: ان الصلحاء هم ابناء الله تعالى. والنص فيما ذكرنا ان تلامذه سألوا سيدنا عيسى - عليه السلام - قال مَتَّى في الباب الرابع وعشرين: قال سيدنا عيسى: "قاما ذلك اليوم والساعة لايعرفها احد ولا الملائكة السموات إلا الأب وحده". وهذا اقرار من سيدنا عيسى - عليه السلام - ان الملائكة اعلم منه.

وقال مَرْكُشُ في الباب الثالث عشر، والمقالة اثنان وثلاثون: سال مَرْكُشُ وَبِذْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَجُوان واندريس سيدنا عيسى في جبل الزيتون في خفاء من الناس عن الساعة متى تكون؟ قال: "قاما ذلك اليوم وتلك الساعة لايعرفها احد والملائكة التي في السماء ولا الابن إلا الاب وحده". وهذا برهان الذي قلت للراهب أن سيدنا عيسى - عليه السلام - ليس بإله كما شهد على نفسه إن (١٠٢) (ب) الملائكة اعلم منه حيث قال : "ولا الملائكة"، على وجه المبالغة.

وايضا في الانجيل؛ ما ينسب لما قلت للراهب، ان سيدنا عيسى - عليه السلام - انسان وليس بإله ، قال في الفصل السابع والستين لَمَتَّى: ان سيدنا عيسى - عليه السلام - كان راجعا الى المدينة فجاء، ونظر شجرة تين على الطريق، فجاء إليها، فلم يجد فيها شيئا، إلا ورقا. فقال لها: لا تخرج منك ثمرة الى الابد، فَيَبَسَتْ تلك الشجرة للوقت؛ فلو كان إلهاً - كما تعتقد الكفار انه انسان وإله - فلو كان إلهاً لعلم من موضعه ان الكرمة ليس فيها تين؛ اليس هذا برهان انه انسان مقهور يجهل الغيب ولا يبصر الا الظاهر فقط ؟

وايضاً في الانجيل انه كان يسأل عن قبر لعازر حتى حملوه إليه.

وأما ذكر البارقليط فهو فيما كتب يوحنا في الفصل الثالث والثلاثين، وخمس وثلاثين، قال: "فإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لانه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع و(١٠٣) يخبركم بما ياتي، وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم.

وقد سألت الراهب: مامعنى البارقليط؟

قال: هو اسم يوناني، ومعناه: الشفيح بالعربية. فهذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه لم يتكلم من ذاته، بل يتكلم في امور الدين بكل ما يسمع من الوحي من عند الله تعالى.

واما معنى ما قال سيدنا عيسى - عليه السلام - للحواريين: "يعلمكم جميع الحق، ويخبركم؛ فتقول النصارى: انه جاء اليهم؛ وبذلك قال لي قسيس بمدينة برّيش حين قلت له: ان البارقليط شخص يتكلم، وانه نبينا - صلى الله عليه وسلم -؛ والصحيح ان سيدنا عيسى - عليه السلام - كان يتكلم مع المومنين، وليس الكلام معهم فقط؛ لأنه قال لهم ما يكون في اخر الزمان، بقوله: اذا رأيتم كذا وكذا، والصحيح انهم لا يعيشون لآخر الزمان. والبرهان في ذلك، قال متى في الفصل الثامن وسبعين: فجاء اليه تلاميذه في خلوة (١٠٣ب) قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما علامة مجيئه وانقضا الزمان؟ فاجاب وقال لهم: انظروا لا يضلکم احد؛ كثير ياتون باسمي، قائلين: انا هو المسيح، ويضلون كثيرا. فإذا سمعتم

بالحروب واخبار الحروب انظروا! لا تقلقوا فلا بد ان يكون هذا كله". ثم قال : "فإذا رأيتم رذلة الخراب الذي قيل في دانيال النبي قائما في المكان المقدس"؛ فليفهم القاريء، والكلام كثير في هذا المعنى، وهو من علامات القيامة. وكان الخطاب لهم. وكذلك الكلام على البارقليط معهم بأن قال: "ياتيكم"؛ والمفهوم: بعدهم - كما ذكر في هذا الباب.

واما قوله: " كثير ياتون باسمي قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا"، فهذا والله اعلم - هم البَّاب؛ لانهم يضلون الناس، بان يشركون بالله ويعبدون الخبز والخمر (١٠٤أ) وآلات الصليب والانام. وسيدنا عيسى - عليه السلام -، تقدم لنا؛ حين جاء إليه ابليس وقال له: ان يسجد له؛ قال سيدنا عيسى - عليه السلام - "مكتوب، هو الاله وحده نعبد واليه نسجد". وتقدم إنني سألت الراهب: ما معنى البارقليط؟ قال: هو اسم يوناني؛ ومعناه بالعربية: الشفيع. وهذا شخص مخلوق يشفع في المذنبين والإله كيف يشفع؟ أو ممن يطلب ويرغب؟ وقال يوحنا في الفصل الثالث والاربعين: قال سيدنا عيسى - عليه السلام - لامرأة اسمها مريم مَضَالِيْن - وليست بأُم سيدنا عيسى - عليه السلام -: "امض إلى اخواني وقلّي لهم: اني صاعد إلى أبي وأبيكم والهي والهكم". انتهى. فهذا كلامه - عليه السلام - فهو بَيِّنٌ (١٠٤ب) كالشمس بغير غمام انه انسان حقيقة، اذ قال: "أبي وأبيكم والهي والهكم"، انتهى.

اعلم إن النصارى أخذوا كفرهم وشركهم مما كتب يوحنا المتجيلي؛ مما شهد في ابتداء كلامه وخطبته في الباب الاول؛ قال: "البداء كان الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة، كان هذا قديماً عند الله، كله به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان وبه كانت الحياة، والحياة هي نور الناس، والنور أضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"، إنتهى.

هذا هو الأساس الى شركهم؛ لانهم يجعلون الكلمة إلهاً. وقال العلامة الاسكندر احمد الفيلسوفى الدربزوني^١ - في تأليفه في الرد على النصارى - : " كلام الله لا ينحصر صدقه على عيسى - عليه السلام - فقط؛ بل يصدق على كثير؛ وهو موافق بآية كريمة: ﴿بَلِّغْ رُوحَ مَنْ أَمَرَ عَلَىٰ مِنْ شَأْنِهِ عِبَادَةً﴾؛ وليس كلام الله عين ذاته الله؛ اذ الكلام غير المتكلم، لأنه شبيه الكلام بالبذر (١٠٥ أ) والمتكلم بالحرث.

فاذن لو كان عيسى - عليه السلام - إلهاً على تقدير كونه كلام الله؛ لزم أن يكون كلما أصدق عليه انه كلام الله ايضاً إلهاً؟ فحينئذ لزم إلهات متعددة فاللزام باطل بالبداهة، والملزوم مثله. وهو موافق بآية كريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا لِلَّهِ لَأَسْلَفَتَا﴾. انتهى.

وقال لي بمراكش شيخنا، الخير الامام الفقيه، سيدي أحمد بن الحاج أحمد التواتي: أن فقيها من المسلمين كان أسيراً عند كافر نصراني يقرأ بالعربية؛ وقال للمسلم: عندكم في القرآن ان عيسى هو روح من الله؛ واتى بآية قال: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، وعزم انه ينتقم من

^١ في الأصل: الدين ونبي، فلعله يريد الدينوي او الديني.

المسلم اذا لم يات بحجة تفكّه من يده. قال الفقيه: ان شاء الله بالقرءان العزيز ننجوا منه. فتوضى، وقرأ من أوله الى أن قال: ﴿وسخر لكم ما في السموات والارض جميعاً منه﴾ ففرح بذلك؛ وقال للكافر: اسمع قول الله تعالى في القرءان العزيز، وقرأ الآية؛ وقال: هذه الآية مثل الذي قال الله تعالى: ﴿بروح منه﴾؛ فكما خلق السموات والارض، خلق سيدنا عيسى. ولما رأى النصراني الحق ترك (٥٠ اب) المسلم مما عزم عليه. ولو ذكر له قوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾؛ وكذلك: ﴿وابدء بروح منه﴾؛ فكان ينجوا من الكافر.

واعلم ان النصارى فتشوا برهان التثليث في الالهية؛ ولا وجدوه، لأنّ الباطل كان زهوقاً. وقالوا: ليس لنا [إلا]¹ الإيمان بذلك، ويحصل به الاجر. وهي قاعدة في دينهم ان يؤمنوا بما في الكنيسة الكبرى التي برومة؛ وهي عامرة بالاصنام والصلبان؛ وهي الباب الكبير للدخول في النيران، يقودهم إليها وليهم الشيطان؛ لعنهم الله تعالى بقوله في القرءان: ﴿ألا لعنت الله على الكاذبين﴾.

¹ زيادة اقتضاها السياق اللفظي.

الباب الثالث عشر

في ذكر ما أنعم الله تعالى عليّ من فضله في بلاد الأندلس

وبغيرها من البلاد

إعلم - رحمك الله تعالى - ان هذا الباب توقفت فيه من وجوه. وكنت نتردد فيه، بما نعرف من نفسي (١٠٦) من التقصير والجَهْل والدُّنُوب - نَسْنُلُ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ وَالسَّعَادَةَ - وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَقِينِ فِي الْإِعْتِقَادِ فِي تَوْحِيدِهِ؛ لَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ طَالَعْتُ كُتُبَ الْأَدْيَانِ الثَّلَاثَةِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ بَابٌ مِنْ كَثْرَةِ بَيَانِهَا مِنَ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ حَتَّى تَمَنَيْتُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ، فَعَزَمْتُ عَلَى كِتَابِهِ وَكُنْتُ نَتَرَدَّدُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْأُمُورِ، لِمَا ذَكَرَ السُّنُوسِي - نَفَعَ اللَّهُ بِهِ - فِي شَرْحِ الصُّغْرَى فِي التَّوْحِيدِ - فِي بَابِ ذِكْرِ اللَّهِ -: "أَنَّ بَعْضَ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلَازِمِينَ لِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَجِدُ تَحْتَ السَّجَادَةِ دَرَاهِمَ حَبِّي شَهْرَ ذَلِكَ أَنْقَطَعَ عَنْهُ؛ وَكُنْتُ أَخَافُ إِنْ إِذَا ذَكَرْتُ أَمْرًا مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ يَعِينَنِي عَلَى عِبَادَتِهِ يَذْهَبُ عَنِّي؛ حَتَّى رَأَيْتُ لَيْلَةً فِي النَّوْمِ أَنِّي أَتْلُو آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ إِحْدَثُهُنَّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بَعَثَ رَبِّكَ حَدَّثْتُ﴾؛ وَالثَّانِيَةِ: ﴿سَرَّيْهُمْ﴾ (١٠٦) أَبَا تَنَانِي الْأَقَايِ عَنِّي أَنَّهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ؛ أَوَّلَهُمْ كَفَرُوا بِكَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. وَالثَّلَاثَةَ: ﴿وَحَدَّيْكَ ضَعُفًا فَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ﴾.

وَفَهِمْتُ مِنَ الْآيَتَيْنِ الْإِبَاحَةَ لِكُتُبِ الْبَابِ، بَلِ الْأَمْرُ بِذَلِكَ، فَالْآيَةُ
الْآخِرَةُ مَا فَهِمْتُ مَعْنَاهَا؛ وَتَكَلَّمْتُ مَعَ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْإِجْهَوْرِيِّ
بِذَلِكَ؛ وَقَالَ لِي: حَتَّى الْآيَةِ الْآخِرَةِ هِيَ مِثْلُ اللَّيِّ قَبْلَهَا بِالْأَمْرِ: أَنْ لَا
تَتَوَقَّفَ، وَادْكُرْ، وَاكْتُبْ؛ فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَبَعْدَ أَنْ كَتَبْتُ وَذَكَرْتُ الْمَسْئَلَةَ الَّتِي تَعَيَّنَنِي عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ؛ فَبَقِيَ
الْأَمْرُ أَحْسَنُ مِمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ - لِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِهِ وَعَلَى
فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ -؛ وَبَعْدَ أَنْ تَكَلَّمْتُ مَعَ الشَّيْخِ أَوْ بِقُرْبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوْ
فِي اللَّيْلَةِ بِنَفْسِهَا ذَكَرْتُ الْأَمْرَ الَّذِي مَا ذَكَرْتُهُ قَطُّ إِلَّا لَوَاحِدٍ مَرَّةً؛ وَبَعْدَ
أَنْ ذَكَرَ لِي بَعْضَ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ. فَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا هُنَا
بِمَصْرٍ رَأَيْتُ الْمَسْئَلَةَ فِي الْيَقِظَةِ عَلَى عَادَتِهَا. ثُمَّ ذَكَرْتُهَا لِأَخٍ مِنْ
الْمُحِبِّينَ فِي اللَّهِ وَلَمْ تَذْهَبْ (١٠٧) عَنِّي.

وَهَلْ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنْ قَرَأْتِي فِي أَقَلِّ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ كَانَ ذَلِكَ
هَيْبَةً وَتَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَذَلِكَ بِبَرَكَاتِهِ الْإِنْدُلُسَ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي
الرَّحِلَةِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ يُسَهِّلُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِمْ إِذَا
لَيْسَ لِأَحَدٍ تَيْسِيرٌ فِي الْحَالِ لِيَقْرَأَ فِي الْإِلَاحِ [وما] فِي الْوَرَقِ بِجَمْعٍ
فَكَرْتُ؛ فَإِذَا قَرَأَ يَخْفَى الْوَرَقُ [...] مِنْ مِنْهُ. وَلَمَّا أَنْ جِئْتُ لِأَبِي
قُلْتُ [...] قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ لَهُ: هَذَا [...] فَكُنْتُ أَقْرَأُ الْأَسْمَاءَ
الْمَذْكُورَةَ [...] لَهُ الْقَصِيدَةُ، قَالَ لِي: سِرْ عَنِّي [...] وَتَقُولُ أَنَّهَا
فِي الْوَرَقِ؟ وَكُنْتُ [...] مِرَارًا، إِنَّ ذَلِكَ حَقٌّ؛ وَلَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ الشَّكُّ
حَتَّى جَاءَ إِلَى دَارِنَا ابْنُ عَمِّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقَالَ لَهُ: قَدْ فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْهِ.

١ مطموس في الاصل.

وَقَدْ كَتَبْتُ السَّبْعَ هَيَاكِلُ فِي وَرَقَةٍ وَجَعَلْتُهَا عَلَى حِرْزٍ، رَجَاءُ
بَرَكَاتِهَا؛ وَنِمْتُ لَيْلَةً؛ وَعِنْدَ الصُّبْحِ فَتَشْتُ الْوَرَقَةَ فَلَمْ نَجِدْهَا، وَظَنَنْتُ
أَنَّهَا وَقَعَتْ مِنِّي فَتَغَيَّرْتُ (١٠٧ ب) عَلَيْهَا مِنْ وَجْوهٍ لئَلَّا يَجِدَهَا
نَصْرَانِي وَيَنْضُرُّ الْمُسْلِمُونَ؛ وَأَيْضًا إِذَا أَصَابَهَا مُسْلِمٌ فَرُبَّمَا يَعْرِفُ
خَطِيئِي، وَيَكْثُرُ الْكَلَامُ عَلَيَّ عِنْدَ الْأَنْدُلُسِ. وَلَمَّا أَنْ صَلَّيْتُ الصُّبْحَ
أَخَذْتُ فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُتَضَرِّعًا بِنَبِيِّهِ إِنْ
يَرُدُّ عَلَيَّ الْحِرْزَ؛ وَكُنْتُ أَقْرَأُ دُعَاءَ كَانَ [الوالدان رحمهما] اللَّهُ
يَحْفَظَانِهِ، فَلَمْ نَتِمَّهْ بِالْقِرَاءَةِ، وَالْوَرَقَةُ [...] كَانَتْ نَزَلَتْ فِي كَفِّي
فَفَرَحْتُ [فرحا عظيما] وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَازْدَادَ
[....] أَنْ أَخْتِي رَحِمَهَا اللَّهُ - [...] فَرَقَعْتُ حَوَائِجَ الْفَرَاشِ
وَوَجَدْتُ الْوَرَقَةَ، فَرَمْتُ بِهَا عَلَى بُعْدٍ؛ فَجَاءَتْ فِي الْهَوَاءِ وَنَزَلَتْ فِي
كَفِّي وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ، وَمَرْفُوعَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "إِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْبَلَاءَ
وَيَسْتَخْرِجُ بِهِ الدُّعَاءَ".

وَهَذَا هُوَ الدُّعَاءُ الْمُبَارَكُ الَّذِي كُنْتُ أَقْرَأُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَوَّلُ يَا قَدِيمُ، يَا فَرْدُ، يَا وَثَرُ، يَا أَحَدُ (١٠٨ أ) يَا
صَمَدُ، يَا اللَّهَ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا عَزِيزُ، يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، يَا
كَافِي، يَا هَادِي، يَا بَارِي، يَا عَالِمُ، يَا صَادِقُ [...] يَا حَمِيعُ سِقِّ، يَا
رَبَّ الْأَرْبَابِ [يا مجري السحاب] يَا مَالِكَ الْمُلُوكِ يَا وَلِيَّ الْعَالَمِينَ

[....] اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ، أَنْتَ [....] الْأَرْضَ وَلَا إِلَهَ فِيهِمَا غَيْرُكَ [....] فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ [....] وَمَا بَيْنَهُمَا غَيْرُكَ؛ قُدْرَتُكَ فِي الْأَرْضِ كَقُدْرَتِكَ فِي السَّمَاءِ. سُلْطَانُكَ فِي الْأَرْضِ كَسُلْطَانِكَ فِي السَّمَاءِ. اسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الْكَبِيرِ، وَوَجْهِكَ الْمُنِيرِ، أَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ أَنْتَهَى.

وَمِمَّا مَنَى^١ اللَّهُ عَلَيَّ بِهِ أَنْ شَفَا لِي مَرَضِي بِالنَّشْرِ فَقَطُّ وَالرَّقَا بَيَّاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ. وَلَنَذْكُرُ (١٠٨ب) هُنَا بَعْضُ مَا تَذَكَّرْتُ إِلَيْهَا. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَمْلُوكَةَ سُودَانِيَّةَ أَسْمُهَا مُبَارَكَةٌ كَانَتْ بِدَارِنَا بِمِرَاكُشٍ وَخَرَجَ فِي جَسَدِهَا الْبَرَصُ الْكَثِيرُ، وَهُوَ فِي زِيَادَةٍ [....] كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي تِلْكَ الْعِلَّةِ وَذَكَرْتُهَا [لَطِيبٌ قَالَ: ان] دَاعَوْهَا صَعْبٌ وَتَحْتَاجُ أَدْوِيَّةً كَثِيرَةً [....] الصِّيفُ يُلِيقُ الْعِلَاجَ، فَتَوَقَّفْتُ [....] فِي كِتَابِ الدَّرِّ النُّظِيمِ فِي [....] الْوَادِيَّاشِيِّ، قَالَ [....] إِنْ لَمْ يَذْهَبْ بِمَاءٍ وَرَدٍ وَزَعْفَرَانٍ [....] الْبَرَصُ إِنَّهُ يَزُولُ عَنْهُ أَوْ يُوقَفُ [....] هَذَا دَوَاءٌ أَسْهَلُ وَأَقْرَبُ مِمَّا ذَكَرْنَا [....] فَكَتَبْتُ السُّورَةَ كُلَّهَا فِي إِنَاءٍ لَمْ يَدْخُلْهَا طَعَامٌ. وَمَحَوْتُ الْحُرُوفَ بِمَاءٍ نَقِيٍّ وَأَعْطَيْتُ الْمَاءَ لِلْمَبْرُوصَةِ وَشَرِبَتْهُ؛ وَلَا كُنْ أَخَذْتُ مِنَ الْمَاءِ شَيْئًا وَنَشَرْتُ أَوْ وَضَعْتُ مِنْهُ عَلَى مَوَاضِعِ الْبَرَصِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَدَأَتْ كُلُّ لَمْعَةٍ تَصْغُرُ عَلَى قَدْرِهَا. وَبَعْدَ سِتِّتِ أَشْهُرٍ أَوْ أَكْثَرَ (١١٠٩) صَارَتْ مَوَاضِعُ الْبَرَصِ حُمْرًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بَيِضًا؛ ثُمَّ أَسْوَدَّتْ مِثْلَ سَائِرِ الْجَسَدِ؛ وَشَفَاهَا اللَّهُ.

^١ يريد: مَنْ.

وَبَعْدَ عَامَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ خَرَجَ فِيهَا الْبَرَصَ مَرَّةً ثَانِيَةً حَتَّى أَنْ بَعْضَ
 اللَّمَعِ كَانَتْ قَدْرَ الدِّينَارِ؛ فَكَتَبْتُ لَهَا مَرَّةً ثَانِيَةً السُّورَةَ الْمُبَارَكَةَ
 وَشَرَبْتُ مَاءَهَا، وَبَدَأَهَا الشِّفَا مِنْ ذَلِكَ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ؛ وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا
 إِلَى أَنْ جَازَتْ نَحْوَ الْعَشْرِ سِنِينَ وَمَاتَتْ. وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ إِذْ لَيْسَ
 فِي هَذَا الْعِلَاجِ شَيْءٌ مِنَ الْعَقَاقِيرِ وَلَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تُعَالَجُ بِهَا
 الْأَمْرَاضُ؛ إِنَّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ مَحْلُولٍ فِي قَلِيلِ مَاءٍ وَرُبِّ
 لَتَظْهَرَ الْحُرُوفُ فَقَطْ.

وَقَدْ جَاءَنِي بِيْلَادُ الْإِنْدَلُسِ رَجُلٌ مَرِيضٌ بِالْإِسْتِسْقَا، وَهُوَ مَنفُوحٌ
 مَتْرُوكٌ مِنَ الْأَطْيَاءِ، وَكَتَبْتُ لَهُ نَشْرَةَ بَايَاتِ الْقُرْآنِ، وَمَحَوْتُهَا
 وَأَعْطَيْتُهُ الْمَاءَ وَشَرِبَهُ فِي نَحْوِ السَّبْعَةِ أَيَّامٍ وَبَرَأَ. وَجَاءَنِي وَقَالَ: مَا
 كُنْتُ نَظُنُّ أَنَّي نَبْرَأَ مِمَّا أَصَابَنِي؛ وَالْآنَ شَفَانِي اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَاءِ
 الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، وَلَيْسَ لِي بِمَا نَكَفَيْكَ إِلَّا أَنْ تُحِبُّ أَنْ أَخْدَمَكَ فَأَكُونُ
 كَأَنِّي مَمْلُوكٌ لَكَ. وَنَحِبُ مِنْكَ أَنْ تُخْبِرَنِي (١٠٩ ب) بِمَا دَاوَيْتَنِي؟
 قُلْتُ: لَا أَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئًا، وَلَا أَقُولُ لَكَ بِمَا دَاوَيْتُكَ؛ وَذَهَبَ سَالِمًا
 فَارِحًا.

وَجَاءَنِي رَجُلٌ، وَاسْتَكَى أَنَّهُ مَهْمَى يَمِثُّ يَدَهُ لِلْوَضُوءِ وَابْتَدَأَ بِهِ
 تَبْطُلُ يَدُهُ الْيُمْنَى؛ وَكُنْتُ فِي مَوْضِعٍ مَا أَمَكَّنَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ شَيْئًا؛
 وَقَبَضْتُ يَدَهُ مِنْ مَرْفِقِهِ وَقَرَأْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ
 الْعَزِيزِ؛ وَبَدَأَ يَبْرَأُ مِنْ حِينِهِ إِلَى يَوْمٍ آخَرَ؛ قَرَأْتُ أَيْضًا وَلَا كَانَ
 يَحْتَاجُ ذَلِكَ، وَشَفَاهُ اللَّهُ.

وَمِمَّا اتَّفَقَ لِي بِبِلَادِ الْفَرَنْجِ بَعْدَ أَنْ جَازَتْ عَلَيْنَا السَّنَتَيْنِ وَنَحْنُ فِيهَا؛ إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ حِسًّا فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَكُونُ فِيهِ وَخَدِي فِي الْيَقْظَةِ، يَضْرِبُ فِي الْحَايِطِ شَيْئًا أَوْ قَرِيبًا مِنِّي فِي لَوْحٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَبَيْنَ الضَّرْبَةِ وَالْأُخْرَى قَدْرٌ مَا يَعْدُ الْإِنْسَانُ ثَلَاثَةً مِنْ وَاحِدٍ إِلَى أَرْبَعَةٍ؛ وَدَخَلَ فِي قَلْبِي الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى خَفْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنْ يَصْرِعَنِي؛ وَاسْتَعْلَنْتُ نَذْرُكَ اللَّهُ تَعَالَى بِلَا فِتْرَةٍ؛ لَعَلِّي نَتَّقُوهُ بِذَلِكَ وَنَنْجُوا مِنَ الْجِنِّ؛ وَكَانَ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَضْرِبُ فِي الْبَيْتِ وَفِي غَيْرِهِ، وَإِذَا أَكُونُ وَخَدِي وَتَغَضَّبَ عَلَيْهِ، وَتَضْرِبُ (١١٠) إِلَى جِهَتِهِ، يَزِيدُ هُوَ فِي الضَّرْبِ. وَرَأَيْتُ أَنْ الصَّبْرَ أَوْ لَا بِي؛ وَلَا كُنْتُ أَدْرِي مَاذَا كَانَ مُرَادَهُ، ثُمَّ فَهِمْتُ أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ.

وَبَعْدَ أَنْ وَلَّيْتُ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَيْضًا يَعْمَلُ لِي حِسًّا يُلْهِمَنِي إِلَى الصَّلَاةِ إِذَا تَنَاطَلُ عَنْهَا، وَأَيْضًا بَعْضَ أَلْيَالِ عِنْدَ السَّحَرِ يَضْرِبُ فِي الْبَيْتِ إِلَى أَنْ أَقُومَ، أَوْ نَقْرًا فِي الْفِرَاشِ وَكُنْتُ مُتَحِيرًا فِي أَمْرِهِ، قُلْتُ: هَذَا جِنٌّ مُؤْمِنٌ، وَلَا اسْتَعْمَلْتُ قَطُّ عَزَائِمَ لِنَتَّخِذَ خَدِيمًا مِنَ الْجِنِّ؛ ثُمَّ بَانَ مِنْهُ إِذَا أَكُونُ وَخَدِي نَقْرًا الْقُرْءَانَ الْعَزِيزِ وَتَأْتِينِي سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ حَتَّى يَلْتَوِي لِسَانِي بِالْقِرَاءَةِ فَيَضْرِبُ لِي فِي الْبَيْتِ لِنَفِيقٍ وَنَقْرًا. ثُمَّ إِذَا جَانِي النَّوْمُ يَضْرِبُ أَيْضًا حَتَّى نَخْتِمُ الْقِرَاءَةَ.

وَبَعْضَ أَلْيَالِي بِالسَّحَرِ لَا يَهْدِي عَنِ الضَّرْبِ إِلَى أَنْ أَقُومَ؛ وَتَارَةً إِذَا كَانَ أَحَدٌ مَعِي فِي الْفِرَاشِ يَطْلُقُ عَلَيَّ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ التُّرَابِ أَوْ حَجَارَةٍ صِغَارًا قَدْرَ الْحَمْصِ؛ وَيَضْرِبُ بِهِ قَرِيبًا مِنْ وَجْهِهِ؛ وَنَأْخُذُ

الْحَجَرَةَ بَعْضَ الْمَرَّاتِ بِيَدِي؛ وَتَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ مُرَادُهُ إِلَّا أَنْ أَقُومَ
نَقْرًا فَقَطْ. وَإِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ (١١٠ ب) الَّذِي نَبِيتُ فِيهِ نَجَاسَةً
خَاطِرَةً؛ فَيَضْرِبُ وَيَعُودُ لِلضَّرْبِ حَتَّى نَخْرِجُهَا، وَتَارَةً نَسْتَعْمِلُ مِنْ
نَفْسِي إِنْ النُّعَاسَ جَاءَنِي وَنَظْهَرُ ذَلِكَ بِالْقِرَاءَةِ وَهُوَ لَيْسَ بِالْقُرْبِ مِنِّي
لَعَلَّهُ يَضْرِبُ فَلَا يَضْرِبُ أَبَدًا إِلَّا عِنْدَ ابْتِدَاءِ النَّوْمِ حَقِيقَةً.

ثُمَّ تَحَقَّقْتُ مِنْهُ أَنَّهُ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، فَكَمْ مَرَّةً أَكُونُ أَقْرَأَ وَيَضْرِبُ؛
وَنَنْظُرُ مَاذَا أَقْرَأَ؟ وَتَرَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنِّي غَلَطٌ فِي الْقِرَاءَةِ.

وَكُنْتُ يَوْمًا بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشَ جَالِسًا أُنَرِّجُمُ رِسَالَةَ بِاللُّطِينِ تَتَكَلَّمُ
عَلَى الْكُورَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَالْفَلَكَيَّةِ، وَالْكُرَّتَانِ كَبِيرَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ فِي
كُرْسِيِّ مَرْسُومٍ فِي السَّمَاءِ النُّجُومِ الثَّوَابِتِ وَالْبُرُوجِ فِي الْفَلَكَ
وَالصُّورِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْمُتَجَمِّينَ بِأَسْمَائِهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَرْضِيَّةِ،
كُلُّ مَدِينَةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْأَقْطَارِ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَقَالِيمِ، وَكُلُّ بَلَدٍ
بِاسْمِهِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ، وَالْأَبْحُرُ وَالْأَنْهَارُ، كَانَ قَدْ أَمَرَنِي السُّلْطَانُ
مَوْلَايَ زَيْدَان - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِتَرْجَمَةِ ذَلِكَ الرَّسَالَةِ، قُلْتُ لَهُ: هِيَ
بَلُغَتِ اللَّطِينِ، وَلَا نَعْرِفُهَا، قَالَ: مَنْ يَعْرِفُ اللَّطِينِ؟ قُلْتُ: أَسِيرٌ
رَاهِبٌ مِنْ أَسَارَى الْمَقَامِ (١١١ أ) الْعَلِيِّ؛ قَالَ: يَقْعُدُ مَعَكَ.

وَكُنَّا فِي دَارِ السُّلْطَانِ نُنَرِّجُمُ ذَلِكَ وَالرَّاهِبُ مَعِيَ وَجَاءَ وَقْتُ
الظُّهْرِ؛ وَتَعَطَّلْتُ لِنَتِمَّ بِالْكِتَابَةِ مَا بَقِيَ مِنْ وَجْهِ وَرَقَةٍ. وَسَمِعْتُ
الضَّرْبَ فِي وَرَا لُوحٍ مِنْ خَشَبٍ؛ قَالَ الرَّاهِبُ: مَا هَذَا الضَّرْبُ؟
قُلْتُ: لَا أَدْرِي. وَقَامَ مِنْ مَوْضِعِهِ وَمَشَى إِلَى ظَهْرِ اللُّوحِ الَّذِي كَانَ
الضَّرْبُ فِيهِ؛ وَلَا رَأْيَ شَيْئًا وَبَقِيَ مُتَعَجِّبًا. وَعَلِمْتُ أَنَّ الضَّرْبَ
كَانَ يَقُولُ لِي أَنْ أَتْرُكَ كُلَّ شَيْءٍ وَأُصَلِّيَ الظُّهْرَ.

وَكَانَ إِبْتِدَاءُ هَذَا الْأَمْرِ قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ بِخَوِ الْخَمْسِ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ وَنَعْرِفُ أَنَّهُ مَعِيَ أَيْنَ مَا أَكُونُ وَلَا نَرَاهُ وَلَا يُجَاوِبُنِي بِأَمْرَةٍ؛ وَقَدْ طَلَبْتُهَا مِنْهُ وَلَا ظَهَرَ لِي مِنْهُ إِنْتِقَالَ إِلَّا يَرْعَى مَا نَقُولُ أَوْ مَا نَعْمَلُ، حَتَّى إِظُنُّ أَنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي عَلَى الْيَمَنِ؛ وَأَنْ كَانَ هَذَا الظَّنُّ غَرِيبٌ وَبَعِيدٌ، وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ، وَتَحَقَّقْتُ مِنْهُ أَنَّهُ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ؛ وَتَارَةً أَقْرَأُ سُورَتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ؛ وَنَتْرُكُ الْقِرَاءَةَ وَيَضْرِبُ لِي أَنْ أَزِيدَ. وَأَظُنُّ أَنَّ بَعْضَ اللَّيَالِي حِينَ يَضْرِبُ لِي أَنْ أَقُومَ أَنَّ تِلْكَ سَاعَةَ الْجَابَةِ (١١١ ب) لِلدُّعَاءِ.

وَكَنْتُ لَيْلَةً أُرِيدُ أَنْ أَخْتِمَ الْقِرَاءَةَ إِلَى سُورَةِ "النَّاسِ"؛ وَكَنْتُ أَقْرَأُ حِزْبَ صَبْحٍ^١ وَتَسَلَّطَ عَلَيَّ النَّوْمُ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي الزَّمَنِ الَّذِي كُنْتُ مَشْغُولًا بِتَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ - وَإِذَا قَرَأْتُ سُورَةً أَوْ سُورَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ يَبْدُوَنِي النَّعَاسُ قَلِيلًا مِنْ غَيْرِ تَرَكِ الْقِرَاءَةَ فَيَضْرِبُ حَتَّى نَتَّقُوِي؛ وَلَا خَتَمْتُ الْحِزْبَ حَتَّى ضَرَبَ نَحْوَ أَلْسَتِ مَرَّاتٍ. وَلَمَّا خَتَمْتُ وَقَفْتُ عَنْ الضَّرْبِ؛ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مَنْ يَعِينَنِي عَلَى عِبَادَتِهِ. وَكَنْتُ أَوَّلَ الْحَالِ نَكَرَهُ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ؛ وَقَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وَأَزِيدُ فِي هَذِهِ النُّسخَةِ مَا لَا هُوَ فِي النسخِ الَّتِي كَتَبْتُ قَبْلَهَا. وَذَلِكَ أَنَّ فِي عَامِ خَمْسِينَ وَالفِ كُنْتُ بِمَدِينَةِ تُونِسَ الْمَحْرُوسَةِ بِاللَّهِ سَاكِنًا فِي بَيْتٍ وَحْدِي؛ وَإِذَا خَرَجْتُ نَسُدُّ بِالْمِفْتَاحِ، وَوَجَدْتُ يَوْمًا شُمْسِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ - اعْتَنِي: مِمَّا يَنْتَضِمُ فِي شِرْكَةٍ أَوْ قِلَادَةٍ، مِمَّا تَجْعَلُ النِّسَاءَ فِي الْعُنُقِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ شَيْئًا رَبَّانِيًّا أَتَانِي بِهَا؛ فَمَشَيْتُ

^١ يريد: حزب شبح.

إِلَى صَايَغٍ وَقَالَ: هِيَ (١١٢أ) مِنْ ذَهَبٍ، فَرَفَعْتُهَا وَأَنَا أَقُولُ: لَا
أَدْرِي مَا الْمُرَادُ بِهَذَا؟ ثُمَّ بَعْدَ أَشْهُرٍ جَاءَ ابْنِي بِزَوْجَتِهِ مِنْ تَسْتُرْتٍ -
بِلَادٍ - وَتَزَلَّ عِنْدِي. ثُمَّ أَنَّ زَوْجَتِ ابْنِي أَرَادَتْ تَمْشِي لِمَوْضِعٍ آخَرَ
وَأَوْدَعَتْ عِنْدِي شِرْكَةً أَزَالَتَهَا مِنْ عُنُقِهَا بِتِسْعِ شُمَيْسِيَّاتٍ مِثْلَ اللَّيِّ
كَانَتْ عِنْدِي مِنْ ذَهَبٍ. وَلَمَّا أَنَّ جَاءَتْ أَعْطَيْتُهَا الشِّرْكَةَ، وَقُلْتُ لَهَا:
كَمْ فِيهَا مِنْ شُمَيْسِيَّاتٍ؟ قَالَتْ: تِسْعَةٌ؛ وَكَانَتْ عَشْرَةٌ، وَقَبْلَ هَذِهِ الْأَيَّامِ
بِأَشْهُرٍ تَلَفْتُ لِي وَاحِدَةً فِي تَسْتُرْتٍ، فَأَخْرَجْتُ اللَّيِّ كَمَا كَانَتْ عِنْدِي
وَأَعْطَيْتُهَا لَهَا، وَقُلْتُ: الْمُعْلَمُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ اللَّيِّ عِنْدَكَ. وَظَنَنْتُ أَنَّ
أَمَرْتُ بِعَمَلِهَا. فَتَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، كَيْفَ عَلِمَ حِينَ اتَّانِي
بِالشُمَيْسِيَّاتِ أَنَّ زَوْجَةَ ابْنِي سَتَاتِي وَتَطْرُحُ عِنْدِي الْقِلَادَةَ الَّتِي خَصَّتْ
مِنْهَا اللَّيِّ تَلَفْتُ؟ وَالْمَعْلُومُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ قَبْلَ وَقُوعِهِ إِلَّا اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَوْ مَنْ يُوحِي إِلَيْهِ ذَلِكَ.

وَمِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي؛ وَكَانَ عَامَ سِتٍّ
وَارْبَعُونَ وَأَلْفٍ، فِي نَحْوِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ، يَوْمَ السَّبْتِ، وَأَنَا فِي
مِصْرَ؛ (١١٢ب) وَكَانَ لِي كِتَابٌ كَتَبْتُهُ بِيَدِي يَتَعَلَّقُ بِجُمْلَةِ الْأَسْمَاءِ
الْحُسْنَى لِسَيِّدِي أَحْمَدَ زَرْوَقَ بْنِ عَتْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ - نَفَعَ اللَّهُ بِهِ -
وغير ذلك فَجَعَلْتُهُ عَلَى نَفْسِي بَيْنَ قَفْطَنَيْنِ إِلَى جَانِبِ الْقَلْبِ وَمَشَيْتُ
إِلَى دُكَّانِ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي الْعَاصِي الْأَنْدَلُسِيِّ؛ كُنْتُ فِيهِ أَمِينًا عَلَى
قَبْضِ مَا يَبِيعُ التَّاجِرُ الَّذِي كَانَ فِيهِ لِلْبَيْعِ؛ وَفِي الطَّرِيقِ حِينَ كُنْتُ
مَاشِيًا اسْتَرَيْتُ رَغِيفًا وَجَعَلْتُهُ بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْجَسَدِ؛ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى
الدُّكَّانِ أَرَدْتُ نَقْبِضُ الْكِتَابَ وَالرَّغِيفَ وَلَا وَجَدْتُ كِتَابًا وَلَا رَغِيفًا.
وَجَلَسْتُ فِي حُزْنٍ وَتَغْيِيرٍ مَا لَا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْذُ زَمَنٍ. وَتَذَكَّرْتُ إِلَى

كُتِبَ سُرِقَتْ لِي بِمَرَاكُشٍ مِمَّا كَتَبْتُ بِيَدِي فِي التَّوْحِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،
بِقُرْبِ الْعَهْدِ الَّذِي جِئْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ؛ وَأَيْضًا لِلْكَتُبِ الَّتِي
كَتَبْتُ بِيَدِي وَمَسَّتْ لِي مَعَ الْجَمَلِ سَنَةً قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ.
وَتَذَكَّرْتُ لَمَّا قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْيَافِعِيِّ؛ وَهُوَ الشَّيْخُ الْأَمَامُ الْعَارِفُ
بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ الْيَافِعِيُّ - نَفَعَ اللَّهُ بِهِ - قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ
الْعَارِفِينَ وَهُوَ يَقُولُ: (١١٣) "أَنْ لِكُلِّ وَضْعٍ فِيهِ حَيٌّ وَهَابٌ، وَلِيَّ
جَوَادٌ، أَبْدَلُ وَاجِدًا بِجَوَادٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَنْقُطُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ"، أَنْتَهَى
مَا كَتَبْنَا مِنْ كِتَابِ الْيَافِعِيِّ .

وَلَمَّا أَنْ قَرَأْتُ مَا ذَكَرَ عَجَبَنِي كَثِيرًا، وَأَخْتَرْتُ ذَلِكَ الْعَمَلَ،
وَنَظَرْتُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَا تَنْقُطُ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ، وَهُوَ عَدَدُ اسْمِ
أَحْمَدَ، وَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ وَهِيَ وَاحِدٌ، هَادِي، وَهَابٌ.
وَيَكُونُ بَدَلًا عَنْ "وَهَابٍ"، "جَوَادٍ"، وَبَدَلًا عَنْهُ أَيْضًا "وَاجِدٌ"، وَلَكِنْ
وَرَدَ فِي "وَهَابٍ": إِنَّهُ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ لِقَوْلِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ -: ﴿رَبِّ اغْنِرْ لِي وَهَابِي﴾ .

وَأَمَّا السَّاعَةُ الَّتِي أَصَابَنِي فِيهَا التَّغْيِيرُ عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي ذَكَرْتُ
أَنَّهُ وَقَعَ مِنِّي فِي الطَّرِيقِ؛ فَالْهَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَقْرَأَ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ،
وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ نَجْعَلَهُمْ فِي وَفْقٍ حَسَبًا ذَكَرَ مِنَ الْعَمَلِ لِاسْمِ
مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يَنْبَسِرْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ؛ وَنَوَيْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَقْرَأَ الْأَسْمَاءَ
وَنَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَعْطِينَنِي عَوْضَ (١٣ ب) الْكِتَابِ الَّذِي
ذَهَبَ لِي وَاللَّهُمَّ الَّذِي أَصَابَنِي بِسَبَبِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا عَائِنْتُ
شَيْئًا. فَقَرَأْتُ "الْفَاحِشَةَ" ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً وَ"الْبَسْمَلَةَ" مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ
"وَالَمْ نَشْرَحْ" ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ وَالْأَسْمَاءَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً. وَجَلَسْتُ

الْيَوْمُ فِي الدُّكَانِ إِلَى بَعْدِ الْعَصْرِ؛ وَجِئْتُ إِلَى الدَّارِ، وَوَجَدْتُ الْكِتَابَ
فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ، فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا مِنْ
وُجُوهِ.

وَلَا يَتَوَهَّمُ قَارِي هَذَا الْكِتَابِ إِنِّي تَرَكْتُهُ فِي الدَّارِ لِأَنِّي عَلَى
يَقِينٍ بِأَنِّي مَشَيْتُ بِهِ وَجَعَلْتُ الْقُرْصَةَ تَحْتَهُ. وَحَصَلَتِ الْإِجَابَةُ؛ وَلَا
أَدْخَلْتُ الْأَسْمَاءَ فِي جَدُولٍ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ الْحَزْنَ الْمُضْطَرَّ لَا يَقْتَرِفُ إِلَى
جَدُولٍ. وَلَمْ نَتْرِكْ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرَ الْيَافِعِيُّ فِي الْعَمَلِ بِنَيْةِ النَّفْعِ
لِلْإِخْوَانِ.

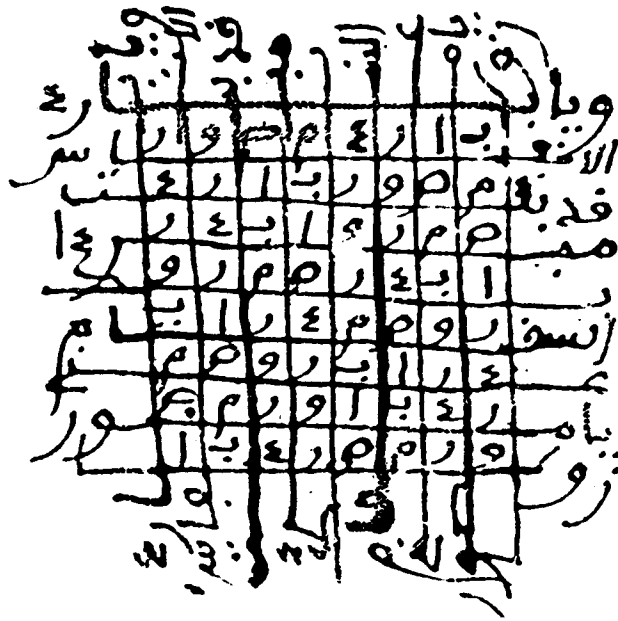
وَمِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ أَنْ سَخَّرَ لِي مُلُوكَ الْمِلَّتَيْنِ،
وَعُلَمَاءَهُمْ وَصُلَحَاءَ دِينِنَا.

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَنْ أَمْرَأَةً كَانَتْ بِهَا
ثَلَاثُ عِلَلٍ: كَانَ ظَهْرُ يَدَيْهَا وَأَصَابِعُهَا بِثَالُولٍ كَثِيرَةٍ، فَكَتَبْتُ جَدُولًا
مُتِمَّنًا حَرْفِيًّا أَدْخَلْتُ (١١٤أ) فِيهِ أَسْمَاءَ مَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى؛
بَارِيَّةً، مُصَوَّرَةً، وَمَزَجْتُهُ بِكَلَامٍ يَنْتِ مِنْ الضَّمِّيَّاتِ^١ وَهُوَ:

"وَيَا بَارِئُ الْإِنْفَاسِ قَدْ بَنَيْتُ مُبْرَأَةً بِكَ السَّقْمُ عَنِّي يَا مُصَوِّرُ زَوْلًا"
وَجَعَلْتُهُ عَلَيْهَا. وَفِي نَحْوِ السِّتِّ أَيَّامٍ لَمْ يَبْقَ فِي يَدَيْهَا أَثَرٌ لِلثَّالُولِ،
وَشَفَاهَا اللَّهُ مِنَ الْعِلَّةِ الْأُخْرَى، وَمِنْ الثَّالِثَةِ نَقَصَ مِنْ دَائِهَا.

وَهَذَا هُوَ الْجَدُولُ مَمْرُوجٌ فِيهِ الْبَيْتُ - كَمَا ذَكَرَ ابْنُ الْحَاجِّ فِي
كِتَابِهِ لِلْمَرْجِ:

^١ يريد: الدميّاطي



وَأَيْضًا رَأَيْتُ بُرْهَانًا لِلْبَيْتِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

"وَيَا مُقْسِطُ ثَبَّتْ عَلَى الْقِسْطِ نَبِيِّي

وَيَا جَامِعُ أَجْمَعْ لِي رِضًا سَائِرِ الْعَمَلَا"

ذَكَرَ فِي الْخَوَاصِّ لِهَذَا (١٤ ا ب) الْبَيْتِ إِنَّهُ نَافِعٌ لِلضَّالَّةِ؛ فَكَانَ إِذَا تُلِّفَ لِي شَيْءٌ نَقَرَاهُ وَبَرَدَهُ اللَّهُ عَلَيَّ بِبَرَكََةِ أَسْمَائِهِ؛ وَقَدْ تُلِّفَ لِي مَجْمُوعُ آلَاتٍ، مِثْلُ مَقْصُوفٍ وَخَذْمِي وَغَيْرُ ذَلِكَ فَفَتَشْتُهُ فِي اللَّيْلِ وَلَا وَجَدْتُهُ، فَقَرَأْتُ الْبَيْتَ مِرَارًا، وَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ إِنَّهُ كَانَ مَطْرُوحًا فِي بُسْتَانٍ كُنْتُ فِيهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ. وَمَشَيْتُ مِنَ الصَّبْحِ لِلْمَوْضِعِ بَعِيدِهِ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِيهِ وَوَجَدْتُهُ.

ثُمَّ مَرَّةً أُخْرَى تُلِّفَ لِي - أَظْنُهُ - مَقْصُوفٌ عَجِيبٌ، وَفَتَشْتُهُ فِي حَوَائِجِي وَفِي الدَّارِ، وَمَا وَجَدْتُهُ؛ وَقَرَأْتُ الْبَيْتَ مِرَارًا، طَالِبًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مَا تُلِّفَ لِي. وَمَشَيْتُ إِلَى نَاحِيَةِ السُّوقِ

بِمَرَاكُشٍ، فِي زَنْقَةٍ كُدِّيَّةٍ حُلْوَانٍ، وَسَمِعْتُ حِسَّ الْمَقْصِ بَيْنَ قَدَمَيَّ
فِي الْأَرْضِ، وَرَفَعْتُهُ مُتَعَجِّبًا؛ لِأَنِّي عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي؛
وَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِشَيْخِنَا الْفَقِيهَةِ الْخَيْرِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ الْحَاجِّ التُّوتِيِّ،
الَّذِي كَانَ يَقْدُمُ لِطَلَبِ الْمَطَرِ إِذَا خَصَّ^١، وَقَالَ لِي: مَنْ سَأَلَهُ لَكَ؟
قُلْتُ: لَا أَذْرِي! قَالَ لِي: اللَّهُ تَعَالَى سَأَلَهُ.

وَمِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِمِصْرٍ، فِي أَوَّلِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ؛
صَلَّيْتُ يَوْمًا (١١١٥) الظُّهْرَ، وَاتَّيْتُ بِسَجْدَتِي السَّهْوِ لِأَجْلِ مَا زِدْتُ
فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ فِي الْيَوْمِ بِنَفْسِهِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَقَعَ لِي مِثْلُ ذَلِكَ
فِي الصَّلَاةِ وَرَفَعْتُهَا، فَأَخَذَنِي الْغَيْظُ عَلَى نَفْسِي، وَقُلْتُ: مَا كَانَ يَقَعُ
مِنْكَ غَلَطٌ حِينَ كُنْتَ تَدْخُلِينَ إِلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ
مِثْلَكَ! وَحِينَ تَقِفِينَ بِحَضْرَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ وَرَبِّ السُّلَاطِينِ وَخَالِقِهِمْ،
تَتَكَلَّمِينَ بِحَضْرَتِهِ وَالْمَلَائِكَةُ حَاضِرُونَ! ثُمَّ تَنْقَلِبِينَ بِكَلَامِكَ إِلَى كَلَامٍ
فِي شَيْءٍ آخَرَ! ثُمَّ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ مِنْ الْأُمُورِ الْمَذْمُومَةِ بِحَضْرَةِ اللَّهِ
تَعَالَى، الْمَوْلَى الْكَرِيمِ! حَتَّى تَقُولَ الْمَلَائِكَةُ عَنِّي إِنَّنِي مِنَ الْكَاذِبِينَ أَوْ
مِنَ الْحُمَقَاءِ أَوْ مِنَ الْمَجَانِينِ! حَتَّى تَفْسُدَ عَلَيَّ صَلَاتِي! وَلَا كُنْ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ، نَشْتَرِي سَوْطًا مِنْ جِلْدٍ وَنَضْرِبُكَ بِهِ عَلَى كُلِّ صَلَاةٍ بَعْدَ
سَجْدَتِي السَّهْوِ، لَعَلَّكَ تَخَافِينَ مِنَ الضَّرْبِ أَكْثَرَ مِمَّا تَخَافِينَ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى الَّذِي هُوَ يَرَاكَ وَيَسْمَعُكَ.

وَلَمْ تَنْتَحَقِّقْ؛ هَلْ قُلْتُ لِنَفْسِي ذَلِكَ الْكَلَامَ جَهْرًا أَمْ سِرًّا^٢. وَفِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ، بَعْدَ أَنْ صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ وَجَلَسْتُ فِي الْيَتِي الَّذِي كُنْتُ

^١ يريد: إذا قل.

^٢ من هنا ينقل الناسخ دون أن يتنبه للسقط الكبير .

فِيهِ، فَرَأَيْتُ (١٥١ ب) مَعَ الشَّفَقِ، قَبْلَ أَنْ أَوْقَدْتُ السِّرَاجَ، قَضِيئاً
نَزَلَ قُدَّامِي مِنَ الْهَوَاءِ، مِنْ غُودِ الطَّرْفَةِ، عَلَى طُولِ ذِرَاعٍ،
وَقَبَضْتُهُ. وَفَهِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَدَلٌ عَنِ السُّوطِ؛ كَأَنَّ لِسَانَ الْحَالِ يَقُولُ:
لَا نُؤَخِّرُكَ إِلَى أَنْ تَسْتَرِي سَوْطاً؛ خُذْ هَذَا وَاضْرِبْ بِهِ يَنْوِبُ عَنْ
السُّوطِ، لَعَلَّكَ تُدَاوِي نَفْسَكَ، وَتَخَافِينَ مِنْ ضَرْبِكَ إِيَّاهَا أَكْثَرَ مِنْ
خَوْفِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

وَرَجَعْتُ نَضْرِبُ نَفْسِي بَعْدَ سَجْدَتِي السَّهْوِ عَلَى رِجْلِي الْيُسْرَى
بِالْقَضِيبِ، لِأَنَّ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّمَالِ، وَالْقَضِيبُ إِلَى
الْآنَ عِنْدِي، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ يَجْتَمِعُ فِكْرِي فِي الصَّلَاةِ بَعْضَ الْمَرَّاتِ
وَأَتَنَفَّعْتُ بِهِ نَفْعاً جَيِّداً، وَحَصَلَتْ لِي فَايِدَةٌ بِالْبُرْهَانِ وَالْعِيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ
يُرِيدُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَوْلاً بِاللِّسَانِ وَإِخْلَاصاً بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ.
وَفَهِمْتُ مِنَ الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ^١ ذِكْرَهَا: ﴿وَخُذْ يَدَكَ مِنْ غَضَبِكَ فَادْرَأْهَا﴾
إِنَّهُ الْأَمْرُ بِالضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ بَعْدَ تَرْقِيعِ الصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِ التَّدَاوِي
لِنَفْسِي عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِصَاصِ^٢. وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ غَيْرِ
مُسْتَحْسَنَةٍ.

نَسْتَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ (١١٦ أ) الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِّي فِيمَا
خَصَّنِي^٣ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِيمَا مَضَى وَيُؤَفِّقَنِي فِيمَا بَقِيَ وَأَنْ يَسْتُرَ
عُيُوبَنَا وَيَغْفِرَ ذُنُوبَنَا، وَيَخْتُمَ عَلَيْنَا بِخَوَاتِمِ السَّعَادَةِ؛ وَلِقَارِي هَذَا

^٣ زيادة في س: لاني كنت عازماً على ذلك.

^١ س: المتقدمة.

^٢ س: الاختصاص فيما مضى وفيما بقي وان يستر عيوبنا وان يغفر ذنوبنا

^٣ كتب المحجري فوقها: فاتني.

الْكِتَابَ وَلِكَاتِبِهِ وَمُسْتَمْعِيهِ^١ وَلِمَنْ رَأَى فِيهِ عَيْنًا حَقِيقَةً وَأَصْلَحَهُ؛
وَالْمَغْفِرَةَ لِلْوَالِدَيْنِ، وَلِكَافَةِ أَيْمَتِنَا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، بِفَضْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، سَيِّدِ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.
وَقَدْ قَرَأْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ بِاللَّهِ عَلَى الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ
عَلِيِّ الْإِجْهَوْرِيِّ^٢؛ فَقِيَّةٍ شَهِيرٍ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ يُتَنَبَّأُ عَلَيْهِ فِي
مِصْرَ وَغَيْرِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَقْطَارِ؛ الْمِرَّةَ الْأُولَى فِي
الرَّحْلَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ؛ ثُمَّ مِرَّةً ثَانِيَةً^٣ اسْتَخْرَجْتُ هَذَا مِنْهَا
عَلَى أَمْرِهِ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ: أَنْ كُلَّ مَا يَظْهَرُ لَهُ أَنَّهُ غَيْرُ لَائِقٍ (١٦ ب)
أَنْ يَأْمُرَنِي بِإِسْقَاطِهِ؛ وَنَصَحَنِي وَنَفَعَنِي بِعِلْمِهِ وَنَبِيِّتِهِ الصَّالِحَةِ، وَدَعَا
لِي بِالْخَيْرِ - جَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا كَثِيرًا، وَكَمَّلَ عَلَيْهِ بِالسَّعَادَةِ فِي
الدَّارَيْنِ؛ أَمِينَ.

وَقَدْ زِدْتُ؛ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِتُونُسَ مَا ظَهَرَ لِي أَنْ فِيهِ نَفْعًا
وَطَالَعَهُ الْعَلَامَةُ الْمُفْتِي إِمَامُ جَامِعِ التُّرْكِ الشَّرِيفِ أَحْمَدُ الْحَنْفِيُّ؛
وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذَا التَّالِيفِ لِاحْدَى وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ
الثَّانِي مِنْ عَامٍ سَبْعَةَ وَارْبَعِينَ وَأَلْفَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَلَمَّا كَتَبْتُ

^١ س: ولمستعمله

^٢ س: رحمه الله تعالى ورضي عنه.

^٣ س: ثانية حين استخرجت .

^٤ س: وقد في الكتاب .

^٥ س: وكان الفراغ منه أولا في مصر لاحدى وعشرين ...

اخرَ حَرْفَ مِنْهُ سَمِعْتُ الْمُؤَذِّنَ يَقُولُ: اَللّٰهُ اَكْبَرُ لِلاَّذَانِ الْاَوَّلِ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَاسْتَبَشَّرْتُ بِخَيْرٍ وَيَقْبُولُ^١ الْكِتَابَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْفَقِيهَ الْجَلِيلَ اَحْمَدُ بْنُ اَحْمَدَ بَابَ السُّوْدَانِي فِي كِتَابِ عَمَلِهِ^٢ بِيَلَادِ دَرْعَةَ؛ وَهُوَ مَا شِي إِلَى بِلَادِهِ وَهِيَ بَتْنَبُتْ^٣ بِيَلَادِ السُّوْدَانِ، مِنْ مَرَاكُشْ. وَكُنْتُ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْهَا وَودَّعْتَاهُ. وَهُوَ - رَحِمَهُ اَللّٰهُ - الَّذِي عَمِلَ شَرْحًا عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ، وَسَمِعْتُ فِي مِصْرَ مَنْ ذَكَرَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ، وَكَذَلِكَ يَتَوَنُّسُ سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ مَنْ شَكَرَهُ كَثِيرًا. وَبَعْدَ (١١١٧) أَنْ مَشَى إِلَى بِلَادِهِ، كَتَبْتُ لَهُ وَاعْلَمْتُهُ اَنِي مَشَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفَلَنْضِيسَ لِاَغْرَاضِ قَضِيَّتِهَا، وَتَعَطَّلْتُ بِتِلْكَ الْبِلَادِ. وَكُتِبَ لِي - رَحِمَهُ اَللّٰهُ وَجَزَاهُ عَنِّي خَيْرًا، وَدَعَا لِي وَلِاَوْلَادِي - وَقَالَ لِي: قَصَّرْتُ حِينَ مَا كَتَبْتُ كُلَّ مَا رَأَيْتُ.

واما الكتاب الذي عمل في بلاد دَرْعَةَ؛ كَانَ أَجْوِبَةً عَلَى مَا سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اَللّٰهِ بُوْ مَحَلِّي^٤، وَكَانَ رَجُلًا مِنَ الْعُلَمَاءِ - رَحِمَهُ اَللّٰهُ - لِلشَّيْخِ سَالِمِ السَّنْهَوْرِيِّ^٥ الْمِصْرِيِّ - رَحِمَهُ اَللّٰهُ - وَايضًا لِكُلِّ

^١ س: وقبوله .

^٢ س: كتاب اللغه .

^٣ س: تنبكت .

^٤ س: بمصر .

^٥ س: اجوبة .

^٦ س: محمد بن عبد الله وجل من اكابر العلماء .

^٧ هو سالم بن محمد السنهوري المالكي المتوفى سنة ١٠١٥هـ، بروكلمان ٣٠٥/٢؛ ملحق ٤١٦/٢.

من يريد من الفقهاء والعلماء أن يجابوا عليه . والسؤالات ١ في شأن طابة المسمات: بالدخان والعفيون والمسكرات والمخدرات ٢. وذكر في عشبة الدخان انها حلال لذاتها في كتابه ٣ وقال: انه في الحين الذي ختمه سمع الاذان للصلوة، وفرح بذلك واستبشر بخير؛ وكذلك فرحت حين سمعتُ التكبير بعد ان كتبت آخر حَرْفٍ من الكتاب .

وكننت قد رايت في النوم فقيه زمانه بالمغرب؛ قاضي المسلمين بمدينة مراكش في زمان السلطان مولاي احمد (١١٧ ب) الشريف الحسني، وايضا في زمان مولاي زيدان السلطان؛ - رحمهم الله جميعا - فقال لي القاضي ابو عبد الله الرجراجي ومعه محمد بن يوسف، الاستاذ الشهير في قراءة القرآن، وقال لي: بماذا انت مشغول؟ قلت: أُولِفُ كتابا وبحلف! قال لي: مبارك؛ ومقلوب اسم "حلف" فهو: "فلح" ٦ .

١ س: والسؤال .

٢ س: والمخدرات .

٣ "في كتابه" لم ترد في س.

٤ س: في زمان مولاي زيدان ابنه رحمهما الله تعالى.

٥ س: وقال القاضي الذي رايت في النوم ابو عبد الله ...

٦ زيادة في س هي: وفهمت انه رضي بالكتاب لاجل ما قال لي قبل ان مشيت الى بلد النصارى وذلك انه سألني في امر الاندلس الجدود قلت السلطان نصره الله اذن لهم ان يعينوا من يمشي لبلد النصارى وهم يقولون ان القايد ابراهيم القلعي الاندلسي يمشي او انا قال لي ما يليق يمشي القلعي لانه عامي والقسيسون النصارى يشككونه في دينه . ما يليق يمشي الا انت . واتفقوا جميعا ان نمشي ومشيت والمشية كانت بسبب الكتاب.

وفي ليلة أخرى؛ قيل أن ختمته بنحو العشرين يوماً؛ قيل لي في النوم: إذا تتم الكتاب يكون الذهب^١. ويوم السبت التالي ليوم الجمعة التي ختمته فيها كان كما قيل لي^٢.

نسئل الله العظيم ان يجعله نافعا مقبولا منه ومن المسلمين؛ ناصراً لدين رب العالمين . وإن قال قائل: لو كتبت ما ذكرت في الباب الاخرى لكان خيراً من ذكره ، فاقول: لما الفت الكتاب في الردّ على النصارى واليهود من كتبهم؛ ذكرت في الباب ما اتفق لعبد من الامة المحمدية - وانا من المذنبين منهم - ما لا يتفق ابداً بعد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لنصراني ولا ليهودي وانظر ما يقع في كل زمان (١١٨ أ) لأولياء الله تعالى الصالحين .

وقد ذكر الولي عبد الوهاب الشعراني بمصر في كتابه المسمى ب: كتاب المنن: عجائباً وغرائباً ، حتى ذكر ان مما منّ الله تعالى عليه: إنه لا ينام من اربع وعشرين ساعة التي في الليل والنهار الا ثلاث ساعات فقط .

وقال بعض المفسرين للقرءان العزيز - في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا بَعَثْنَا مِنْكُمْ خَلِيفَةً﴾: إِنَّ ذِكْرَ نِعْمَةِ تَعَالَى هُوَ مِنَ الشُّكْرِ لَهُ عَلَيْهَا.

وقد ذكّر لي بمراكش العلامة الفقيه النبيه الخير قاضي المسلمين سيدي عيسى بن عبد الرحمن السكتي انه من الجهاد الردّ على الكفار ما يقولونه من الباطل في الاديان . والحمد لله والشكر له

^١ يريد: الذهب.

^٢ زيادة في س بعد هذا هي: فتح الله تعالى مسئلة من فضله ان يجعله نافعا ...

على ما جاهدنا معهم . نسئل الله العظيم ان يكون هذا الكتاب
السيف الأشهر على كل من كفر؛ وبرهانه يظهر؛ يا الله يا واحد يا
هادي يا وهاب. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله
وصحبه (١٨ ب) وسلم تسليما كثيرا، ابدا دائما الى يوم الدين؛
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

واعلم - رحمك الله - ان هذا الكتاب ذكرت فيه اني قراته
بمصر المحروسة بالله على العلامة الشيخ سيدي علي الاجهوري
المالكي، واني بعد ان جئت الى مدينة تونس -حرسها الله -
وجدت فيها الكتاب الذي كتب الشيخ الفقيه الاكحل الاندلسي - كان
في مدينة غرناطة شيخ الترجمة بالاجازة - وقرات عليه هنالك
وعرفت خطه العجمي والعربي . وبعد ان توفي - رحمه الله تعالى
- بقي الكتب بيد الفقيه يوسف قلبُ الاندلسي، واتي به الى مدينة
تونس ومات فيها، وبقي الكتاب بيد واحد من اخواننا الاندلس وكتبه
عن غيره؛ لان بعض الاندلس من اهل العلم كانوا يطلبون عليه .
وانا كنت نتمنى نراه؛ فاعطاه لي الذي كان بيده (١١٩ أ) جزاه الله
تعالى عني خيرا كثيرا؛ حتى توفيت^١ النظر فيه وزدت منه في
كتابي: ناصر الدين؛ في الباب الاول عقيدة تصفيون ابن العطار في
التوحيد؛ وبعض المسائل مما ذكرت على الكتب التي وجدت تحت
الارض مكتوبة بالعربية من عهد الصالحت مريم على امرها .

وايضا وجدت في تونس كتابا كبيرا مكتوبا بالقالب بالعجمية
مترجم من بآلر الاشبيلي؛ مثل الذي قرأت بفرنصة فيه جميع كتب

^١ س: استوفيت .

التورية والزبور والانجيل، وزدت منه في كتابي قصت بخت نصر وما فسّر النبي ذانيال - عليه السلام - وغير ذلك زدت من التورية في الباب العاشر .

وايضا كتبت في الكتاب ترجمة البراة التي كتب سلطان اشبانيه - وهي بلاد الاندلس - وامر بخروج المسلمين منها . وذكر الاسباب التي حملته على اخراجهم . جاءت نسخة من البراة الى مراکش وترجمتها للسلطان (١١٩ ب) مولاي زيدان - رحمه الله - والترجمت^١ في اخر الباب الحادي عشر من الكتاب .

في الباب الثاني عشر ذكرت برات الراهب وما جوبته فيها والفتوة^٢ التي استفتيته في دينه لما علمت من سوء اعتقادهم، وكان في مراکش .

والباب الثالث عشر: ذكرت الشُمُيسِيَّة من الذهب التي وجدت في بيتي؛ وما ذكر سيدي احمد باب السُّوداني في ذكر الله أكبر عند تمام الكتاب، انتهى.

والحمد لله رب العالمين^٣

^١ س: والترجمة .

^٢ يريد: الفتوى .

^٣ في س زيادة هي: ومما كتبت في مصر في الكتاب الذي الفتة المسمى رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب ان النصراني المسمى بابرث الذي كان يقرأ بالعربية في مدينة بريش العظيمة التي فيها دار الملك الفرنجي قال لي عندنا في هذه المدينة رجل لبيب وعاقل مقبول من الجميع حتى ان اذا عمل احد شعرا ما يظهره للناس حتى يعرضه عليه فان اذن له يظهره والا يتركه فمشينا عنده ومن عادة الفرنسيين اذا يرد عليهم رجل غريب ممن يثنى عليه يقولون له ان يحكي لهم حكاية وكان ابرت الذي مشيت معه سمع مني بعض الحكايات ومشينا عند الرجل الذي ذكرنا وبعد ان قبل علينا بحسن القبول والادب وكان يعرف اللسان العجمي الذي يتكلمون به ببلد الاندلس وقال انه جلس في اخيار

(١٢٠) كتب فيها دعوة الاعوان الاربعة وعزائم الجن مما لا

علاقة لها بالكتاب، فأثرتنا تركها.

مدوننا والفرنجيون يعظمون كثيرا لمن جال في الدنيا ورأى بلد كثيرة وقال لي الرجل احك لي حكاية فقال لي ابرت الذي حملني الى عنده ان احكي حكاية اسقوا الاندلسي ولما رايت انه لا بد من ذلك لما جرت به العادة عندهم قلت فيما مضى جاء رجل اندلسي اسمه اسقوا الى مدينة غرناطة يحمل حطب على دابته وساق معه وعاء ليشترى من دراهم الحطب زيتا فلما دخل المدينة التقى بخديم من دار السلطان وقال له هذا الحطب للبيع قال نعم قال له بكم قال بكذا من الدراهم قال له احبي معي نخلصك فمشا معه الى باب دار السلطان ونزل الحطب ودخلها الحريم وبقي الرجل ينتظر الدراهم ولما تعطل عليه غوث وعيظ واراد الدخول الى دار السلطان قبضه البواب وضربه فاخذ الرجل حمارة وحباله ومشى الى دكان فيه الزيت فمد له الوعاء وقال لصاحب الدكان عمر هذا بالزيت فصنع ذلك وقال له اعطني كذا من دراهم حق الزيت فطلع الى الدكان وقبض الزيت وضربه ضربا شديدا في حسده فقام الزيت بالعياط واجتمع الناس وقبضوا الحطاب ومشوا به لمن يحكم فيه وهو يقول بالعياط انا بالله وبالسultan فوصل الخبر للملك وامر باحضاره والناس معه للشهادة عليه والزيت يشتكي وشهدوا بما راوا من الضرب قال له السلطان ما حملك على ضربه قال يا مولاي نصركم الله بسكت السلطان وصرفه يجوز ام لا ؟ قال السلطان يجوز ولا يقدر احد ان يردها قال انسا يا مولاي جبت حمل حطب واشترته مني خديمكم وبعد ان دخل الحطب الى الدار طلبت الدراهم وضربوني في جسدي وقتل هذا صرف السلطان وسكته به ان شاء الله نشترى الزيت ولما اعطاه لي طلب الاخلاص فخلصته بسكة السلطان التي قبضت في الحطب فضحك السلطان وقال له ما اسمك قال اسمي اسقوا قال له اين ساكن قال في البلد الفلاني قال له ارحل باولادك تسكن في مدينتي وتلزم هذه الدار من جملة خدامنا فامتثل الامر وكان يشرح السلطان ويطول الكلام فيما حكى عنه بعد ذلك.

ولما ان فرغت مما ذكر فرح الكاتب وقال لبرت بكلام الفرنج انه استحسن ما سمع وبعد ذلك بايام جاء عنده رجل من اصحابه وقال لي الكاتب احك لنا الحكاية التي ذكرت لان صاحبنا هذا يعرف كلام بلدكم العجمي وانشرح هو وصاحبه حيث ذكرت الحكاية انتهى.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وسيد الاولين والاخرين والحمد لله رب العالمين اللهم اغفر لكاتبه ولمن كتبه اليه ولوالدينا ولجميع المسلمين ولا تحاسبنا يا مولانا بما فعلنا وما اسررنا وما اعلنا وما انت اعلم به منا يا ارحم الراحمين يا رب العالمين.

(١٢٠ ب) بسم الله الرحمن صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً!

يقول العبد الفقير احمد بن قاسم الاندلسي مؤلف الكتاب المسمى بـ: ناصر الدين على القوم الكافرين : بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين له في الدين.

أما الكتب التي ذكرنا انها وجدت في خندق الجنة بقرب غرناطة تحت الارض ؛ فباشرت بيدي بعض ورقها وقراءتها وترجمتها . فكانت كل ورقة قدر كف اليد مستديرة من رصاص، وبعضها اصغر، منقوشة على خطوط مثل هذا : بسم الله الرحمان الرحيم ومثل الخاتم الذي كتبنا في الباب الاول،

ثم اني طالعت في تونس كتاب الاكيدل الاندلسي - رحمه الله - وقال : ان جميع الكتب كانت اثنتين وعشرين كتاباً . وان الصالحة مريم - عليها السلام - نزل عليها جبريل - عليه السلام - بسبعة الواح من الزبرجد الاخضر؛ وقال لها: ان تكتب نسخة منها بيدها (١٢١) وتبعثها مع سائر الكتب التي كتب الحواريون؛ بعد أن عرج سيدنا عيسى - عليه السلام - الى السماء؛ الى اشبانية وهي بلاد الاندلس .

فَكَتَبَتْ نسخة من الكتاب، وهو المسمى بـ: حقيقة الانجيل الذي تقدم الكلام عليه في هذا الكتاب عند الخاتم وبعثها مع سائر الكتب مع جماعة من الحواريين وهم : شَتَاغُ وَتَصْفِيُونُ وَاخُوهُ سِسْلِيُوهُ، الذي كتب الرق الذي تكلمنا عليه؛ وهما الذان كتبنا الكتب - وكانوا عرب - وخمسة من الحواريين معهم ؛ وجميعهم احرقهم المجوس

الروم في الغار الذي وجدوا الكتب وكل واحد بستر من رصاص في قلب حجر معقود عليه، بعد الف وست مائة سنة. وورق كتاب حقيقة الانجيل اغلظ من سائر ورق الكتب؛ في غلظ ريال كبير واغلظ. وفيه سرٌ للكتب لان بعد قراته تكون الناس على دين واحد، انتهى. انظر هل يكون (١٢١ب) ذلك في زمن الفاطمي لانه صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال: " يملأ الدنيا قسطا وعدلا كما يجدها ملأ جورا وظلما".

وكتبت نسخة من كتاب مواهب الثواب؛ وهو من جملة الكتب التي ساق من غرناطة لتونس الفقيه يوسف قلبُ الاندلسي المذكور - رحمه الله - وهي هذه النسخة :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما
نسخة من احد الكتب التي وجدت تحت الارض في خندق الجنة بقرب غرناطة مكتوبة في ورق الرصاص من عهد الصالحة مريم - عليها السلام - بعد ان عرج سيدنا (١٢٢أ) عيسى - عليه السلام - المسمى ب: كتاب مواهب الثواب لعباد الله المومنين في حقيقة الانجيل، والامر بها في التاريخ لآخر الزمن، واللجنة بعكسها للمعاكسين اليها. فيه ثمان مسائل ليذرة مع جمهور الحواريين للصالحة العذرة مريم وجوابها اليه. لم يقدر احد على فهم معاني تواريخ الحقيقة تمّا^١ دونه ليعقوب ابن شامخ الحوري؛ عاقبة الدين مكتوب على يدي تلميذه وكاتبه تصفيّ ابن العطار الاعربي.

^١ كذا في الأصل، فلعلها كانت: "كما".

قال يعقوب الحوري: جماعة جمهورنا الحواريين الاثنى عشر كنا مع الصالحة مريم في بيتها بعد نزول حقيقة الانجيل عليها، ووصفها للامر فيه الينا؛ فخطبتنا بقول قد اسحرت به عقولنا وطابت انفسنا وسكنت قلوبنا وخشعت لما يجب الخشوع اليه من احسن الذكر والعمل الصالح والطاعة لله. ثم خطبتنا بأسرار عظيمة لم يجب ذكرها في كتابي هذا ولاكن أقول ان (١٢٢ ب) خطابها يوقف الملائكة في السماء والانس في الثرى تعظيما لله ووعظا ومعجزة منه للسامعين. وما رأيت ابدا اطيب نفسا من نفسها ولا افصح لسانا من لسانها ولا اكبر علما من علمها بعد سيدنا يصوع. وذلك الوصف كله كان في خواص حقيقة الانجيل العزيز؛ شكرا لله على تلك النعم. واطلب من مجدك وفضلك ان تقصص علينا ثمانية مسائل في مواهب ثوابها؛ وعن المتوكلين للامر بها التابعين اليها بالايمان؛ وعن ثوابهم الموصوفين في وصفك بالتورخ للعباد في اخر الزمن؛ وما ينبغي بالعكس للمعاكسين اليها من اللعنة والعذاب؛ ليكتسب جمهورنا والعباد من بعدنا في اخر الزمن.

فقلت: يا بدره! صف اولا منهم؟ قال: اخبرنا عن حقيقة الانجيل وعن ثوابه يا مولاتنا؛ فقلت: حقيقة الانجيل هي روح الانجيل، وهي كنز من كنوز العرش فلاح للمومنين (١٢٣ أ) ما من عبد يومن حق الايمان باخلاص ونية لم يخالطهما شيء من الشك، ومات على ذلك الا يكتب الله له براءة من النار ويغفر له جميع

ذنوبه ولو كانت لم تُخص في العدد. وما من عبد مومن يأتي لها على علم بعد شرحها للعباد يرفعه الله في الجنة درجة عالية. والعامل بالعكس لا شفاعاة فيه؛ يلعنه الله وملائكته ألف مرة في كل يوم؛ وتحت سخط الله ويخلده في نار جهنم الا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: يابدره! صف لي الثانية؛ قال: اخبرنا عن فضل العرب انصار الدين في اخر الزمن وعن ثوابهم وعن فضل لسانهم على اللسن يامولاتنا! فقالت: العرب أنصار الدين في اخر الزمن، وفضل لسانهم على اللسن مثل فضل الشمس على دراري السماء؛ اختارهم الله لذلك الامر وايدهم بنصره؛ وفضل المومنين عند الله كبير وثوابهم جسيم. فما (٢٣ب) من عبد مومن يدعو لهم بالنصر والتأييد - بعد ان يشهر الله حقيقة الانجيل في الموضع المقدس الذي يُرا فيه - إلا وينصره الله النصر المبين ويكتبه الله حقا عبده تابعا لمرضيته، ومنيبا لنصر دينه الرشيد، ومن يردهم بسوء يلعنه الله وملائكته ألف مرة في كل يوم وهو تحت سخطه الا ان يرجع عن ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: صف الثالثة، يا بدرة! قال: اخبرنا عن صالح الفقه الذي يشهر الله الحقيقة على يديه وعن ثوابه يامولاتنا. فقالت: انما صالح الفقه حقا؛ المومنون بما وضع الله في الوجود من كلماته التامة بالانجيل العزيز؛ على فيه روح يصوع بالحقيقة؛ روحة من بعده ما دون الشكوك والظن وذلك جمهور المسجد المومن الصالح

العالم المنور بنور الايمان والرحمة والخليفة اليسوعية^١ الموكلة عليه بقدرة النهاية؛ والامر والحل والربط لانها (١٢٤أ) ذلك الحقيقة برنامج حقها ونورها فلاح للمومنين. لا نور لهم دونها ولا لاحد من العالمين.

فما من عبد يومن بذلك كله حق الايمان بنية واخلاص لطاعة الله لم يخلطها شيء من الشك؛ ويحث نفسه على تسهيل الامر بالحقيقة للمجتمع الاكبر بجزيرة السبر بمشارك البندقية؛ وشرحها يدخل بها في دين الله، إلا ويكتب عبده صالح الفقه حقا وعصبة متصلة من ذلك الجمهور وصلوحيته ويسيل سلسلة ربقة في عنقه وينظرها بعين عنايتها وكفله بكنف رحمته، وان ينفق لذلك الامر درهما طيبا من ماله في سبيل الله، يغفر الله له جميع ذنوبه ويحشره تحت رضائه ويعطيه في الجنة اجر المصدقة التي بنت مسجد نبي الله سليمان ابن داود؛ لانه معينا استبناء المسجد للمومنين بالله واليوم الآخر بذلك الصدقة المقبولة منه، وبالعكس ما من عبد يصل تورixها (١٢٤ب) بيديه وخواص الامر بها في علمها، ويشك فيها ويريد طول الامل بها؛ ويرضى بكتمانها وكتمان تورixها، وكتاب هذا ادنى حينا من الدهر من ذلك الجمهور ومن الخليفة اليسوعية ومن العرب الانتصار ومن الناصر الساكن في المشرق، ومن ملوك الارض ومن عباد الله ليتبعوا موديته، ولينالوا من ثواب الحقيقة الموهوبة لهم من فضله، الا ويرفضه الله من ذلك الجمهور وصلوحيته، ويقطع منه عصابته ويخلع سلسلة ربقة من عنقه

^١ يريد: اليسوعية (اليسوعية).

وَيُكْتَبُ فِي غِيْبِهِ عَدُو لَهُ، مَعَاكِسَا لِمَرْضِيَّتِهِ وَيَلْعَنُهُ اللَّهُ وَمَلَانِكْتَهُ
الْف لَعْنَةُ تَلْزَمُ فِي الْحَيْنِ لِكُلِّ مَنْ يَبْلُغُ قَوْلَ هَذَا وَتَوْرِيخُ الْأَمْرِ
بِالْحَقِيقَةِ عِنْدَهُ كَانَ مَنْ كَانَ، وَيَجْعَلُهُ كَمَشْكُوءَةٍ دُونَ مَصْبَاحٍ؛ وَيَعْقِدُهُ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا خَالِدًا فِي عَذَابِهَا مَا دَامَ مُلْكُهُ؛ إِلَّا أَنْ
يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ حَقَّ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَيَغْفِرَ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَتْ: صَفِّ لِي الرَّابِعَةَ (١٢٥أ) يَا بَدْرَهُ! قَالَ: أَخْبَرْنَا عَنْ
النَّاصِرِ السَّاكِنِ فِي الْمَشْرِقِ وَعَنْ ثَوَابِهِ يَا مَوْلَاتِنَا فَقَالَتْ: النَّاصِرُ
مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ، سَاكِنٌ فِي الْمَشْرِقِ بِأَرْضِ
الْأَنَانِيِّينَ، عَدُوا بِالْغَا لِلْأَجْنَسِ الْعَجَمِ وَلَمَلَّتْهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ فِي
الدِّينِ، يَكُونُ لَهُ نَمَائَةٌ جَمِيلَةٌ لَطَاعَةُ اللَّهِ وَلِنَصْرِ دِينِهِ الرَّشِيدِ؛ أَيْدِيهِ
اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَالْقَى نَصْرَ حَقِيقَةِ الْإِنْجِيلِ الْعَزِيزِ فِي حُكْمِهِ؛ وَيُوقِفُ
لِوَاءَ الدِّينِ بِيَدِهِ؛ وَأَيْدِيهِ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْوُجُودِ عَلَى سَائِرِ
الْأَجْنَسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ؛ وَلَهُ نُورٌ وَعِلْمٌ لَطَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ؛
وَهُوَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ قَوْلِ هَذَا إِلَى وَقْتٍ يَبْلُغُ الْأَمْرَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَكْفُولَةِ
عِنْدَهُ. وَذَلِكَ كُلُّهُ سَابِقَةٌ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِيَهْبِ فَضْلُهُ مِنْ
شَاءَ حَاشَ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَرِيدُ إِلَّا مُسْتَرْضِي لَأَمْرِهِ؛ لَهُ
عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابٌ كَبِيرٌ وَدَرَجَةٌ عَالِيَةٌ.

فَمَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَيَعِينُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ لِذَلِكَ
الْأَمْرِ وَمَاتَ عَلَى (١٢٥ب) ذَلِكَ إِلَّا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ
وَيُعْطِيهِ فِي الْجَنَّةِ أَجْرَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ يَسْتَشْهَدُونَ عَلَى الدِّينِ؛ وَمَنْ
يَأْتِهِ بِالْعَكْسِ يَلْعَنُهُ اللَّهُ وَمَلَانِكْتَهُ الْف مَرَّةً فِي كُلِّ يَوْمٍ؛ وَيَرْفُضُهُ مِنْ
رَحْمَتِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

ثم قالت: صف لي الخامسة، ابذرهُ! قال: اخبرني عن المتألفين قلوبهم للمجتمع الاكبر؛ وعن ثوابهم يامولاتنا، فقالت انما المتألفين قلوبهم للمجتمع الاكبر الذين تميل وتخشع قلوبهم لله، واستيذانهم الى الانجيل العزيز ولحيقته وللمؤمنين بما تجمع اليه الحقيقة؛ كانوا من كانوا من جميع الاجناس؛ وايضا الذين يهبون الصدقة ويحثون نفوسهم والعباد الى الحضور فيه بقدر الاستطاع وبالنية؛ فما من عبد من عباد الله يفعل به ويهب نيته وصدقته الطيبة اليها بنية واخلاص في سبيل الله لذلك الامر؛ ومات على الايمان إلا ويغفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت لم تحص في العدد ويكتبه من المتألفين قلوبهم (١٢٦أ) اليه وان حضر فيه؛ ويومن بالمجموع عليه، الا ويكتب الله له براءة من النار ويعطيه اجر الشهداء المستشهدين على الدين؛ والمعاكس لذلك والمانع للعباد من الحضور فيه لاشك في خلوده في نار جهنم وعذابه الاكبر؛ الا أن يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: صف لي السادسة، ابدرهُ! قال: اخبرنا عن المترجمين المفسرين وعلى ثوابهم يا مولاتنا؛ فقالت: انما المترجمون حقا مترجمون للكتاب الذي بحقيقة الانجيل بعد شرحها للعباد في المجتمع الاكبر يبعثهم في ذلك الزمن مصاييح بين اجناس الوجود؛ يتلألئون نورا بنور العلم والفقه الموهوب ويدخلون في ارض السبر؛ يزيدهم قوة من فضله في العلم ولغت اللسان للترجمة المذكورة والتفسير؛ ليستفهموا بعضهم من بعض، وقولهم في القوام لشرح دينه الرشيد والاستقام فيه لسعته. ولاكن يكون عندهم (١٢٦ب)

قليل ثم قليل بين الاجناس لبرهان معجزة الله في العالمين . وراسهم اضعف خلقة؛ شارح الحقيقة طايحا لله ولخليفته المسجد المومن بالله واليوم الآخر ومومنا بذلك الايمان وعصابة متصلة من جمهوره يبعثه الله في ذلك الزمن بنور العلم والفقه والرحمة لذلك الامر كما وصفت لكم؛ وكلهم القاهم الله في كفالة الملوك والمتربين؛ والله يحب أهل العلم الصالحين ويكره اهل الفسق والجاهلين . وجزاء المومنين منهم عند الله كبير، وثوابهم جسيم ولهم درجة عالية في الجنة، وما من ملك أو مشرف أو عبد من عباد الله المومنين يحسن اليهم ويهييء امورهم للمجموع الاكبر المذكور، وشرح الحقيقة الا يغفر الله له جميع ذنوبه ويكتبه عنده من الشهداء الذين يستشهدون على الدين، ويرفع لهم بكل درهم طيب ينفق لذلك الأمر من ماله درجة في الجنة. ومن يردهم بسوء (١٢٧أ) أو معاكسة يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم، ويرفضه من رحمته؛ الا أن يرجع عن ذلك كله حق الرجوع لله .

ثم قالت: صف السابعة، ابدرة! قال: اخبرنا عن اضعف خلق الله شارح حقيقة الانجيل في المجتمع الاكبر وعن ثوابه يامولاتنا . فقالت: الله يخص برحمته تاويل العلم من يشاء من عبادته؛ وذلك العبد من المخصوصين المكتوبين في علم غيبه، مواهبه ومننه عليه كبيرة ورحمته ومعجزته ظاهرة فيه للعباد المخلصين الذين يشاء الله يطالعهم عليه من فضله، ولاكن يكون عددهم قليل في العالمين، عنصره طيب زكي اعرابي؛ لان النصر لاينبغي لغير العرب؛ والناصر في ذلك الزمن هو مظهر من جميع العلوم - كما كان

ابني يصوع - ولا يعدم فهم جواب السائلين؛ منور بنور الاحسان والرحمة، خالص بالنية وله علم كثير موهوب من الله ليس يوصف به بين (٢٧ب) العباد له نشية معتدلة وبشاشة في وجهه مشتملة وفصاحة في اللسان بلفظ قصير وعلم كثير واتقان يبعثه الله في تكبيرة [...] لكلمة واحدة لسبل الأرض، وفيها يعلمه الذكر ليكون اضعف خلقه في الوجود ويضع تهام الضالين والمرتدين الفاسقين المنافقين المختلفين من جميع الاجناس بالانجيل العزيز وبالحقيقة بالشهود المنقوب من مرتب منزلة الصبر؛ صبورا على ذا الفقر والآفات، رافض الفخر والكبر، ويكون له انبات الالهة كبيرة لتعظيم الاجر وطاعة لله؛ مجتنباً من المحارم والعيوب، صادق القول والوعد؛ حافظ الامان والميمنة؛ خالف الميسرة. لم يغفل عن ذكر الله وخشيته بقلبه، وتذكره طرفة عين؛ وان تلحقه معصية يسبقها بالندم ويرتجي من الله العفو والغفران، وثوابه عند الله كبير واجره جسيم على قدر نيته وايمانه وعلمه وطاعته إليه. ويزيده من فضله، ان الله لا يضيع أجر (١٢٨أ) المحسنين، يهب الله له شرح حقيقة الانجيل العزيز المقفولة؛ والقي علمها في قلبه وفهمه، وشرحها في محفوظه، ونور قلبه بايمانه. وذلك سابقة في علم غيبه. شارح الحقيقة إذا يشاء الله بشرحها في ذلك المجتمع لطاعته ولا بنظارة العباد، ولاكن الله ينبيهم بالحقيقة؛ والقي فيهما من كل حكمة ما يليق بذلك المقام ما دون اختلاف وينذر عباده بها إلى يوم كان وعده مفعولا تعي العقول فيه. مامن عبد مومن يدعى اليه يقول: اللهم رب احرس بعين عنايتك لضعف خلقك شارح حقيقة

الانجيل العزيز في المجتمع الاكبر وهي امره اليه واجعلني بما اشرح فيها مومنا من الحق؛ ويسر علي حفظها وعامل بما امرت فيها من الحق مومنا، وفي الانجيل العزيز من الطاعة [...] انك على كل شيء قدير، إلا وينظره الله بعين رحمته ويحرسه من جميع (٢٨ب) الآفات. ومن يردده بالعكس يلعنه الله وملأته الف مرة في كل يوم الا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

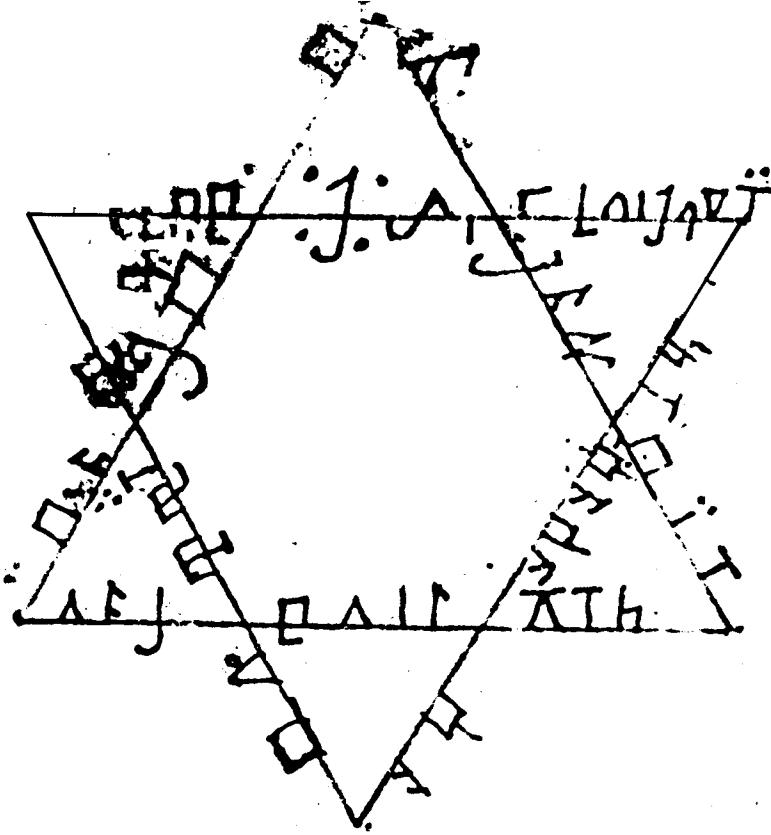
قالت: صف الثامنة، ابدره! قال: اخبرنا عن بركة الموضع الذي يرام الحقيقة عن ثواب زيارة العباد؟ يامولاتنا. فقالت: دليل على بركة الموضع المقدس الذي ترامي الحقيقة؛ والكتب فيه خترته لذلك الأمر وكتبت بذلك؛ فما من عبد مومن طاهر نقي يزوره بنية واخلاص لم يخلط شيء من الشك في الانجيل العزيز وفي الحقيقة روحه وحق الكتب التي معها؛ ويدعى الله بعد اشهارها فيه، ويقول: اللهم رب امنك حق الايمان بكلماتك التامات التي ارسلت بها سيدنا يصوع روحك وبحقيقة انجيلك العزيز الذي شرحت نسختها في ذلك الموضع المقدس والكتاب الثابت الصحيح الذي معها؛ اسئلك باسمك العظيم الاعظم وبمجدك (١٢٩أ) وفضلك ورحمتك على عبادك ان ترفع بها وبه لواء دينك الرشيد على الاديان كلها، وان تؤيد بها وبه مسجدك المومن المقدس وزكي جمهوره الصالح وان تدخل بها وبه عبادك المومنين في كنف رحمتك وان تهتك بها وبه ستر المعاكسين اليها انك على كل شيء قدير؛ الا ويغفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت لم تحص في العدد. وان تصدق ان الله يزيد درجته في الجنة على قدر نيته وعلى كل

درهم طيب اعطاه في ذلك الموضع لتهينة الامر المذكور . واقول لكم ان ذلك في طاعته ومرضيته؛ وما كان لله حاشا ان يضيع ابدا لعباده انه يجزي المحسنين الطايعين اليه، ولا خوف من الاعداء . ان الله لا يهدي القوم الظالمين، وينزل السكينة على قلوب المؤمنين، والرحمة على عباده اجمعين؛ ليستذناوا لشرح الحقيقة والايمان بها، ويهدي من يشاء منهم بفضله العظيم .

فلما فرغت من ذلك القول (٢٩ب) اذا قايل بالندا من قبل الحق: يا من له الخليفة الموهوبة والقدرة على من سبقت عليه الفضائل ومواهب الثواب الموصوفة على مريم العذرة في جوانب الثمانية مسايل واوثق كلمت اللعنة والرفض من جمهور المسجد المومن المقدس وصلوحيته على من سبقت عليه الرفض في وصفها وثوابا وفضلا لا ينفد أبدا؛ ولعنة لا ينبغي نقضها لاحد من بعدك حلها الا بحق الرجوع لله عن المحارم .

قال الخليفة: السمع والطاعة لرب العالمين، اشهدكم يامعشر الحواريين بمولاتنا مريم العذرة - وهي وانتم معها خير الشاهدين - على الحق؛ انا اوثق كلمة الاتقان بقدرة الخليفة اليسوعية للذي سبقت عليه كلمت اتقان الفضائل وثواب المواهب كما وصفتها في جواب المسائل الثمانية؛ ثوابا وفضلا لا ينفد ابدا من بعدي؛ واوثق بالعكس كلمة اتقان اللعنة والرفض (١٣٠أ) من جمهور المسجد المومن الصالح المقدس على من سبقت عليه كلمة اللعنة والرفض في جوابها في الثمانية مسايل المذكورة [...] لا ينبغي نقضها لاحد من بعدي الا [بحق الرجوع] لله من الحرام .

فلما فرغت من ذلك [....] انفتح فرشه الاعلى وخرج
 منه [....] وكتب على جدول خاتم سليمان [....] في جدار وسطه
 هذه [الستة اسطار] [....] مضى عن جمهورنا وتد [....].



(١٣٠ ب) فعند ذلك التفتت الى الصالحة مريم، وقالت: يايعقوب!
 عقيبة الدين اسطر الوصف كله، والكتب [....] الجدول واحفظه
 مع الحقيقة في الموضع المقدس [....] يأتي الحق والقول الثابت
 الصحيح لطاعة [....] قلبي فيهم ويستفدوا من فضائل [....] حقيقة
 الانجيل الموصوفة في [....] في آخر الزمن.

ثم سألتها بديره[....] يا مولاتنا ما يعني الكتب على جدول[....]
بالتقوى لا ينبغي في وقت [....] ولاكن اخره الله لشارح
حقيقة [الانجيل...] اخر الزمن.

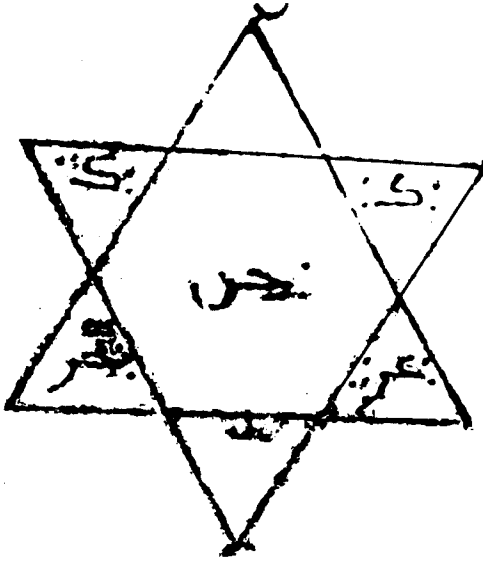
قال: زدنا على التوريف اما يكون [....] شهادة الحقيقة وما
ياتي بعده، يا [مولاتنا] ؟

قالت: اذا يتعلمون الناس لغير عمل صالح ويتولون المقاليد
والرتب لغير طاعة الله ولياكلوا عرق العباد بهن ظلما بغير حق
ويعتمدون على حيالهم لا على الله؛ ويكون عيش النساء في كبر
واتباع الرجال بالزنا وقُلَّتْ (١٣١) الحيا ويطغى اللباس من الحرير
الاسود ويكثر الحديث بالكذب والخداع وتتلى على العبد كلمة الله
ولم تاتر اليها قلوبهم، ويرفع الله بركته من الارض ويطفى نور
الصالح[ون العا]لمون في المساجد في وقت هذا يش[هر...]
الله...[والكتب في الموضع المقدس]....[على شرحها في
المجتمع الاكبر]....[يعود يصوع روح الله]....[المحمود الى
الوجود]....[المسيح الدجال، والمسيح الدجال دليل في طلوع
الشمس من المغرب. كمل الكتاب على يد الاعربي

(١٣١ب) واقول الذي قال في كتاب المواهب للشواهب عن حقيقة
الانجيل، فهو ظاهر انه مخالف للانجيل الذي بأيديهم الآن ولما
تعتقد النصارى من الكفر والتثليث في الالهية. فيكون موافقا
[....] القراءان العزيز وبه اغنى الله تبارك وتعالى [....] الانجيل
وعن كتاب حقيقة [....] السماوية ونفع كتاب حقيقة [....] الذين

قال الله تعالى فيهم [....] اهدنا الصراط المستقيم [....] وهب
لنا من لدنك رحمة، انك انت الوهاب.

هذا آخر كلامنا في الكتاب
تمت هذه النسخة المباركة في اليوم العشرين من رجب من سنة
احدى وخمسين والى على يد المؤلف للكتاب
كتبه بمدينة [تونس] المحروسة بالله.
والحمد لله على توفيقه.
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا اثرا
والحمد لله رب العالمين



١ الكلمة لا تكاد تبين في النسخة المصورة.